
أنبياء الله
من عهد آدم
دكتور
محمد عبد السلام العدوي
المكتبة المصرية
للطبع والنشر والتوزيع
٣ ش احمد ذو الفقار - لوران الإسكندرية
تليفاكس : ٠٠٢/٠٣/٥٨٤٠٢٩٨
محمول : ٠١٢/٣٥٥١٨٤٨

أنبيـــاء اللـــة

مـــن

عـــهد أدم

دكتور

محمد عبد السلام العدوى

٢٠٠٤م

مكتبة المصرية

للطباعة والنشر والتوزيع

٣ ش أحمد ذو الفقار – لوران الإسكندرية

تليفاكس : ٠٠٢/٠٣/٥٨٤٠٢٩٨

محمول : ٠١٢٤٦٨٦٠٤٩

م	فهرس الموضوعات	الصفحة

	فهرس الموضوعات	الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

يحـــن بـــنا أن نتعرف علي الواقع الذي نحياه ونصارعه ويعترض مسيرتنا ومن ورائه تلك القوى الهائلة المضلة التي تخطط كما سنبين ، وتحقد ، مشحونة برواسب من كره الـــتاريخ لها وهي في سبيل تحقيق مآربها قد اتخذت العديد من أساليب الإفساد للقضاء عـــلي رفاهية المجتمع وأمنها ، متبعة شتي وسائل جذب الأفراد ، والإغواء والإغراء لتنتشـــر الرذيلة بينهم والإباحة ومساندة حركات الاعتداءات لاغتصاب الحقوق وفرض الحـــرمان ، وإحكـــام الســـيطرة علي مقدرات وخيرات الشعوب ، وسلوك كافة السبل لإفســـاد الأخـــلاق ، والعمـــل المســـتمر علي جذب أبصار شباب الأمة لكل دار إفساد وامـــتلاك مشـــاعرهم والـــتأثير فيها بكافة ما تستطيع من غزو فكرى وإعلامي مكثف يســـهل ســـبيل ســـقوطها فـــي هاوية سحيقة تشل منهم الأبدان والعقول ، من خلال ما أنشـــؤوه من مؤسسات تخصصت في أبدا عات العرض والتصوير الفاضح وموديلات العـــرض وبـــث كل ذلك عبر قنوات علي الأقمار الصناعية لتضمن لأهدافها أكبر قدر من النجاح والانتشار المفسد المؤثر في الوجدان والسلوك.

ذلـــك ظنوا وقد خسئوا ، فلا يزال وسيستمر (الإسلام) بما أرسي ويرسي عبر الأجيال من خلال قواعده التشريعية في العبادات والمعاملات وقواعد الأخلاق المستقيم شـــامخاً مؤثـــر عـــلي مر الأزمان ، ومادام القرآن الكريم في الصدور يتابعه الأزهر الشريف حفظا وترتيلا وحثا دائما ، وتوجيها لذخيرة ما في السنة المحمدية من فضائل وتوجيهـــات ففـــي ذلـــك هدايـــات واشر قات نفحات هذب وتقي من الضلال بإذن الله وســـيزداد الشـــباب تمســـكا بـــتعاليم ما أمر الخالق سبحانه وما نهي عنه مهما حاول المفســـدون الكافـــرون. وســـتعلو دائمـــا في القلوب (أشهد أن لا أله إلا الله وأن محمد رســـوله) أمـــا المســـدون فقد جاء فيهم قوله تعالي : " وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفي بربك هاديا ونصيرا ".[1]

---

(١) سورة الفرقان ٣١.

ثم نقول : إن الله المنتهي في الأسباب والعلل ، وإليه المنتهي في الحكم والتصريف ، وإليه المنتهي في الغايات والأهداف ، وإليه المنتهي في الآمال والمقاصد ، ومن عرف هذا سعي بما أوتي من همة لتحقيق (أشهد أن لا إله إلا الله) وافيا ، كما حقق ذلك إيمانا واعتقادا فيبدأ الطريق للتوبة الخالصة والعمل بم أمره مولاه حتى يصبح بقلبه وبروحه في رحاب الحبيب وقد أسلم نفسه بالكلية لمرضاته والقياد. فكيف يناله آذى الدهاة أهل الباطل وهو في رحاب العناية و الرعاية ؟

قال تعالي : (افغير دين الله يبغون وله اسلم متن في السماوات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون(٣). قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل علي إبراهيم[١] وإسماعيل[٢] وإسحاق[٣] ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى[٤] والنبيون من ربهم لا نفرق أحد منهم ونحن له مسلمون (٨٤) ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين (٨٥) آل عمران "صدق الله العظيم" ، ويذهب الحسن بن أيوب الذي كان نصرانيا وأسلم إلي أن النصارى قد أحرقوا (أسفار المسيح) أخطر ما وقع فيه النصارى في رأيه من التحريف علي سبيل التأويل الفاسد ما جاء في كتابهم (بألوهية المسيح).

وسواء أكان التحريف تحريف نص أم تحريف تأويل فإن كاتبي (الأنجيل) ليس أحد منهم عند النصارى بعدل ولا محمود السيرة ولا تقبل شهادتهم علي يهودي مثله فكيف تقبل شهادته علي الله ورسوله[٥].

---

(١) كان إبراهيم ستة أولاد من زوجته (قطوره) وهم(زمران) ، (يقشان) ، (مديان) ، (يشباق) ، (شوحا) وتشاء عناية السماء أن تختار (اسحاق) ، (إسماعيل) من بين أولاده لتخصهم بالبركات.

(٢) ولقد انجب (إسماعيل) أثني عشر ولدا وقد عاش مائة وسبع وثلاثون سنة ومن أولاده المسمي (قيدار) الذي خصه الله بالبركات وهو الذي جاء من نسله الرسول خاتم نبي الرحمة (محمد) ﷺ ، اما بقية أولاده فهم (نبايوث- ادابئيل- مبسام- مشماع- دومة- حدار - تيما- يطور ..)

(٣) ولقد بدأت بركة (إسحاق) من نبي الله(موسى) فإن الله اختاره وانزل عليه التوراة موعظة وتفصيلا لكل شئ ، ولما تم له الخروج من مصر اتجه إلي سيناء ودعاهم إلي الله مثلما بدأ في مصر والإعلان بين الحاكم الفرعون والشعب المصري وجوب عبادة الواحد . ومن بعد (موسى) قام (يوشع بن نون) بأمر الدين وقيادة المحاربين. ولقد أنجب (إسحاق) : (يعقوب) المسمي أيضا (إسرائيل) كما أنجب ولده (عيسو) ولكن السماء اختارت (يعقوب) وخصته بالبركات.

(٤) (نبي الله عيسى ابن مريم) الثابت أن عيسى ولد وسط يهودي فلسطيني متواضع واختلف في تقدير سنة وفي تحديد زمن حياته ، فهو قد عاش أثنين وثلاثين سنة وستة أشهر عند بعضهم ، وثلاثا وثلاثين سنة عند آخرين بينما بلغ من العمر مائة وعشرين عاما في رأي ثالث بناء علي أن النبي(محمد) ﷺ مات في الستين وقال في العام الذي مات فيه : (ليس من نبي إلا عمر نصف عمر الذي قبله ، وأن عيسى أخي كان عمره عشرين ومائة سنة. (أنظر تفسير الطبري ٣/ ٢٦٤).

(٥) (أنظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) طبعة القاهرة ١٩٠٥م (ابن تيميه).

والحــق إن عقيدة (عيس) كما بيــنها القرآن الكريم تنفي أي علاقة بنوة الله بيــن (الله والإنسان) كما بين استحالة أن يكون أحد آلها وأنسان في نفس الوقت ويعتبر مــن تقول أو تعتقد هذا هو عين الشرك أي الكبيرة التي لا تغفر ، وذنب في حق الله لا مجال للتسامح فيه.

قال تعالي : (لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح ابن مريم) ٧٢ المائدة.

وقــال عز وجل : (وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئو نقول الذيــن كفروا من قبل قاتلهم الله أني يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم) التوبة ٣٠ / ٣١.

وقــال عز من قائل : إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل " الزخرف ٥٩" (عيــس ابــن مريم) : والدته السيدة مريم أبنة عمران ، وكانت أمها تدعي (حنه) وكــانت عاقراً دعت الله أن يهبها ابنا فرزقها الله بابنة سمتها (مريم) ومعناها)(العابدة) ويــرفع ابــن كثير نسب (مريم) إلي إبراهيم ، بينما يقف (الطبري) بنسبها عند (داود) [انظــر تفســير القرآن لأبن كثير ١ / ٣٨٥ والقرطبي ٣ / ١٥٧] ذكر القرطبي في تفســير قوله تعالي : (وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلي ربوة ذات قرار معين) المؤمــنون ٥٠. أن الــربوة هــي مصر والإسكندرية أو قرية من قري مصر (انظر الجامع لأحكام القرآن ١٢ / ١٢٧ للقرطبي).

ولــنا أن نتصــور مدي المشقة والمعاناة في تلك الرحلة إلي مصر وفي تربية مــريم لأبنها وخوفها عليه من القتل كما جاء في إنجيل متى : (ولما ولد يسوع في بيت لحــم جــاء للمــلك هيرودوس مجوس من الشرق ينذر بضياع ملكه علي يد طفل وليد فأرســل في طلب هذا الطفل ليقتله ولما لم يصل إليه أمر بقتل جميع الصبيان في بيت لحــم وفي ضواحيها أبناء سنتين فما دون ليضمن بذلك التخلص من هذا العدو الصغير وتروي الأناجيل أن (يوسف النجار) قد صاحب العائلة المقدسة مريم وأبنها هاربين إلي مصــر حتى وفاة (هيرودوس) ليعودا مرة أخري إلي فلسطين (أنجيل متى : الاحجاج الثاني ١٣– ٢١) ، بهذا تحقق لنا استقامة (عيسى ابن مريم) نبي الله وعبده. اختار الله ليكــون رســول هداية لبني إسرائيل بعد أن وصل بهم الحال إلي فجور وعصيان لما ترضاه السماء للعباد من استقامة وخوف من عقاب العزيز القدير.

ولمن يطمس حقيقة النبوة ويقول علي أنـبياء الله بمـا هـم منه براء وبما لم يقولـوه ولا يرضونه فلهؤلاء أعد الله لهم عذابا شديداً.. وسيأخذنا الحديث إلي تأصيل اتجاه نفوس إلي عصيان كل ما هو حق ويستعذبون كل ضلال فما هو سر ما هم عليه من حال ؟

تمهيد

بـدأ الحديث ليعود السياق فيه إلي بدايات قضية الطاعة والعصيان والفرق بين الإيمـان والكفر والخروج علي الطاعة الواجبة علي آدم تجاه خالقه وتذكره كلما نسي بقصـة الهـدي والضـلال منذ فجر البشرية الأول في مجالي النعيم ودارات العذاب ، وهـي قصـة مكررة ومعادة تكشف للمكذبين والضالين والمفسدين عما جرى لمن كان قبـلهم ، وتطمـئن المؤمـنين برعاية الله التي لم تتخل في الماضي عنهم وأنها كذلك مستمرة إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولقد تجلت العناية علي (آدم وحواء) حين استغفر من ذنبهما وعصيانهم المولي كما انجلت في قصة (نوح) مع قومه ،و(إبراهيم) وقومه و(إسماعيل) وقومه ،(إسحاق) وقومـه و(موسى) وقومه و(هارون) و(إلياس) و(لوط) و(يونس) و(عيسى) إلي (خاتم الأنبياء والمرسلين) المصطفي (محمد ﷺ).

وبدايـات قضـايا الطاعة والمعصية كانت في تاريخ (آدم) عليه السلام وزجه (حـواء) ، وأمر من الله بالسجود لآدم وعصيان للأمر من (إبليس) وغضب من الله ثم غوايـه من (إبليس) الذي سيصبح هو وقبيله مصدر كل المعاصي لآم وزوجنه مستقبلا مـع نهي من الخالق لهما عن الأكل من شجرة بعينها من أشجار الجنة وتحذير ولكنهما يستمعان إلي إغراءات (إبليس) حتى يأكلا من الشجرة فينزل غضب الله عليهما ويطرد الجميـع حـواء وآدم وإبليس إلي أرض يستمر فيها الدور مصدر شر ينشر المعاصي فمـن اسـتجاب كان العذاب نصيبه من ربه. وإن تجنب المغريات واستغفر مولاه نال مغفـرة من ربه علي إلا يعود.. للمعاصي وأن يتوب ويندّم ، وسيستمر هذا الدور علي الأرض بعـد أن بدا الصراع بين الحق والباطل ، والطاعة والمعصية إلي أن يرث الله الأرض وما عليها ومن عليها.

ولكـي يـنال بـني آدم رضا وقبول مولاهم يجب عليهم أن يتجردوا بترك كـل مـا يشـغل عن العبادة والشكر الدائم ، ويقبلوا بهجرة نفسية قبل أن تكون هجرة مكانيـة ، هجرة تترك كل الأشياء من ماضي السلوكيات ، هجر كاملة تنتقل بصاحبها مـن حـال إلـي حـال من أواصر شتي إلي آصرة واحدة ل تزحمها في النفس شيء فيصـبح حـال المرء تعبيراً عن التجرد والخلوص والاستسلام والطمأنينة واليقين من رحمة بديع السماوات والأرض المتعال سبحانه.

والقصـة جاء ذكرها في القرآن الكريم قال تعالي مخاطباً خاتم أنبيائه للبشرية المصطفي (محمد) ﷺ : "قل هو نبأ عظيم (٦٧) أنتم عنه معرضون (٦٨) ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون (٦٩) إن يوحي إلي إلا أنما أنا نذير مبين (٧٠) إذ قـال ربـك للملائكة إني خالق بشراً من طين(٧١) فإذا سويته ونفخت فيه من روحي ففقعوا له ساجدين (٧٢) فسجد الملائكة كلهم أجمعون (٧٣) إلا إبليس استكبر وكان من الكافـرين (٧٤) قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العـالين(٧٥) قال أنا خير منه خلقتني من طين(٧٦) قال فاخرج منه فإنك رجيم (٧٧) وإن عـليك لعنـتي إلي يوم الدين (٧٨) قال رب فأنظر ني إلي يوم يبعثون(٧٩) قال فإنك من المنظرين (٨٠) إلي يوم الوقت المعلوم (٨١) قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين (٨٢) إلا عبادك منهم المخلصين (٨٣) قال فالحق والحق أقول (٨٤) لأملأن جهنم منك وممن تبعك أجمعين(٨٥). من (٦٧: ٨٥) سورة ص.

وبدايات غوايات إبليس وبدايات المعصية معصية آدم وحواء ومن بعدهما لأمر الله واتباعهم ما زينه إبليس من معصية جاءت في قوله تعالي : "وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجـك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (٣٥) فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كان فيه (٣٦) وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عـدوا لكـم في الأرض ومستقر ومتاع إلي حين (٣٧) فتلقي آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم(٣٨) البقرة من ٣٥: ٣٨.

وتتكرر صورة العصيان كما جاءت في سورة الأعراف : قال تعالي : "ويا آدم اسـكن أنـت وزوجـك الجـنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظـالمين (١٩) فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وري عنهما سواء تهما وقال ما

نهاكمـــا ربكمـــا عن هذه الشجرة إلا أن تكونا مـــلكين أو تكـــون من الخالدين (٢٠) وقاســـمهما[١] إني لكما لمن الناصحين(٢١) فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما ســـوءتهما وطفقـــا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين (٢٢) قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لـــنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين(٢٣) قال اهبطوا بعضكم لبعض مستقر ومتاع إلي حين (٢٤) قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون(٢٥) الأعراف : ١٩ : ٢٥.

ومـــن نفـــس واحدة خلق الله منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرً ونساءاً ، قال تعالي : " يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث مـــنها رجـــالاً كثيراً ونساءاً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيـــبا" (النساء ١).وواجب البشرية دائما مراعاة التزام أوامر الله وعبادته دون سواه ، كمـــا هو واجب أيضاً التحرر والأنتباه من كل جنب منحرف والانسياق وراء مغريات إبليس وقبيله إنساً وجنياً وما يوسوس به لبني آدم ويزينون ما يؤدي بهم إلي عذاب الله الشـــديد قال تعالي " هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها...) (الأعـــراف ١٨٩) (يـــا أيهـــا الناس أنا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوباً وقبائل لـــتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) [الحجرات ١٣]. بذلك شاءت القـــدرة الإلهيـــة أن ينتشر أبناء (آدم) شعوبا وقبائل بين مصلح ومخطئ يتوب إلي الله ويســـتغفره فيتوب الله عليه ، ومخطئ لا يستغفر مولاه من ذنوبه ويصر علي العصيان فلا يغفر الله له ويحاسبه حسابا عسيرا.

ومـــع هؤلاء السائرين في المعاصي ينشرونها ويغتصبون ما في أيدي غيرهم ويدبـــرون لذلك شتي الطرق من قتل ونهب واحتلال ، ووسائل جذب للأنفس والأموال سيكون محور الحديث نكشفهم ونحذر منهم ، وقبل الإضافة في الحديث عنهم سأتحدث عن أبي البشرية آدم عليه السلام.

١. آدم عليه السلام

قال محمد بن إسحاق :

---

(١) فقاسمهما : أقسم بالله- (فدلاهما : فحطهما عن منزلتهما) بغرور منه

وتوفـــي (آدم) وكـــان ذلك يوم الجمعة جاءته الملائكة بحنوط وكفن من عند الله عز وجـــل ومن الجنة وعزوا فيه ابنه (شيثا) عليه السلام ، قال ابن إسحاق : وقبل الوفاة عهـــد إلـــي ابـــنه شيث[١] وعلمه ساعات الليل والنهار ، وعلمه عبادات تلك الساعات ، واعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك ، وقال أبو ذر في حديثه عن رسول الله ﷺ : "إن الله أنـــزل علي آدم مائة صحيفة وأربع ، وعلي شيث خمسين صحيفة "[٢] وقال : ويقال إن أنســـاب بـــني آدم اليـــوم كـــلها تنتهي إلي (شيث) وسائر أولاد (آدم) لغيره أنقرضوا وبادوا.... والله اعلم قال ابن عساكر : ورواه غيره عن ميمون فقال : عن ابن عمر : (واختـــلفوا فـــي موضع دفنه ، فالمشهور أنه دفن عند جبل الذي أهبط فيه في الهند ، وقـــبل بجـــبل (أبـــي قبيس) بمكة ،ويقال إن (نوحا) عليه السلام لما كان زمن الطوفان حملـــه (وحواء) في تابوت ، فدفنها ببيت المقدس ، حكي ذلك ابن جرير ، وروي عن بعضـــهم أنـــه قال : رأسه عند مسجد إبراهيم ورجلاه عند صخرة بيت المقدس ، وقد مـــاتت بعده حواء بسنة واحدة واختلف في مقدار عمره عليه السلام : وفي حديث ابن عـــباس وأبـــي هريرة مرفوعا : أن عمره اكتتب في اللوح المحفوظ ألف سنة وهذا لا يعارضـــه ما في التوراة من أنه عاش تسعمائة وثلاثين سنة فإن قولهم هذا يمكن الجمع بيـــنه وبين ما في الحديث ، فإن في التوراة إن كان محفوظا – محمول علي مدة مقامه في الأرض بعد الأهباط ، وذلك تسعمائة سنة وثلاثون شمسية ، وهي بالقمرية تسعمائة وســـبع وخمســـون ســـنة ، ويضاف إلي ذلك ثلاث وأربعون مدة مقامه في الجنة قبل الإهباط علي ما ذكره ابن جرير وغيره فيكون الجميع ألف سنة ، فلما مات (آدم) عليه السلام قام بأعباء الأمر بعده ولده شيث عليه السلام ، فلما حانت وفاته أوصي إلي أبنه (أنوش) فقام بالأمر بعده ، ثم بعده (قنين)ثم من بعده ابنه (مهلابيل) – وهو الذي يزعم الأعـــاجم مـــن الفـــرس أنه ملك الأقاليم السبعة ، وانه أول من قطع الأشجار ، وبني المدائـــن والحصون الكبار وانه هو الذي بني مدينة (بابل) ومدينة (السوس) الأقصى ، وانـــه قهر أبليس وجنوده وشردهم عن الأرض إلي أطرافها وشعاب جبالها ، وانه قتل خلقا من مردة الجن والغيلان ، وكان له تاج عظيم ، وكان يخطب الناس ودامت دولته

---

(١) شيث معناه هبة الله وسماه آدم وحواء بذلك لأنهما رزقاه بعد أن قتل هابيل
(٢) البخاري ج ٥/ ١٤٦

أربعين سنة ، فلما مات قام بالأمر بعده ولده (يرد) فلما حضرته الوفاة أوصي إلي ولده (خنوخ) وهو(إدريس) عليه السلام علي المشهور ، وقد أثني الله علي (إدريس) ووصفه بالنبوة والصديقية ، وهو (خنوخ) هذا قال تعالي : واذكر في كتاب الله إدريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا" (سورة مريم ٥٦-٥٧).

وإدريس عليه السلام في عمود نسب رسول الله صلي الله علي وسلم علي ما ذكره واحد غير واحد من علماء النسب ، وذكر ابن إسحاق أنه أول من خط بالقلم ، وأدرك من حياة آدم ثلاثمائة سنة وثماني سنين[1] وقد روي ابن جرير عن يونس عن عبد الأعلى ، عن ابن وهب عن هلال بن يساف قال : سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر فقال له : ما معني قول الله تعالي إدريس : (ورفعناه مكانا عليا) (سورة مريم ٥٧) ؟ فقال كعب : أما لإدريس فإن الله أوحي له : إني أرفع لك يوم مثل جميع عمل بني آدم ، فأتاه خليل له من الملائكة فقال : إن الله أوحي إلي كذا وكذا فكلم الملك أن يرفعه حتي يزداد قدرا وعملا ، فحمله بين جناحيه ثم صعدا به إلي السماء ، فلما كان في السماء الرابعة تلقاه ملك الموت منحدرا فكلمه : يا لعجب ، بعثت وقيل لي أقبض روح إدريس في السماء الرابعة ، فجعلت أقول كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض؟ فقبض روحه هناك فذلك قول الله عز وجل (ورفعناه مكانا عليا).

٢. قابيل وهابيل ونبي الله (نوح) عليه السلام

فإذا انتقلنا إلي ما بعد ذلك من زمان طالعتنا في رحاب الخير وهداية الناس قصة (نوح)[2] عليه السلام وفي مقدمة ذلك نذكر هنا ملخص ما ذكره أئمة السلف في قصة ابني آدم قابيل وهابيل ، فذكر السدي عن أبي مالك وأبي الصالح ،عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود وعن جمع الصحابة ، أن آدم كان يزوج ذكر كل بطن بأنثي الآخر وأن هابيل أراد أن يتزوج بأخت قابيل لجمالها ، ولكن قابيل أراد أن يستأثر بها ، وتشاجر الأخان ، فأمرهما (آدم) فضا للتنازع أن يقربا قربانا ، وقرب الأخان قربانهما ، فقرب (هابيل) جذعة سمينة وكان صاحب غنم ، وأما قابيل فقد قدم قربانا ، من ردئ زرعه ، فنزلت نار فأكلت قربانا (هابيل) وتركت قربانا (قابيل) ،

---

(١) البخاري ج ١٤٦/٤ باب المعراج وج ٢٧٢/٤ وذكر إدريس عليه السلام
(٢) الطبري ج ١٢٠/٦

فغضـــب وقال : لأقتلنك حتى لا تنكح أخـــتي فقال ، أنما يتقبل الله من المتقين ، فما كـــان ذات ليلة أبطأ هابيل في الرعي فبعث (آدم) أخاه (قابيل) لينظر ما أبطأ به ، فلما ذهـــب إذا هـــو بـــه فقال له تقبل منك ولن يتقبل مني ، فقال : أنما يتقبل من المتقين ، فغضـــب (قـــابيل) عندها وضربه بحديدية كانت معه فقتله ، وقيل أنه إنما قتله بصخرة رماهـــا علي رأسه وهو نائم فشدخته ، وقيل : بل خنقا شديد وعضه كما تفعل السباع ، فمات ... والله أعلم.

وبجبل (قاسيون) شمالي دمشق مغارة الدم ، مشهورة بأنها المكان الذي قتل فيه (قـــابيل) أخاه هابيل عندها ، والله أعلم بصحة ذلك وذكر أهل التاريخ والسير أن (آدم) حـــزن علي ابنه هابيل حزنا شديداً ، وقد ذكر مجاهد أن قابيل عوجل بالعقوبة يوم قتل أخـــاه ، فعـــلقت ســـاقه إلي فخذه ، وجعل وجهه إلي الشمس كيفما دارت ، وتنكيلا به وتعجيلا لذنبه وبغيه[١].

والذي رأيته في الكتاب الذي في أيدي أهل الكتاب الذين يزعمون أنه التوراة : أن الله عـــز وجـــل أجله وأنظره ، وأنه سكن في الأرض (نود) في شرقي عدن ، وهم يســـمونه (قنين) وأنه ولد له (خنوخ) ، وولد(لخنوع) (عندر) (محوايل) ، و(لمحوايلى) (متوشـــيل)، و(لموتشـــيل) (لامك) ، وتزوج هذا امرأتين هما (عدا) ، (صلا) ، فولدت ولدا اسمه (ابل) وهو من سكن واقتني المال ، وولدت لها أيضا (نوبل) ، وهو أول من اخذ في ضرب الونج والصنج[٢].

وولدت (صلا) زوجته الثانية ولدا اسمه (توبلقين) وكانا صانعا للنحاس والحديد ، كما ولدت بنتا اسمتها (نعمس).

وطاف (آدم) علي امرأته فولدت (شيث) وولد (لشيث) (أنوش).

وقالوا : وكان عمر (آدم) يوم ولد (شيث)[٣] مائة وثلاثون سنة وعاش بعد ذلك ثمانمائة ســـنة ، وكـــان عمر (شيث) يوم ولد له (أنوش) مائة وخمسا وستين ، وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة وسبع سنين وولد له بنون وبنات غير (أنوش)

(١) قصص الأنبياء لابن كثير (قصة ابني آدم : قابيل وهابيل ص ٥٠.
(٢) الونج : بفتح الواو والنون نوع من الآلات الموسيقية والصنج مدورة من نحاس يضرب بها علي الأخري والجمع صنوجُ
(٣) ومعني (شيث) هبة الله ، وأسمياه بذلك لأنهما رزقاه بعد قتل هابيل

وولد (لأنوش) (قينان) وله من العمر تسعون سنة وخس عشرة سنة وولد له بنون وبنات.

فـلما كان عمر (قينان) سبعين سنة ولد له(مهلابيل) وعاش بعد ذلك ثمانمائة واربعين سـنة ، وولد له بنون وبنات ، فلما كان (لمهلابيل) من العمر خمس وستون سنة ولد له (يرد) وكبر حتى بلغ مائة واثنان وستون رزقه الله بابن سماه (خنوخ)ولما بلغ (خنوخ) سن الخامسة والستين رزقه الله بابن اسماه (متوشلخ) ، ثم رزق (متوشلخ) بابنه (لامك) ، فـلما بلغ (لامك) من العمر مائة وأثنان وثمانون سنة ولد له (نوح) ، وعاش (نوح) فـلما بلغ (نوح) خمسمائة سنة كان قد ولد له بنون : سام وحام ويافث... هذا مضمون مـا فـي كتاب أهل الكتاب والتوراة وقد ذكر الأمام أبو جعفر بن جرير في تاريخه أن حـواء ولـدت لآدم أربعين ولدا في عشرين بطنا ، قاله ابن إسحاق وسماهم ... والله تعـالي أعـلم ، وقيـل مائـة وعشرين بطنا في كل واحد ذكر وأنثي ، وأولهم قابيل وأخته(قليما) ، وأخرهم عبد المغيث وأخته أم المغيث.

قـال محمد ابن إسحاق : ولما حضرت (آدم) الوفاة عهد إلي ابنه شيث وعلمه ساعات الـليل والـنهار ، وعلمه عبادات تلك الساعات ، قال : ويقال أن أنساب بني آدم اليوم كلها تنتهي إلي شيث وسائر أولاده (آدم) غيره انقرضوا وبادوا...والله أعلم.

ولما توفي (آدم) عليه السلام وكان ذلك يوم الجمعة ، جاءته الملائكة بحنوط وكفن من الجـنة فقبضوه وغسلوه وكفنوه وحنطوه ، وحفروا له ولحدوه ، وصلوا عليه ثم أدخلوه في قبره ، ثم قالوا : يا بني آدم .. هذه سنتكم(١).

واختـلفوا فـي موضع دفنه ، فالمشهور أنه دفن عند الجبل الذي أهبط فيه في الهند ، وقيـل بجبل قبيس بمكة . ويقال أن نوحا عليه السلام كما كان زمن الطوفان حمله هو وحواء في تابوت فدفنها ببيت المقدس ، حكي ذلك ابن جرير ، وروي ابن عساكر عن بعضـهم أنـه قال : رأسه عند مسجد إبراهيم ورجلاه عند صخرة بيت المقدس ، وقد ماتت بعده حواء بسنة واحدة.

واختلف في مقدار عمره عليه السلام اكتتب في اللوح المحفوظ ألف سنة ، وإن ما ورد في التوراة إن كان محفوظا من أنه عاش تسعمائة وثلاثين سنة محمول علي مدة مقامه

---

(١) البخاري ج ١٤٦/٥.

الأرض بعـــد الأهباط (سنة شمسية) ، وهي بالقمرية تسعمائة وسبع وخمسون سنة ، ويضـــاف إلي ذلك ثلاث وأربعون سنة مدة مقامه في الجنة قبل الأهباط علي ما ذكره ابن جرير وغيره ، فيكون ألف سنة.

ونعلم مسبقا أنه لما مات (آدم) عليه السلام قام بأعباء الأمر بعده إلي ولده (شيث) عليه السـلام وكان ذلك نبيا ، ثم من بعده ولده (قنين) ثم من بعده ابنه (مهلابيل) ثم لما مات قـام بالأمـر بعـده ولده (يرد) ثم لما حضرته الوفاة أوحي إلي ولده (خنون أو إدريـس عـليه السلام) ونبي الله إدريس أو (خنوخ) هو في عمود ونسب خاتم الرسل محمـد ﷺ عـلي ما ذكره غير واحد من علماء النسب وكان قد أعطي النبوة بعد آدم وشيث ثم نأتي إلي سلسلة نسب نبي الله "نوح "

٣. نبي الله نوح عليه السلام

فـنقول : هـو (نـوح) بن (لامك) بن (متوشلخ) بن (خنوخ) (أي إدريس) بن (بـرد) بـن (مهيلابيـل) بـن (قنين) بن (أنوش) بن (شيث) بن (آدم) أبي البشر عليه السلام.

وولد (نوح) بعد وفاة(آدم) بمائة وست وعشرين سنة وكان بينهما (عشرة قرون).

كمـا قـال الحافظ أبو حاتم حبان في صحيحه : حدثنا محمد بن عمر بن يوسف حدثنا محمد بن عبد الملك بن زنجوية ، حدثنا أبو توبة ، حدثنا معاوية بن سلام ، عن أخيه زيـد بن سلام سمعت أبا أمامة : أن رجلا قال : يا رسول الله.. أنبي كان آدم ؟ قال : (نعم مكلم) قال : فكم كان بينه وبين نوح ؟ قال : (عشرة قرون).

(ونوح) عليه السلام إنما بعثه الله تعالي لما عبدت الأصنام والطواغيت . وشرع الناس في الضلالة والكفر ، فبعثه الله رحمة للعباد فكان أول رسول بعثه الله إلي أهل الأرض ، وكـان قومـه يقال لهم (بنو راسب) فيما ذكره ابن جبير وغيره ، واختلفوا في مقدار سـنة يوم بعث ، فقيل كان ابن خمسين سنة وقيل ابن ثلاثمائة وخمسين سنة وقيل ابن أربعمائة وثمانين سنة حكاها ابن جرير عن ابن عباس.

وقـد ذكـر الله قصـته وما كان من قومه ، وما أنزل بمن كفر به من العذاب بالطوفـان وكيف اتجاه الله في كتابه العزيز غير ما موضع في سورة الأعراف ويونس وهـود والأنـبياء والمؤمنون والشعراء والعنكبوت والصافات ، وفي سورة هود : قال

تعالي : "ولقد أرسلنا نوحا إلي قومه إني لكم نذيـر مبين * أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم * فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا " (الآيات الكريمة من ٢٥- ٢٧- هود).

وقـال تعالي : " ونوحا إذ نادي من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم * ونصـرناه مـن القـوم الذين كذبوا بآياتنا ، إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين " (الأنـبياء ٧٦- ٧٧) وتـبعا لمـا رواه ابن عباس : أنه كان بين بني آدم ونوح عشرة قرون كلهم علي الإسلام ، رواه البخاري ، ثم بعد ذلك القرون الصالحة انصرف القوم إلي عبادة الأصنام ، وكان سبب ذلك ما رواه البخاري من حديث ابن جريج عن عطاء ، عـن ابـن عباس عند تفسير قوله تعالي : (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سـوعا ولا يغوث ويعوق ونسرا)[1] (نوح – ٢٣) قال : هذه أسماء رجال صالحين من قـوم (نـوح) فلما ماتوا أوحي الشيطان إلي قومهم أن انصبوا إلي مجالسهم التي كانوا يجلسـون فيهـا أنصابا وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، حتى إذا هلك أولئك وانتسخ العلم عـبدوا هذه الأنصاب ، قال ابن عباس : وصارت هذه الأوثان التي كانت في قوم نوح فـي العـرب بعد ذلك وبهذا قال عكرمة والضحاك وقتادة ومحمد بن إسحاق وقالوا أن (ودا) كـان رجـلا صالحا وكان محببا في قومه فلما مات عكفوا حول قبره في أرض (بـابل) وجزعوا عليه ، فلما رأي إبليس جزعهم عليه تشبه في صورة إنسان ثم قال : أنـي أري جـزعكم عـلي هذا الرجل ، فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون في ناديكم فـتذكروه بـه ؟ قالوا : نعم فصور لهم مثله ، فلما رأي ما بهم من لهفة من ذكره قال :هـل لكـم أن اجعل في منزل كل واحد منكم تمثالا مثله ، ليكون في بيته لتذكرونه ؟ قـالوا : نعم ، قال : فمثل لكل أهل بيت تمثالا مثله ، فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به قال : وأدرك أبـناؤهم فجعـلوا يـرون ما يصنعون به قال : وتناسلوا ونست الأجيال أصل النصـب حتى اتخذوها آلهة يعبدونها من دون الله بين أولاد أولادهم ، وكان بذلك أول مـا عبد غير الله (ود) الصنم الذي سموه (ودا) وجعلوا ما صور تماثيل مجسدة لتكون أثبت ، ثم عبدت بعد ذلك من دون الله عز وجل[2].

---

(١) روي ابن حاتم عن عروة بن الزبير أنه قال : (ود) و(يغوث) و(يعوق) و(سواع) و(نسرا) أولاد آدم وكان (ود) أكبرهم وأبرهم به.

(٢) البخاري تفسير سورة نوح فقرة رقم (٤١٣).

وما من نبي إلا وقد أنذر قومه ، أنذر (نــوح) قومه فلم يستجيبوا ، وتطاول الزمان بيــن نــوح وقومـــه وطال جدالهم بلا إيمان وقالوا له فيما قالوه : " أنؤمن لك واتبعك الأرذلــون ، قــال وما علمي بما كانوا يعلمون ، إن حسابهم إلا علي ربي لو تشعرون وما أنا بطارد المؤمنين إن أنا إلا نذيرٌ مبين" (سورة الشعراء ١١١: ١١٥).

وعن مدة جدالهم قال تعالي (فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون) (العنكبوت١٤).

ومــع هــذه المدة الطويلة فما آمن به إلا قليل منهم وكان كلما انقرض جيل أوصوا من بعدهم الإيمان به ومحاربته ومخالفته ، وكانت سجاياهم تأبي الإيمان واتباع الحق.

"وأوحــي إلـــي نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن " (سورة هود٣٦).

وهــذه تعزية لنوح عليه السلام في قومه وبعدها يأتيه الأمر بصنع الفلك ليكون وسيلة نجاة أرادها الله لعباده ووقوع العذاب والإغراق بمن كفر وهم أولئك الذين اجتمع عليهم خطايــاهم مــن كفرهم وفجورهم ودعوة نبيهم عليهم ودعي نبي الله (نوح) علي قومه واســتجاب الله له ، وقال الثوري : أمره سبحانه أن يجعل السفينة طولها ثمانين ذراعا ،وأن يطــلي ظاهرها وباطنها بالقار وأن يجعل لها جؤجؤا أزور يشق الماء[1] وقالوا: وكــان ارتفاعهــا ثلاثين ذراعا وكانت ثلاث طوابق كل واحدة عشرة أذرع ، فالسفلي لــلدواب والوحــوش ، والوسطي للناس والعليا للطيور وكان بابها في عرضها ، ولها غطاء من فوقها مطبق عليها.

ولقــد دعــا (نوح) قومه سنين عدداً أن يعبدوا الله مالهم من إله غيره ولكنهم آثروا الكفر والعصيان قال تعالي : فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبــوا بآياتنا ، إنهم كانوا قوما عمين" (سورة الأعراف ٦٤).فقد كانوا عمين عن الحق فأصابهم الله بعذابه وبما يستحقون.

فنصـــحهم (نــوح) بطاعــة الخالق وعبادته وجاء لهم ليقتنعوا ولكنهم أبوا وقالوا : قال تعــالي : قالوا يا نوح قد جادلتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (٣٢) قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين (٣٣) (سورة هود).

---

(١) الجؤجؤ : صدر السفينة ، والزور . المائل المنحرف.

" وأوحي إلي نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون (٣٦) واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون (٣٧) (سورة هود) وقال تعالي : (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل (٤٠) وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم (٤١) وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادي نوح أبنه وكان في معزل يا بني أركب معنا ولا تكمن من الكافرين (٤٢) قال سآوي إلي جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين (٤٣) وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت علي الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين (٤٤) (سورة هود).

وعصوا الله وأمهلوا آثروا عصيان أوامر ربهم من طاعة وحسن سلوك واستقامة عبادة ، وجاءت علامة عذابهم حيث فار تنور الخباز بالماء ورآها (نوح ففهم ، وعلت المياه الأرض وهطلت أمطار السماء لتحمل سفينة نجاة المؤمنين بنوح ومن معه وتحركت تتقاذفها موج كالجبال اهلك الكافرين ، وأما السفينة وما فيها فقد حفظتها عناية المولي وينتهي مطافها بالأمر الإلهي :

(وقيل يا أرض ابلعي ماءك ، ويا سماء اقلعي) (سورة هود ٤٤).

فشربت الأرض مياهها ، وأمسكت السماء عن المطر ، واستوت السفينة علي مكان أراده الله لها ، واستقرت علي الجودى وهو جبل بالجزيرة بقرب " الموصل".

ونزل نوح بسلام من مولاه وبركات وخيرات عمته ومن كان معه من المؤمنين ، قال تعالي : " وقيل نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلي أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم " (سورة هود٤٨).

ولقد تمتعت أمم ممن رافق (نوح) ثم ضل جيل من بعدهم عن عبادة الخالق الواحد فاستحقوا ما سبق في علم الله وما توعدهم به من عذاب أليم لمن قبلهم.

وقال عز وجل : " ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لم ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبيانات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين (١٣) ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون (١٤) (سورة يونس).

تـــلك حكمـــة الله في خلقه من اهتدي فلنفســـه ومـــن ضـــل فعليها وما ربك بظلام للعبيد.

ولقـــد اختـــلف العلماء في عدد من كان مع نوح في السفينة فعن ابن عباس : كـــانوا ثمـــانين نفسا معهم نساؤهم ، وعن كعب الأخيار : كانوا اثنين وسبعون نفسا . وقيـــل كانوا عشرة ، وقيل إنما كانوا نوحا وبنيه الثلاثة ومعه من غير طائفة ممن آمن بـــه كمـــا جـــاء فـــي الـــتماس (نـــوح) مـــن ربه (ونجني ومن معي من المؤمنين) [الشـــعراء ١١٨] وقيل كانوا سبعة ، وأما امرأة نوح وهي أم أولاده كلهم – وهم : حام ، وســـام ، ويـــافث ، ويام ويسمية أهل الكتاب " كنعان" وهو الذي قد غرق – فقد مات قبل الطوفان ، وقيل إنها غرقت مع من غرق ، وكانت ممن سبق عليها القول لكفرها.

وهـــبط " نوح " سالما مباركا عليه وعلي أمم ستولد من أولاده ، وكانت مشيئة الله ألا يجعل لأحد ممن كان مع (نوح) وممن آمن نسلا ولا عقبا سوى (نوح) وأشارت إلـــي هذا الآية الكريمة قال تعالي : " وجعلنا ذريته هم الباقين " [الصافات : ٧٧] فكل من علي وجه الأرض اليوم من سائر أجناس بني آدم.

ينسبون إلي أولاد نوح الثلاثة وهم : سام وحام ويافث قال الإمام أحمد : حدثنا عـــبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة عن الحسن عن سمرة ، أن النبي صلي الله عليه سلم قال : "سام أبو العرب ، وحام أبو الحبش ، ويافث أبو الروم".

وقـــال الشيخ أبو عمر بن عبد البر : وقد روي عن عمران بن حصين عن النبي "ص" مـــثله. قـــال : [المـــراد بالروم هنا الروم الأولي وهم اليونان المنتسبون إلي رومي بن ليطى ابن اليونان بن يافث بن نوح عليه السلام.

ثـــم روي مـــن حديث إسماعيل عن يحي بن سعيد المسيب ، انه قال :ولد نوح ثلاثة : ســـام ويـــافث وحـــام وولد كل واحد من هذه الثلاثة ثلاثة : فولد سام ، العرب وفارس والروم.

وولد يافث : الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج.

وولد حام : القبط والسودان والبربر.

وقـــد قيل : "إن نوحا عليه السلام لم يولد له هؤلاء الثلاثة إلا بعد الطوفان ، وإنما ولد له قبل السفينة " كنعان" الذي قد غرق و"عابر" وقد مات قبل الطوفان،

وقـال قتادة وغيره : ركبوا السفينة في اليوم العاشـر من شهر رجب فساروا مائة وخمسـين يوما واستقرت بهم علي الجودى شهرا . وكان خروجهم من السفينة في يوم عاشوراء من المحرم.

وقـد روي ابن جرير خبرا مرفوعا يوافق هذا ، وانهم صاموا يومهم ذلك. وقال الإمام احمـد : حدثنا أبو جعفر . حدثنا عبد الصمد بن حبيب الأزدى عن أبيه حبيب بن عبد الله عـن شـبل عن أبي هريرة قال : مر النبي ﷺ بأناس من اليهود وقد صاموا يوم عاشـوراء ، فقـال " ما هذا الصوم " ؟ فقالوا هذا اليوم الذي نجي إسرائيل من الغرق. وغـرق فيـه فـرعون . وهـذا اليوم استوت فيه السفينة علي الجودى ، فصامه نوح وموسـى عـليهما السلام شكرا لله عز وجل فقال النبي ﷺ " أنا أحق بموسى وأحق بصوم هذا اليوم " وقال لأصحابه : من كان منكم أصبح صائما فليتم صومه. ومن كان مـنكم قد أصاب من غد أهله فليتم صومه ، ومن كان قد أصاب من غدا أهله فليتم بقية يومه"(١).

أما قبر (نوح) عليه السلام : فروى ابن جرير والأزرقي عن عبد الرحمن بن سابط أو غيره من التابعين مرسلا أن قبر نوح عليه السلام بالمسجد الحرام ، وهذا أقوي وأثبت مـن الذي يذكره كثير من المتأخرين من أنه ببلدة بالبقاع تعرف اليوم : " بكرك نوح " وهناك جامع قد بني بسبب ذلك.

قبيلة عاد ونبي الله (هود)

ومـن بعـد نوح بزمان عم الفساد في الأرض فكانت منهم قبيلة (عاد) الأولي الـتي سـكنت منطقة جبال الرمل (الأحقاف) وكانت باليمين بين (عمان وحضرموت) وتطـل منطقتهم علي البحر بأرض (الشحر) في وادي (مغيث) . وكانوا يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام ، وأفرادهم ذوي العماد فكان طول الطويل فيهم أربعمائة ذراع كمـا كـانوا أول مـن عبد الأصنام بعد الطوفان ، وكانت أصنامهم ثلاثة :.صمدا ، وصمودا ، وهرا.

---

(١) البخاري الصوم / ٣٩ ومسلم : صيام ١٢٦ ، وابن ماجة : صيام ٤١.

فبعث الله فيهم أخاهم (هودا)[١] عليه السلام فدعاهم إلي الله والأحداث جاءت في سورة الفجر " ألم تر كيف فعل ربك بعاد (٦) إرم ذات العماد (٧) التي لم يخلق مثلها في البلاد (٨) وثمود والذين جابوا الصخر بالواد (٩) وفرعون ذي الأوتاد (١٠) الذين طغوا في البلاد (١١) فأكثروا فيها الفساد (١٢) فصب عليهم ربك سوط عذاب (١٣) إن ربك لبالمرصاد (١٤) " (سورة الفجر) سبحانه يرصد أعمال العباد فلا يفوته منها شئ ليجازيهم عليها وقال تعالي : "كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر. انا أرسلنا عليهم ريحا صر صرا في يوم نحس مستمر ، تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر (١٩) سورة القمر.

وفي قوله تعالي : " وأما عاد فأهلكوا بريح صر صر عاتية(٦) سخرها عليهم سبع ليالي وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية(٧) هل تري لهم من باقية(٨) سورة الحاقة.

١. أي الرياح التي لا تقلح شجراً ولا تثير سحابا فلا خير لها ، كما وصفها القرآن الكريم : ما تذر من شئ أتت عليه إلا جعلته كالرميم (الذاريات : ٤٢) أي كالشيء الباقي الفاني.

٢. أما تفصيل إهلاكهم فقد ذكر المفسرون الخبر وفيما ذكره الإمام محمد بن إسحاق بن يسار قال : فلما أبوا إلا الكفر بالله عز وجل ، أمسك عنهم القطر ثلاث سنين ، حتى جهدهم ذلك ، فبعث عاد وفداً من سبعين رجلا ليستسقوا لهم ويطلبون من الله الفرج بحرمه بيته الحرام في مكة وقد سكنها (العماليق) وهم من سلالة (عمليق) بن لاوذ بن سام بن نوح ، وكان سيدهم إذ ذاك رجلا يقال له معاوية بن بكر وكان يقطن بظاهر مكة فمروا به وأقاموا عنده شهرا ، يشربون الخمر وتغنيهم قينتان (جاريتان) لمعاوية وطال مقامهم فترة تنبيه الوفد لما جاءوا من أجله ، ونهضوا إلي (الحرم) يدعون لقومهم ودعا رئيسهم (قيل بن عنز) ، فأنشأ الله سحابا ثلاثا : بيضاء وحمراء وسوداء ، ثم ناداه مناد من السماء : اختر لنفسك أو لقومك– من هذا السحاب ، فقال : اخترت السحابة السوداء فأنها أكثر السحاب ماء

---

(١) هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ويزيدنا ابن جرير فيقول هو : (هود بن عبد الله بن رباح الجارود بن عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام

، فناده مناد : اخترت رمادا ومددا لا تبقي من عاد أحدا ، لا والدا ولا ولدا ، إلا جعلته همدا إلا بني (اللوزية) قيل هم بطن من عاد كانوا مقيمين (بمكة). فلم يصيبهم ما أصاب قومهم ، وقيل ومن بقي من أنسابهم وأعقابهم هو (عاد الآخرة).

وقالوا : وساق الله السحابة التي اختاره (قيل بن عنز) بما فيها من النقمة إلي (عاد) حيث خرجت عليهم من واد يقال له (المغيث) فلما رأوها استبشروا وقالوا : هذا عارض ممطرنا.فيقول تعالي: "بل هو ما استعجلتم به ، ريح فيها عذاب أليم. تدمر كل شئ بأمر ربها " (الأحقاف : ٢٥) وذكروا : واعتزل (هود) عليه السلام في حظيرة مع جماعته المؤمنة ، ما يصيبهم إلا ماتلين عليه الجلود ، وتلذ الأنفس وروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه ذكر صفة قبر (هود) عليه السلام في اليمن ، وذكر آخرون أنه بدمشق بجامع دمشق في حائطه القبلي... والله أعلم(١).

ودائما هناك عقاب الله ، ولكنه سجانه يمهل لعل المخطئ يعود أو يستغفر ، أما المصرون الخارجون عن الطاعة المقبلون علي الإفساد في الأرض فينتظرهم ما نزل بغيرهم من المفسدين من عقاب وينقلنا ذلك إلي صور العناد رفض الهداية وإيثار الإفساد والكفر في عصري قبائل (ثمود) مع نبي الله الصالح ، ثم ما حدث مع نبي الله (إبراهيم عليه السلام) ، لننتقل بعد ذلك إلي ما هو متواصل وحادث في عصرنا.

٤- قبائل (ثمود) مع نبي الله (صالح عليه السلام)

(وثمود) قبيلة مشهورة تسمت بأسم جدهم (ثمود بن عاثر بن إرم بن سام بن نوح). وكانوا عربا من العاربة يسكنون منطقة (الحجر) (التي بين الحجاز وتبوك) وقد مر خاتم الأنبياء محمد ﷺ بهذا الموقع وهو ذاهب إلي تبوك ، وكانوا يعبدون الأصنام فبعث الله فيهم رجلا منهم هو : صالح بن عبيد بن ماسح بن عبيد بن حادر بن ثمود بن عاثر بن إرم بن نوح ، فدعاهم إلي عبادة الله وحده وأن يتركوا الأصنام ولا يشركوا بالله شيئا فأمنت بدعوته طائفة وكفر جمهورهم ، وفي صحيح ابن

(١) البخاري ج ٦/ ٢٣٨ تفسير سورة الأحقاف.

حبان عن أبي ذر في ذكر الأنبياء والمرسلين قال ﷺ : (منهم أربعة من العرب : هود ، وصالح ، وشعيب ، ونبيك يا أبا ذر). ويقال أن هودا عليه السلام أول من تكلم بالعربية ، وزعم (وهب بن منبه) أن أباه أول من تكلم بها ، وقال غيره : أول من تكلم بها (نوح) ، وقيل (آدم) وهو الأشبه ، وقيل غير ذلك والله أعلم. ويقال للعرب الذين كانوا قبل إسماعيل عليه السلام ، العرب العاربة وهم قبائل كثيرة : منهم عاد ، وثمود ، وجرهم ، وطسم ، وجديس وأميم ، ومدين ، وعملاق ، وجاسم ، وقحطان ، وبنو يقطن ، وغيرهم.

أما العرب المستعربة فهم ولد إسماعيل بن إبراهيم وقد تكلم (إسماعيل) العربية الفصيحة وكان قد أخذ كلام العرب من قبيلة (جرهم) الذين نزلوا عند أمه (هاجر) بالحرم بمكة ، ولقد أنطقه الله بها في غاية الفصاحة والبيان ، وكذلك كان يتلفظ بها رسول الله ﷺ ، وذكر المفسرون أن (ثمودا) اجتمعوا يوما في ناديهم فجاءهم نبي الله (صالح) فدعاهم إلي الله ، فحذرهم ووعظهم ، فقالوا له : إن أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة – أشاروا إلي صخرة هناك ناقة ، من صفتها كيت وكيت ، وذكروا أوصافا سموها وتعنتوا فيها ، أن تكون عشراء فقال لهم : أرأيتم أن أجبتم إلي ما سألتم ، أتؤمنون بما جئتكم به ؟ قالوا : نعم ، ثم قام إلي مصلاه فصلي لله عز وجل ، ثم دعا ربه عز وجل أن يجيبهم إلي ما طلبوا ، فأمر الله عز وجل تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة عشراء ، فلما عاينوها آمن كثير منهم[١] كما استمر أكثرهم علي كفرهم وعنادهم.

وبقيت هذه الناقة بين أظهرهم ترعي حيث شاءت وترد الماء تشربه يوما وتشرب القبيلة في اليوم عدم شربها وكانوا يشربون من لبنها كفايتهم ، ولكنهم استاءوا من هذا الوضع بعد فترة حتى اجتمع علماؤهم ، واتفق رأيهم علي أن يعقروا هذه الناقة ليستريحوا منها ويتوفر عليهم ماؤهم وقد أمروا بعدم إيذاء هذه الناقة قال تعالي : " ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب " (هود : ٦٤) وذكر ابن جرير وغيره من علماء المفسرين أن امرأتين من (ثمود) اسم إحداهما

---

(١) وكان رئيس الذين آمنوا : جندع بن عمرو بن محلاة بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم.

(صـــدوق) ابنة المحيابن زهير بن مختار ، وكانت ذات حسب ومقام فدعت ابن عــم لها يقال له " مصدع بن مهرج بن المحيا " وعرضت عليه نفسها أن هو عقر الـناقة ، واسـم الأخـرى " عنيزة بنت غنيم بن مجلز وتكني" " أم غنيمة " وكانت عجـوزا كافـرة ، لهـا بنات من زوجها (ذؤاب بن عمرو) أحد الرؤساء فعرضت بناتها الأربع علي (قدار بن سالف بن جندع).

إن عقـر الناقة فله أي بناتها أن شاء ، فانتدب هذان الشابان لعقرها ، واستجاب لهم سبعة آخرون فصاروا تسعة ، وهم المنكورون في قوله تعالي : " وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون " (النحل : ٤٨)

وزيـن لهـم الشيطان أعمالهم قال تعالي : (فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح أتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين)[الأعراف : ٧٧].

وسـعي التسـعة في بقية القبيلة فحسنوا لهم عقرها ، فانطلقوا يرصدون الناقة فـلما صـدرت من شربها كمن لها (مصرع بن مهرج بن المحيا) فرماها بسهم ، وأسـرع " قـدار بـن سالف " فشد عليها بالسيف فخرت ساقطة إلي الأرض ، ثم ابـتدروها بأسيافهم يقطعونها فلما عاين ذلك وليدها- شرد عنهم وعلا أعلي الجبال هناك.

ورغـا ثلاث مرات لهذا قال لهم صالح عليه السلام : (تمتعوا في داركم ثلاثة أيام يأتي بعدها عقاب الله : فقال بعضهم لبعض لنقتل صالح ومن آمن معه ليلا ثم نقول لأوليـاء دمهـم مـا حضرنا وقت قتلهم ولا ندري من قتلهم وإنا لصادقون وفعلوا فجازاهم الله علي فعلهم ومكرهم بتعجيل عقوبتهم. قال تعالي : " قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لولية ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون" (٤٩)

.. قتـلوا ناقـة الله وبيـتوا النية لقتل (صالح) وأهله ومن آمن ثم بيتوا النية بإنكار فعلهم إن طالبهم أولياؤهم بدمائهم.

قـال تعـالي : " ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون ، فانظر كيف كانت عاقبة مكرهم إنا دمرناهم وقومهم أجمعين ، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ، إن في ذلك لآية لقوم يعلمون ، وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون " النمل : ٥٠- ٥٣"

وذلك إن الله تعالي أرسل علي أولـئك النفر الذين قصدوا قتل صالح حجارة فأهـلكهم قـبل قومهم ، وأصبحت (ثمود) يوم الخميس- وهو اليوم الأول من أيام الـنظرة- ووجوههم مصفرة ، كما انذرهم (صالح عليه السلام) ، فلما أصبحوا في اليـوم الثاني من أيام التأجيل وهو يوم الجمعة ووجوههم محمرة ، فلما أصبحوا في اليـوم الثالث وهو يوم السبت ووجوههم مسودة ، فلما كان صبيحة يوم الأحد فلما أشـرقت الشـمس جاءتهم صيحة السماء ، ورجفة من أسفل منهم ففاضت الأرواح وزهقـت الـنفوس فأصـبحوا في دارهم جاسمين ، جثثا لا أرواح فيها ولا حراك وقـالوا لـم يـبق منهم أحد إلا جارية كانت شديدة الكفر والعداوة (لصالح) وكانت معقـدة وأسـمها (كلـبة بنت السلق) ويقال لها (الذريعة) ولما رأت العذاب أطلقت رجلاهـا وقامت تسعي حتى أتت حياً من العرب فأخبرتهم بما رأت وما حل بقومها استسقتهم ماء ، وماتت بعد أن شربته.

وانقرض جيل وآتي جيل آخر لننتقل إلي أحداث قصة أخري للفساد والمفسدون فـي مجـتمع رفـع فيه (إبراهيم الخليل عليه السلام)(1) راية السلام والاستسلام لله سبحانه عبادة وطاعة وإصلاحا.

وحكي الحافظ بن عساكر في ترجمة إبراهيم الخليل من تاريخه عن إسحاق بن بشـر الكاهلي صاحب كتاب (المبدأ) ، إن اسم إبراهيم هو (أميله) ثم أولت عنه في خـبر والدتها لها حكاية طويلة وقال الكلبي إن اسم والدته هو " بونابنت " وهي بني أرفخشذ بن سام بن نوح وروي بن عساكر من غير وجه عن عكرمة أنه قال كان إبـراهيم عـليه السـلام يكـني أبا الضيفان وقالوا ولما كان عمر " تاريخ " خمسا وسـبعين سنة ولد له إبراهيم عليه السلام وناحور وهاران وولد (لماران) " لوط " ، وعـندهم أن إبـراهيم عـليه السلام هو الأوسط وأن هاران مات في حياة أبيه في أرضه التي ولد بها وهي أرض الكلدانيين يعنون أرض " بابل ".

وهـذا هو المشهور الصحيح عند أهل السير والتواريخ والأخبار وصحح ذلك الحـافظ بـن عسـاكر عن هشام بن عمار عن الوليد بن سعد بن عبد العزيز عن

---

(١) هو إبراهيم بن تارخ "٢٥٠" بن ناحور "١٤٨" بن ساروغ "٢٣٠" بن راغوا "٢٣٩" بن فالغ "٤٣٩" بن عابر "٤٦٤" بن شالح "٤٣٣" بن أرفخشذ "٤٣٨" بن سام "٦٠٠" بن نوح عليه السلام وهذا نص أهل الكتاب في كتابهم ، وأعمارهم كما ذكروا

مكحــول عــن عباس قال : ولد إبراهيم بغوطــة دمشــق فــي قرية يقال لها (بــرزة) في جبل يقال له قاسيون ، ثم قال والصحيح أنه ولد ببابل وإنما نسب إليه هــذا المقــام لأنه صلي فيه إذ جاء معينا للوط عليه السلام ، وقالوا فتزوج إبراهيم ســارة بــنت هــاران يعنون ابنة أخيه وقالوا وكانت (سارة) عاقرا لا تلد وقالوا : انطــلق تارخ بابنه وامرأته سارة وابن أخيه (لوط) بن هاران فخرج بهم من أرض الكــلدانيين إلــي أرض الكــنعانيين فنزلوا أرض (حران) فمات فيها (تارخ) وله مائــتان وخمســون ســنة وهــذا يدل علي أنه لم يولد بحران وإنما مولده بأرض الكــلدانيين وهي أرض بابل وما والاها ثم ارتحلوا قاصدين ارض الكنعانيين وهي بــلاد بيــت المقــدس فأقاموا بحران وهي أرض الكلدانيين في ذلك الزمان أرض الجزيــرة والشام أيضا وكانوا يعبدون الكواكب السبعة والذين عمروا مدينة دمشق كانوا علي هذا الدين يستقبلون القطب الشمالي ويعبدون الكواكب السبعة بأنواع من الفعــال والمقــام ولهــذا كان علي كل باب من أبواب دمشق السبعة القديمة هيكل لكوكب منها ويعملون لها أعيادا وقرابين.

وهكــذا كــان أهــل حران يعبدون الكواكب والأصنام وكل من كان علي وجه الأرض كانوا كفارا سوي إبراهيم الخليل وامرأته وابن أخيه لوط عليه السلام وكان إبــراهيم الخليل هو الذي أزال الله به ضلالات الكفر وآتاه الله سبحانه وتعالي رشده في صغره وابتعثه رسول واتخذه خليلا في كبره وكان أول دعوته لأبيه وكان أبوه ممن يعبدون الأصنام فأخلص له النصيحة لكونه أحق الناس بها وجاء ذكر ذلك في القــرآن الكــريم ، قال تعالي : " واذكر في الكتاب إبراهيم أنه كان صديقاً نبيا . إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا . يا أبت إني قد جــاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا ، يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشــيطان كان للرحمن عصيا ، يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فــتكون للشيطان وليا ، قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجــرني مــليا ، قــال ســلام عــليك سأســتغفر لــك ربي إنه كان بي حفيا " [مــريم ٤١: ٤٧] وكذلك أهل بابل فكانوا يعبدون الأصنام وهم كذلك أهل " بابل " فكــانوا يعبدون الأصنام وهم الذين ناظرهم " إبراهيم " في عبادتها وكسرها عليهم

كما ورود في القرآن : " وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا. ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين "(العنكبوت : ٢٥) وعن أهل الكتاب ، أن إبراهيم عليه السلام خرج من أرض بابل وابن أخيه " لوط " وأخوه " ناحور " وامرأة إبراهيم سارة[١] وامرأة أخيه " ملكا " فنزلا حران ، فمات " تارخ " أبو إبراهيم بها ، وذكر أهل الكتاب أن إبراهيم لما قدم الشام أوحي الله إليه : "إني جاعل هذه الأرض لخلفك من بعدك " فابتنى إبراهيم منزلا لله شكرا علي هذه النعمة وضرب قبته شرقي بيت المقدس ، ثم أنتقل مرتحلا حيث عم جوع وقحط وغلاء في المنطقة ، فارتحلوا إلي مصر.

وقال الإمام احمد : " ودخل علي إبراهيم قرية فيها ملك أو جبار وانتشر خبر أن إبراهيم دخل الليلة القرية بصحبة امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه الجبار : من هذه معك ؟ فقال : أختي ، قال : فأرسل بها ، قال : فأرسل بها إليه ، فلما دخلت عليه قام إلها ، فأقبلت تتوضأ وتصلي وتقول اللهم إن كنت تعلم أني آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا علي زوجي فلا تسلط علي الكافر وتكرر الموقف فقال في الثالثة أو الرابعة : ما أرسلتم إلا شيطانا ، أرجعوها إلي إبراهيم وأعطوها "هاجر دعت الله بما تقدم من الدعاء فعصمها الله وصانها لعصمة عبده ورسوله وخليله إبراهيم عليه السلام وبهذا جاء قوله تعالي : واستعينوا بالصبر والصلاة " [البقرة :٤٥].

وذكر بعض أهل التواريخ أن فرعون مصر هذا كان أخا للضاحك الملك المشهور بالظلم وكان عاملا لأخيه علي مصر ، ويقال كان أسمه (سنان بن عوان بن عويج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح) وذكر ابن هاشم في التيجان : إن

---

١) قال السدى : انطلق إبراهيم ولوط قبل الشام ، فلقي إبراهيم " سارة " وهي ابنة ملك حران- وقد طعنت علي قومها في دينهم – فتزوجا إبراهيم عليه السلام ، وأول من ولد له : إسماعيل من هاجر القبطية المصرية ، ثم ولد له " إسحاق " من "سارة" بنت خليل بنت عم الخليل . ثم تزوج "قنطورا" بنت (يقطن) الكنعانية فولدت له ستة :" مدين ، زمران ، سرج ، يقشان ، نشق ، ولم يسم السادس ثم تزوج بعدها " حجون" بنت أمين ، فولدت له خمسة : كيسان ، سورج ، أميم ، لوطان ، نافس " هكذا ذكره أبو القاسم السهيلي في كتاب (التعريف والأعلان) ذكر الطبري " تاريخ الطبري ١/ ٢٠٥ " فقال : إبراهيم وهاران وناحور أخوه ، وأن (لوطا) هو بن هاران بن تاريخ البخاري أنبياء (٨) زنكا (١٢) . ومسلم فضائل ١٥٤ والترمزي تفسير سورة الأنبياء والحديث رقم (٣١٦٦).

الجبار الذي أرادها هو عمرو بن امرئ القيس بن مايلون بن سبأ ، وكان علي مصر نقله السهيلي .. والله أعلم ورجع الخليل من مصر إلي أرض التيمن أي أرض بيت المقدس وما والاها ، ومعه دواب وعبيد وأموال وصحبتهم "هاجر" القبطية المصرية كما تحرك "لوط" بما ملك من أموال إلي أرض "الغور" المعروف (زعر) فنزل بمدينة (سدوم)[١] وهي عاصمة هذه البلاد وكان أهلها أشرار كفارا فجارا ، أحاطت منهم ب "لوط" فأسروه فلما بلغ الخبر إبراهيم الخليل سار إليهم في ثلاثمائة وثمانية عشر رجلا فاستنقذ "لوطا" عليه السلام واسترجع أمواله ، وقتل أعداء الله خلقاً كثيراً وتتبع الفارين حتى وصل إلي شمالي دمشق ، ثم رجع إلي أرض بيت المقدس.

ولما رجعت "هاجر" وضعت إسماعيل عليه السلام قالوا : وولدته ولإبراهيم من العمر ست وثمانون سنة ، قبل مولد "إسحاق" بثلاث عشرة سنة وماتت "سارة " قبل الخليل إبراهيم بقرية "حبرون" في أرض كنعان ولها من العمر مائة وسبع وعشرون سنة فيما ذكر أهل الكتاب فحزن عليها ورثاها الخليل كما أشترى لها " مغارة دفن فيها "سارة " من رجل من بني "حيث" يقال لها "عقرون بن صخر " باربعمائة مثقال ، ثم تزوج عليه السلام " قنطورا " فولدت له " زمران ، يقشان ، مادان ، مدين ، شياق ، شوح.

وجاء من أخبار أهل الكتاب قالوا : ثم مرض إبراهيم عليه السلام ، مات عن مائة وخمس وسبعين وقيل تسعين سنة ودفن إلي جوار زوجته " سارة " وتولي دفنه إسماعيل وإسحاق عليهما السلام.

ومن خلال هذا السرد التاريخي أبصرنا زمان الشر بين النمرود في العراق وعباد الأصنام والكواكب أمام موجة الإيمان والطهر والدعوة إلي الله تحت لواء " الخليل إبراهيم " في حقبة قضت علي شرور قوم "لوط" ساكني مدينة "سدوم" وكانوا فجارا أشرار كفارا لتعلوا دعوة الحق وتفر أمامها طوائف الكفر ، وقد مات ، وتابع غيرهم المناهج لتستمر موجات الفساد والإفساد.

---

(١) سدوم : مدينة قديمة في فلسطين علي شاطئ البحر الميت ، وهي قرية قوم لوط ، وجاء عن أهل الكتاب أن الله أمطرها مع مدينة " عامورة " نارا قصاصا علي خطايا أهلها

٥- نبي الله " شعيب " وأهل مدين

كان أهل مدين[1] كفار يقطعون السبيل ويخيفون المارة ويعبدون " الأيكة وهي شجرة من الأيك ، كم كانوا من أسوأ الناس معاملة ، يبخسون الميزان والمكيال ، ويطففون فيهما ، يأخذون بالزائد ويدفعون بالناقص. وفي حديث " أبي ذر" في صحيح ابن حبان في ذكر الأنبياء والرسل قال : (أربعة من العرب : هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر" وكان بعض السلف يسموا شعيبا " خطيب الأنبياء " يعني لفصاحته في دعوة قومه إلي الإيمان بالله عبادته وحده سبحانه. قال تعالي : " وإلي مدين أخاهم شعيبا ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم " وفي الآية إشارة إلي ما أجرى الله علي يديه من المعجزات التي لم ينقل إلينا تفصيلها.

وحذرهم شعيب من نتائج سوء أعمالهم وكان ردهم من كتاب الله قوله تعالي : " يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز (هود)وهم في قولهم هذا يوافقون ما قاله كفار قريش لرسول الله (ص): "وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون "فصلت :٥ "وفى قوله تعالى قالوا :إنما أنت من المسحرين ، وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين قال ربى أعلم بما تعملون " الشعراء :١٨٥ :١٨٨ ،قال تعالى "فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم "الشعراء :١٨٩ . قال المفسرون : إنهم أصابهم حر شديد ، واسكن الله هبوب الهواء عنهم سبعة أيام ، فكان لا ينفعهم مع ذلك ماء ولا ظل ولا دخولهم الأسراب ، فهربوا من محلتهم إلي البرية فأظلتهم سحابة ، فاجتمعوا تحتها ليستظلوا بظلها ، فلما تكاملوا فيه أرسلها الله ترميهم بشرر وشهب ورجفت بهم الأرض ، وجاءتهم صيحة من السماء ، فأزهقت الأرواح ونجي شعيبا ومن معه من المؤمنين ، لقوله تعالي : "ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه

---

(١) كان أهل مدين عربا ومدينتهم قريبة من أرض "معان"من أطراف الشام مما يلي ناحية الحجاز قريبا من بحيرة " لوط" ، وهم من بني مدين بن مديان بن إبراهيم الخليل وشعيب نبيهم : هو ابن ميكيل بن يشجن ذكره بن إسحاق قال : ويقال له بالسريانية " يترون" ويقال شعيب بن شيخر بن لاوي ابن يعقوب ، ويقال : شعيب بن نويب بن عيفا بن مدين بن إبراهيم ، ويقال شعيب بن صيفور بن عيفا بن ثابت بن مدين بن إبراهيم وقيل غير ذلك في نسبه ، وقال عساكر ، ويقال أمه بنت لوط وكان ممن آمن بإبراهيم يوم رمي في النار وهاجر معه إلي الشام ، فزوجه بنت لوط عليه السلام ذكره ابن قتيبة وفي هذا أكلة نظر ...والله تعالي أعلم.

بـرحمة مـنا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ، كأن لم يغـنوا فيها ، ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود " (هود ٩٥) وقد ذكر الحافظ بن عساكر فـي تاريخـه عـن ابـن عـباس : أن شـعيبا " عليه السلام كان بعد " يوسف" عليه السلام.وعن وهب بن منبه : أن شعيبا مات " بمكة " ومن معه من المؤمنين ، وقبورهم غـربي الكعـبة بيـن دار الندوة ودار بني سهم.وتعاقبت ذرية إبراهيم عليه السلام ، إسماعيل(١) وإسحاق(٢) ويعقوب(٣)

---

(١) إسماعيل : بكر إبراهيم الخليل من هاجر القبطية المصرية عليها السلام تركه الخليل وأمه وكان رضيعا في وهاد جبال " فاران" وهي المحيطة بمكة وليس معها من الزاد والماء إلا قليل فأحاطهما الله بعنايته ومن عليهما ببئر"زمزم" وساق إليهما أفئدة من الناس ، وشب إسماعيل ورأي الوالد "إبراهيم" الخليل في منام له أنه يذبح ولده وبعرض الرؤيا علي "من أصبح في حكم الذبيح "إسماعيل" عليه السلام وجد طاعة من إسماعيل وامتثالا لأمر الله ، ويهم الوالد بالذبح ويأتي فرج الله بعد صدق الطاعة والامتثال المطلق وتنزل الملائكة من السماء بكبش فداء لإسماعيل يذبح بدلا منه جزاء من ربك ورحمة : قال تعالي : فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ من السعي قال يا بني إني أري في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت افعل ما تؤمر ، ستجدني إن شاء الله من الصابرين " الصافات :(١٠٢:١٠١)
وقال تعالي : واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا (مريم : ٥٤:٥٥)

ولقد كان "إسماعيل" نبيا يوحي الله إليه بالأوامر والأحكام ليبلغها قومه ، والقرآن الكريم يخاطب خاتم الرسل "محمدا" ﷺ مشيرا إلي هذا ، قال تعالي : "إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلي نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا إلي إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط "النساء : الآية : ١٦٣".

وذكر المؤرخون أن نبي الله إسماعيل كان أول من ركب الخيل واستأنسها عن عبد الله عمرو قال : إن رسول الله ﷺ قال: "اتخذوا الخيل واعتقبوها فإنها ميراث أبيكم إبراهيم"
(اعتقبوها : توارثوها) : وأول من تكلم العربية الفصيحة وكان قد تعلمها من العرب العاربة الذين نزلوا عندهم بمكة من جرهم والعماليق وأهل اليمن.

قال الأموي : حدثني علي بني المغيرة عن محمد بن علي بن الحسين ، عن أبائه ، عن النبي ﷺ : ولقد تزوجت لما شب امرأة من العماليق ، وإن "الخليل" أمره بفراقها ففارقها قال الأموي : هي "عمارة بنت سعد بن أسامة بن أكيل العماليقي ، ثم تزوج غيرها فأمره أن يستمر بها وهي السيدة " بنت مضاض بن عمرو الجرهمي " وقيل هذه ثالثة فولدت له اثني عشر ولدا ، وقد سماهم محمد بن إسحاق وهم : نابت ، وقيذر ، أزبل، ميشي، مسمع، دوصا ، أرر ، يطور ، نبشي ، طيما ، قيذما ، وهكذا ذكرهم أهل الكتاب. وكان إسماعيل رسولا إلي قبائل جرهم والعماليق وأهل اليمن. ولما حضرته الوفاة أوصي لأخيه إسحاق. "وأول من فتق لسانه بالعربية المبينة إسماعيل ، وهو ابن أربع عشرة سنة"

(٢) وزوج ابنته "نسمة" من ابن أخيه "العيص" بن إسحاق، فولدت له الروم، ويقال لهم بنو الأصفر ، لصفرة كانت في "العيص" وولدت له اليونان في أحد الأحوال. ومن ولدا "العيص" الأشبان قيل منهما أيضا ، وتوقف ابن جرير رحمه الله ودفن نبي الله "إسماعيل" بالحجر مع أمه هاجر "(وكان عمره يوم مات مائة وسبعا وثلاثين سنة).
وروي عن عمر بن عبد العزيز أنه قال : شكا إسماعيل عليه السلام إلي ربه عز وجل حر "مكة " فأوحي الله إليه : أني سأفتح لك بابا من الجنة إلي الموضع الذي ستدفن فيه يجرى عليك روحها يوم القيامة. وعرب الحجاز كلهم ينتسبون إلي ولديه : نابت ، وقيذار

(٣) "إسحاق بن إبراهيم" ولد ولأبيه مائة سنة ، بعد أخيه إسماعيل بأربع عشرة سنة ، وكان عمر أمه سارة حين بشرن به تسعين سنة وكان نبيا يبلغ عند ربه لهداية قبائل "أرض حران " وما حول منطقة "شخيم بن جمور " ومنطقة حبرون في أرض كنعان حيث كان يسكن إبراهيم الخليل وكانوا يعبدون الأصنام ، وذكر أهل الكتاب أن إسحاق لما تزوج "رفقا" بنت "بتوابيل" في حياة أبيه كان عمره أربعين سنة ، وأنها كانت عاقر فدعا الله فحملت فولدت غلامين توأمين أولهما "عيصو" وهو تسمية العرب "العيص" وهو والد الروم. والثاني سموه يعقوب(٣) لأنه يعقب أخيه فسموه "يعقوب" وهو إسرائيل الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل، وأمرته أمه أن يذهب إلي خاله "لابان" بأرض حران وأن يتزوج من بناته فلما أتاه وعده بأن يزوجه بعد أن يقوم برعي غنمه سبع سنين، ومضت السنون فزوجه "ليا" ابنته الكبرى وكانت قبيحة المنظر فلما اكتشف ذلك أبدى رغبته في الزوج من الأبنة الصغرى "راحيل" فاشترط خاله لتنفيذ رغبته أن يعمل سبع سنين أخري.] ففعل، ثم جمع بين الأختين علي أن حرمه الإسلام فيما بعد قال تعالي:"وإن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف"[النساء٢٣].

وجبر الله ضعف وقبح زوجته "ليـا" بأن وهب لها أولاد هم "ربيل ، شمعون ، لاري ، يهـوذا. أما (راحيل) فكانت عاقرا وكانت لها جارية أسمها "بلهي"[١] لغيرتها وهبـتها ليعقـوب فحمـلت منه وولدت له : (دان) ثم (نيفتالي) و(ايساخر) و(زابلون) وديـنا) ثـم دعـت "رحيل" ربها أن يهبها غلاما فأجاب دعاءها وولدت له غلام سمته "يوسف" ومكث يعقوب عند خاله "لابان" بأرض "حران" عشرين سنة ، وصار ليعقوب عـليه السـلام أغنام كثيرة وعبيد حتى أوحي الله إليه ، أن يرجع إلي بلاد أبيه وقومه فـتحرك ركبه حتى أقترب من أرض "ساعير" حيث تلقته الملائكة يبشرونه ، ثم تحرك حـتى مر "بساحور" ثم أورشليم وقرية "شخيم" فاشترى مزرعة "شخيم بن جمور" بمائة نعجـة وابتـني بيتا ومذبحا سماه "أيل" وهو بيت المقدس اليوم ، في الذي جدده سليمان بن داود عليهما السلام ، وهو مكان الصخرة.

ثم حملت "راحيل" فولدت غلاما هو "بنيامين" وماتت عقب ولادته فدفنها يعقوب في قبر معروف بأسمها إلي اليوم في منطقة أفرث.

وعلي نفس المنهج أنعم الله علي يوسف ابن راحيل ويعقوب عليه السلام اجتباه ربـه وأوحـي له وقـد كان ليعقوب من البنين أثنا عشر ذكرا تنسب إليهم أسباط بني إسـرائيل كلهم وكان أشرفهم وأعظمهم يوسف عليه السلام واستدلت طائفة من العلماء عـلي أن أخوتـه الآثـنا عشر أوحي إليهم أيضا وهم الأسباط التي أشارت لها آية آل عمـران قـال تعـالي :"قل آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل علي إبراهيم وإسماعيل وإسـحاق ويعقـوب والأسـباط" ، فالأسباط هم أخوته وقال غيرهم المقصود بالأسباط شعوب بني إسرائيل ، وما كان يوجد فيهم من أنبياء نزل عليهم الوحي.

وممـا يؤيـد أن يوسف عليه السلام هو المختص من بين أخوته بالنبوة ما قاله الإمـام أحمد حدثنا عبد الصمد ، حدثنا عبد الرحمن ، عن عبد الله بن دينار ، عن أبيه

---

(١) تاريخ الطبري ج ١/ ٢٢٥

ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ قال :" الكريم بن الكريك بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم" والله أعلم حيث يجعل رسالته.

٦- نبي الله يوسف بن يعقوب عليه السلام

ولقد كان ذكر يوسف ونبوته علامات تعلم الناس الاحتراس من الحسد والحاسدين وكيدهم فإن كل ذي نعمة محسود حيث جاء في بعض الآثار استعينوا علي قضاء حوائجكم بكتمانها فإن كل ذي نعمة محسود (الجامع الصغير رقم ٩٨٥).

وجاء ذلك في قوله تعالي : " لقد كان يوسف وأخوته آيات للسائلين إذ قالوا ليوسف وأخوه احب إلي أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين ، اقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين "(يوسف : ٧: ١٠)

الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم " تاريخ الطبري " (ح١/ ٢٢٤).

الحديث عن الأكرمين يستوجب منا إشارات لازمة عن " نبي الله إبراهيم الخليل.

قال محمد بن إسماعيل الحساني الواسطى حدثنا أبو معاوية عن يحي بن سعيد ، عن المسيب عن أبي هريرة قال : قال إبراهيم أول من تسرول ، وأول من فرق ، وأول من استجد ، وأول من اختتن بالقدوم ، وأول من قري الضيف ، وأول من شاب.

هكذا رواه موقوفا وهو أشبه بالمرفوع.

وقال مالك بن يحيى بن سعيد بن المسيب قال كان إبراهيم أول من أضاف الضيف.

وأول الناس اختتن وأول الناس قص شاربه وأول الناس رأي الشيب فقال يا رب ما هذا ، فقال الله : "وقار" فقال الله يا رب زدني وقارا.

وقد تواتر أمة وجيلا بعد جيل من زمن بني إسرائيل وإلي زماننا .. أن قبر إبراهيم الخليل وقبر ولده إسحاق وقبر ولده يعقوب في المربعة التي بناها سليمان بن داود عليه السلام ببلد حبرون وهو البلد المعروف بأسم الخليل اليوم.

أما عن أولاد الخليل إبراهيم فلقد كان إسماعيل أول من ولد له من هاجر القبطية المصرية ، ثم ولد له إسحاق من سارة بنت عم الخليل ، ثم تزوج بعدها قنطورا بنت يقطن الكنعانية وولدت ستة : "مدين ، زمران ، سرج ، يقشان ، نشط ، ولم يسمي السادس " ثم تزوج بعدها حجون بنت أمين فولدت له خمسة : (كيسان ،

ســورج ، أميم ، لوطان ، نافس) هكذا نكــره أبو القاسم السهيلى في كتاب التعريف والإعلان.

ومما وقع في حياة إبراهيم الخليل من أمور عظيمة

قصــــة لوط عليه السلام وما حل لهم من نعمة الله ، ذلك أن لوطا بن هاران بن تاريخ وهو آزر ولوط ابن أخي إبراهيم الخليل فإبراهيم وناحور أخوة ويقال أن هاران هــو الــذي بــني (حران) والله تعالي أعلم وكان " لوط" قد نزح عن محله عمه الخليل عليهما السلام بأمره لهم ، فنزل بمدينة "سدوم"من أرض "غور زغر[1]" وكان أهل هذه المحلة من أفجر الناس وأكفرهم.

وأرذلهــم ســريرة وسيرة يقطعون الطرق والسبل ، ويأتون في "ناديهم " المنكر ، ولا يتناهون عن منكر فعلوه.

ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم ، وهي إتيان الذكران وترك ما خــلق الله مــن النســوان ، فدعاهم "لوط" عليه السلام إلي عبادة الله وحده لا شريك له ونهــاهم عــن الفواحــش والمنكرات فتمادوا علي ضلالهم فأحل الله بهم غضبه وجعل هلاكهــم حديــثا ومقالا عجيبا يتكلم عنه العالمين وبدأت نهايتهم كما ذكر القرآن الكريم فــي سورة "هود" "ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام ، فما لبث أن جــاء بعجل حنيذ ، فلما رأي أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ، قالوا لاتخــف إنا أرسلنا إلي قوم لوط . وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إســحاق يعقــوب ، قــالت يــا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ، إن هذا لشيء عجيــب ٧٢ قــالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيــد ٧٣ فــلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ٧٤ إن إبــراهيم لحــليم أواه مــنيب٧٥ يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود ٧٦ (هود).

وجاءت الملائكة تحمل البشرى "بإسحاق" ومن ورائه "يعقوب" فستلدهما امرأة خــليل الله إبــراهيم رغــم سنها المتقدم وسنه وبدأ جدال إبراهيم في أمر شعب "سدوم" "وعور زغر" شعب "لوط" ابن أخيه "هاران".

---

(١) تاريخ الطبرى ج١ /٢٠٥

وجـــاء رد الملائكـــة قال تعالي : يا إبـــراهيم أعرض عن هذا إنه جاء أمر ربـــك وأنهم آتيهم عذاب غير مرود وهبط الملائكة لمقابلة نبي الله "لوط" فإذا بالفاسدين يتابعونهم راغبين فيهم ، ويطالبون "هودا" بتسليمهم ويتوسل "لوط" أن ينصرفوا.

فتطمئـــنه الملائكـــة : إنـــا رســـل ربك لن يصلوا إليك ولا إلينا ، وعليك أن تنصرف من المكان أنت وأهلك إلا امرأتك وذلك قبل الصبح حيث ينزل بهم العقاب.

وجاء أمر الله علي المدينة " فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سيجل منضود ، مسومة عند ربك ، وما هي من الظالمين "(هود ٨٣)" قال تعـالى : (ولمـــا جاءت رسلنا لوطا سئ بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب) هـــود٧٧. قال السدي : خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية "لوط" فأتوها نصف الـــنهار فـــلما بـــلغوا "نهر سدوم" لقوا ابنة "لوط" وكانت له ابنتان ، اسم الكبرى "ريثا" والصـــغرى"زغـــرتا" فقالوا لها يا جارية هل من منزل ؟ فقالت يا أبتاه.. أرادك فتيان عـــلي بـــاب المديـــنة مـــا رأيـــت وجوه قوم قط هي أحسن منهم ، ولا يأخذهم قومك فيفضـــحوهم ، فجاء بهم فلم يعلم أحد إلا أهل البيت ، فخرجت امرأته فأخبرت قومـــ ، فقـــالت : إن فـــي بيـــت لوط وتتالت بعدها الأحداث وقال لوط يا قوم هؤلاء بناتي ن أطهر لكم : اتقوا الله ولا تخزون في ضيفي .. وكان ردهم عليه : إنك تعلم ما نريد..

فتطمئـــنه الملائكـــة " إنـــا رسل ربك .. لن يصلوا إليك ولا إلينا ، وعليك أن تنصـــرف من المكان أنت وأهلك يا لوط قبل الصبح إلا امرأتك يا لوط "فإنه مصيبها ما أصابهم ، إن موعدهم الصبح فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها .. ذلك أن "لوط" عليه الســـلام لما دعي أهل "سدوم" إلي عبادة الواحد والابتعاد عن الفواحش لم يستجيبوا ولم يؤمـــنوا بـــه حـــتى ولا واحـــد منهم ، فطهره الله وأهله إلا امرأته ، من قوم يقطعون الطـــريق ، ويخـــزنون الـــرفيق ، ويـــأتون في ناديهم- وهو مجتمعهم ومحل حديثهم وســـمرهم ، المـــنكر مـــن الأقوال والأفعال علي اختلاف أصنافه ، ولا يستحيون من مجالسيهم ، ولا يستمعون لوعظ واعظ فأخذهم الله أخذا وبيلا. وقد قالوا للوط فيما قالوا : "ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين" [العنكبوت : ٢٩] فعند ذلك دعا عليهم..وسأل رب العالمين فاستجاب سبحانه.

(قبيلة مدين أسوا الناس معاملة)

كانوا قوما عربا يسكنون (مدينة) عرفت باسمهم وهي قريبة من أرض "معان" مـــن أطراف الشام ، مما يلي ناحية الحجاز قريبا من بحيرة قوم لوط ، وكانوا بعدهم بمســـافة قريـــبة ، وهم من بني مدين بن مديان بن إبراهيم الخليل وذكر ابن إسحاق أن الله بعث لهدايتهم نبيه (شعيب)[١]

ويقـــال : شـــعيب بـــن نويب بن عيفا بن مدين بن إبراهيم ، ويقال شعيب بن صـــيفور بـــن عيفـــا بـــن ثابت بن مدين بن إبراهيم ، وقيل غير ذلك في نسبة ، وقال عساكر : ويقال إن "جدته" أوقيل "أمة" هي بنت لوط ، وكان "شعيب" ممن آمن بإبراهيم وهاجـــر معـــه ودخـــل معه دمشق ، وفي هذا كله نظر.. والله تعالي أعلم ، ويقال أن " شـــعيبا" كـــان صـــهرا "لموســـى" عليه السلام يشهد بذلك أبو عمر بن عبد البر في "الاســـتيعاب" بهامش الإصابة (ج ٢/٨٩– ٩٠) وفي ترجمة سلمة بن سعد العنزى :أنه قدم علي رسول الله ﷺ حيث أسلم إلي عنزة ، فقال :"نعم الحي عنزه"

وفـــي هذا دلالة علي أن "شعيبا" صهر[٢] موسى وأنه من قبيلة العرب العاربة يقـــال لهـــم " عـــنزة " والعنزي" هو غير (عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنـــان) فـــإن هـــؤلاء تواجدوا بعد "العنزي" الذي انتسب إلي العرب العاربة – بدهر طويل والله أعلم.

وكـــان "شـــعيب" وقد بعث في قوم مدينة "مدين" يسميه السلف" خطيب الأنبياء" لفصـــاحته وعـــلوا عـــبارته وبلاغته في دعوة "مدين" إلي الإيمان وعبادة الله وحده لا شـــريك له وكان أهل "مدين" كفارا يقطعون السبيل ويروعون المارة ويعبدون "الأيكة " وهـــي شجرة من الأيك ، كما كانوا أسوا الناس من معاملة ، يبخسون المكيال والميزان ويطففـــون فيهما ، يأخذون بالزائد ويدفعون بالناقص ، فدعاهم شعيب إلي عبادة الواحد ســـبحانه ونهاهم عما قبح من أعمالهم وترويعاتهم ، ويبخس الناس أشياءهم وأخذ أموال الناس جهرة وخفية بأنواع الحيل والشبهات وأمرهم باستغفار الله من ذنوبهم قال تعالي:

---

(١) هو شعيب بن ميكيل بن يشجن ويقال له بالسريانية "يثرون".
(٢) الختن لأصهار الرجل ، وكل من كان من ناحية المرأة كأبيها وأخيها ، وكذلك زوج البنت أزوج الأخت والأنثي : ختنة.

"واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه ، إن ربي رحيم ودود" (هود٩٠) وكان ردهم عليه :"لولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز" (هود :٩٠) وقولهم : "ما نفقه كثيرا مما تقول" (هود:٩١)

ولقد كذب الملأ أصحاب عبادة "الأيكة" بينهم "شعيبا" وما دعاهم إليه ، واستجاب آخرون فنبذوا المحرمات وانصرفوا عن " الأيكة " معبود المدينة ، واستغربوا كيف تتخذ إلها ويعبد ، وآيات الكون المبرة من حولهم من مطر ورياح وشمس وقمر وحياة وموت.. تشهد لصاحب العظمة بوجوب إخلاص العبادة له سبحانه ودوام شكره علي عميم نعمه ، وحكي القرآن الكريم عن ذلك : "كذب أصحاب الأيكة المرسلين١٧٦ إذ قال لهم شعيب ألا تتقون١٧٧ إني لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون ، وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا علي رب العالمين١٨٠ أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين ، وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ، واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين ، قالوا إنما أنت من المسحرين ، وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين ، فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين ، قال ربي أعلم بما تعملون ، فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم "(١٨٩: الشعراء).

قال المفسرون : "فأسقط الله عليهم كثفا من السماء كما طلبوا من "شعيب" واستبعدوا– حدوثه ، وجاء يوم بحر شديد ، اسكن الله فيه هبوب الهواء عنهم سبعة أيام ، فهربوا من محلتهم إلي البرية وتحركت سحابة لتظلهم وتجمعوا فلما تكاملوا في ظلها أمرها الله إن ترميهم بشرر وشهب ، ورجعت الأرض بهم ، وبمن تخلف ومكث في داره ، وجاءتهم صيحة السماء فأزهقت الأرواح وفي ذلك قال تعالي : "وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون" ٩٠" فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين "(٩١: الأعراف)

ووقف "شعيب" بين قبورهم يوبخهم وينعاهم إلي أنفسهم ، وهم في حالات تعذيبهم الأخروية.. وفي قوله تعالي : "فتولي عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ، فكيف آسي علي قوم كافرين" (الأعراف:٩٣) وتولي شعيب عليه

السلام عن أمكنة تعذيب لأخريات حياة كفـرة لم يؤمنوا قائلا : كيف آسي علي قوم عصوا الله ولم يلتزموا أوامره ؟!!

وقـد ذكـر الحافظ ابن عساكر في تاريخه عن ابن عباس : أن شعيبا عليه السلام كان بعد "يوسف" عليه السلام.

وعـن وهـب بـن منبه : أن "شعيبا" عليه السلام مات بمكة ومن معه من المؤمنين ، وقبورهم غربي الكعبة بين دار الندوة ودار بني سهم.(١)

وتـتوالى الأيـام والسنون لتبتعد بنا عن عبادة الأيكة ، والمدينة "مدين" القريبة مـن أرض معان بن أطراف في الشام ، مما يلي ناحية الحجاز وقريبا من بحيرة "لوط" وأهلها الذين كفروا.

لنتـناول اشـهر ذرية إبراهيم الخليل الأخوان النبيان الرسولان (إسماعيل بن إبراهيم) "الذبيـح" لـولا رحمـة ربـك ، وإسحاق بن إبراهيم الكريم ابن الكريم عليهما السلام ودورهما في هداية من ضل سبيل ربه وعصى.

٧-لا :إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

وإسـماعيل هو ولد إبراهيم الخليل البكر من أمه هاجر القبطية المصرية رزقه الله به بعد مضي مائة سنة من عمر الخليل ، وهو الذي هاجر به أبوه ومعه أمه هاجر وكـان صغير رضيعا وانتهي بهم المسير كما أمره الله من أرض الشام إلي وهاد جبال "فـاران" وهـي الجـبال التي حول مكة ، وتركها إبراهيم هنالك ليس معهما من الزاد والمـاء إلا القليل فحاطهما الله تعالي بعنايته وكفايته كما غرس فيه سبحانه من مكارم الأخلاق الصدق في القول والفعل صادقا في الوعد مع قدر من الحلم عظيم ، وبلغ من الطاعة لما يأمر به الله حدا لا يباري مع صبر علي الأذى لا حدود له.

وكـان يدعـو في مجتمعه الناس وأهله إلي الصلاة للمعبود الواحد شكرا علي الـنعم ، كمـا كـان يبلغ الناس بوجوب إخراج الزكاة تطهيرا للأموال تقويما للنفوس والأبدان ، وفي كل هذا جاء قوله تعالي :"واذكر في الكتاب إسماعيل ، أنه كان صادق الوعـد وكـان رسـولا نبيا ، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً (مريم: ٥٤- ٥٥)

(١) تاريخ الطبري (١: ٣٢٩)

وفي الأخبار عن إبراهيم الخليل قال تعالي : فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معــه السـعي قال يا بني إني أري في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت افعل ما تؤمر ، ستجدني إن شاء الله من الصابرين" (الصافات: ١٠١-١٠٢)

وكــان إسـماعيل أول من تكلم بالعربية الفصيحة البليغة ، وكان قد تعلمها من العرب العاربة الذين نزلوا عندهم " بمكة " من قبائل " جرهم والعماليق وأهل اليمن".

وقــال الأموي : حدثني علي بن المغيرة عن محمد بن علي بن الحسين ، عن آبائــه عن النبي ﷺ أنه قال : "أول من فتق لسانه بالعربية المبينة "إسماعيل" وهو ابن أربــع عشــر ســنة" ونستدل بهذا على أن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام كان يدعو الناس إلى عبادة الواحد وإلي مكارم الأخلاق بلسان عربي مبين.

ولقــد وهــبه الله ذرية صالحة انتشرت شرقا وغربا ، وقد غرس فيها نبي الله إسماعيل أصول العبادة وصحيح المعاملات.

..... بــدأ حياته مع امرأة من العماليق ، وأن أباه أمره بفراقها ففارقها . قال الأموي : هــي عمارة بنت سعد بن أسامة ابن أكيل العماليقي ، ثم تزوج غيرها فأمره الخليل أن يستمر بها ، وهي السيدة بنت "مضاض بن عمرو الجر همي. وقيل هذه ثالثة ، فولدت لــه أثني عشر ولدا ذكرا وقد عدهم محمد بن إسحاق وسماهم رحمة الله وهم : نابت – قيذر – ازيل – ميشي – مسمع – ماش – دوصا – أرر – يطور – نبش – قيذما..

وأيضــا ذكــرهم أهل الكتاب هكذا في كتابهم ، وظل نبي الله إسماعيل رسولا مبشــرا ونذيــرا وداعيــا إلي الحق بين أهل تلك الناحية وما والاها ، من قبائل جرهم والعماليق وأهل اليمن صلوات الله وسلامه عليه.

ولمــا حضرته الوفاة أوصي إلي أخيه "العيص" بن إسحاق وكان زوجا لابنته " نســمة فولــدت له "الروم" ،يقال لهم بنو الأصفر لصفرة كانت في "العيص" وولدت من "العيص" الأشبان أيضا.

وتوقــف ابــن جرير عند ذلك رحمة الله وواصل الأحفاد وصايا العم إسماعيل النبي عليه السلام – شرقا وغربا..

عـــد أن دفن نبي الله إسماعيل بمنطقة "الحجــر مــع أمه هاجر" ، وكان عمره يوم مات مائة وسبعا وثلاثين سنة " وقد تحقق انتشار إسلام الوجه لله بفضل ما فتح الله من بركات علي نبيه "إسماعيل بن إبراهيم " بين عرب الحجاز.

وتحقــق انتســابهم كــلهم إلي ولدي إسماعيل (نابت وقيذار) رضي الله عنهما وتــتابع مســيرة الانتشار الإيماني بين من اصطفاهم الخالق لهداية البشرية من حولهم وليؤمــنوا كمــا أراد المولي عز وجل بهم وأمرهم ، قال تعالي : "قولوا آمنا بالله وما أنــزل إلينا وما نزول إلينا وما نزل إلي إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط "(البقرة الآية :١٣٦).

وكــلهم كانوا علي مناهج جدهم إبراهيم وإسماعيل ، كما جاء في قوله تعالي : "واذكــر فــي الكتاب إسماعيل ، أنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا" (مريم ٥٤: ٥٥).

ولقــد تساوت سلسلة ذرية "إبراهيم الخليل" في المنزلة المختارة ، وفي الالتزام بــتحقيق أهــداف التشــريع السماوي بين تواجدوا بينهم أينما كانوا بين مختلف الألوان والأجــناس وواجــب استقامتهم علي طريق العبادة الحقه لصاحب الفضل والمنة مالك الملك الواحد الفرد الصمد.

قــال تعــالي : "واذكــر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار ، إنا أخلصناهم بخالصة ذكري الدار ، وإنهما عندنا لمن المصطفين الأخيار وأذكر إسماعيل واليســع وذا الكفــل ، كــل مــن الأخيار" [سورة ص: ٤٥- ٤٨]. وفي قوله تعالي : "وإســماعيل وإدريس وذا الكفل ، كل من الصابرين ، وأدخلناهم في رحمتنا ، أنهم من الصالحين " (الأنبياء: ٨٥- ٨٦).

وكــان علي الأنبياء مهمة التبليغ والوعظ والإرشاد وقد قاموا بذلك ونزل فيهم قرآنا يباركهم ويعدهم رحمة ربهم وما أعده لهم ولمن تبعهم من جنات ونعيم مقيم.

قال تعالي : "وإسماعيل وإدريس وذا الكفل ، كلٌ من الصابرين ، وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين " (الأنبياء : ٨٥ – ٨٦).

٨- نـــبي الله إسحاق بن إبراهيم الكريم بن الكريم

وفــي سيرته عليه السلام أحداث وأنساب ، فقد ولد ولأبيه الخليل إبراهيم مائة سـنة ، وعمـر أمه "سارة " تسعين سنة ، وذكر أهل الكتاب : إن إسحاق عليه السلام تـزوج "رفقـا" بـنت"بـتوابيل" في حياة أبيه فولدت غلامين توأمين : أولهما "عيصو" وتسمية العرب "العيص" ولقد جاء من نسلة "الروم".

وولد أخوه التوأم وهو ممسك بعقب أخيه "العيص" لذلك أسموه "يعقوب".

وشـب الغلامـان ، وحظي "يعقوب" بمحبة "إسحاق" ودعواته مما أوغر صد "العيـص" ، وسمعت أمهما ما يتواعد به العيص أخاه من تصميم علي قتله فأمرن أبنه يعقوب بالهجرة إلي خاله "للابان" الذي يسكن أرض "حران" ففعل ، وكان "للابان" خاله ابنـتان ، تقـدم "يعقوب" لخطبة الصغرى "راحيل" وكانت جميلة فأجابه لذلك بشرط أن يـرعى غنمه سبع سنين ، فقبل وعمل السنين وتقدم بعدها فجمع خاله الناس وزف إليه ليـلا ابنته الكبرى "ليا" وكانت قبيحة المنظر.. فلما اكتشف "يعقوب" هذا الغدر تقدم إلي خالــه يشكو فأخبره : ليس من سنتنا أن نزوج الصغرى قبل الكبرى فإن أحببت أختها فـاعمل سـبع سنين أخري وأزوجكما فقبل وعمل سبع سنين أخرى فلما أنقضت أدخل "راحيل" عليه مع أختها وكان جائزا في ملتهم ثم حرم بعد ذلك.

ووهـب الله "ليا" أولادها : روبيل ، شمعون ، لاوي ، يهوذا... ثم "إيساخر" ثم "زايلون" ثم بنتا أسمتها "دينا" ثم وهبت جاريتها "زلفى" لزوجها يعقوب فولدت له : جاد وأشير ..

ولأن "رحيـل" كـانت لا تحبل فوهبته أيضا جاريتها "بلهى" فوطئها فولدت له "دان" ثـم "نيفتالي" ثم دعت الله وسألته أن يهبها غلاما فسمع الله نداءها وحملت وولدت غلامـا جميـلا سمته "يوسف" وأوحي الله إلي يعقوب أن يرجع إلي بلاد أبيه وقومه ، فعـرض ذلـك علي أهله فأجابوه ، وقبيل فجر الليلة الثانية وهو في طريقه إلي مدينة "سـاحور" وبعـد أن حـط رحالـة وعياله ، تبدي له رجل ظنه جاء معتديا فأمسك به يصارعه ، ولكنه كان ملاكا تفوق عليه وتمكن من "ورك ساقه فكسره" وأصابه بالعرج ثـم سـأله ، ما اسمك ؟ قال يعقوب : فخاطبه قائلا : لا ينبغي أن تدعي بعد اليوم إلا "إسرائيل" وهكذا بدأ انتشار الأسم الجديد.

وواصـل "إسـرائيل" المسير حـتى وصل قرية (حبرون) وهناك لقي أباه إسـحاق ، ثـم مـرض "إسـحاق" ثم مات عن مائة وثمانين سنة فدفنه والداه "العيص وإسرائيل" بجوار جدهما إبراهيم الخليل في المغارة.

٩- يوسف عليه السلام بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم

وقـد جـاء في احديث أبى هريرة عن خاتم الأنبياء قوله ﷺ :"إن الكريم ابن الكـريم ابـن الكـريم ابن الكريم "يوسف"بن يعقوب بن إسحاق عليهم جميعا سلام الله والهـدف مـن تـناول حيـاة يوسف بن يعقوب بن إسحاق عليهم السلام عظيم الفوائد للبشـرية ففيها نلمس نتائج الإصرار علي المعاصي وعدم قبول النصائح والتمسك بما يغضـب الله مـن أفعال ، وفيها بيان بركات التوكل الدائم علي الله ، أهمية الاستغفار والندم والعودة إلي الله فإن ذلك يرفع نقم الله وعذابه.

وفيهـا صور العبد طاهر القلب الذي يتّجه بكليته للخالق سبحانه وتعالي ملتمسا أن يتفضـل عـليه بـرزق ، أو بتحقيق ما استحال ويستحيل في نظره المحدود حدوثه فسبحانه المنعم القادر سميع مجيب فالعاقر تلد ، وكبير السن ينجب.

كما تتناثر في هذه السيرة أمثلة الطاعة ونهاياتها السعيدة وفي سيرة يوسف نبي الله تـتابع صور متاهات النفس بين الإغواء والإغراء والتمسك بالطهارة والاستقامة ، وبين صراعات حق وباطل ، وبين حسود لا يرحم.

ويخطط للاعتداء والقتل ولكنه سبحانه هو القاهر فوق عباده مطلع رحيم ، بين المـرأة وكيدهـا ورغبـتها ومقدرتها علي الكذب والإيذاء... أحكام البشر في الدنيا قد تكـون رغـم غرابتها وأحوال قسوتها اختبار يصيب الصابرين عليها الخير العميم في الدنيا والآخرة.

ليفسـر له حلمه الغريب ، وبعد تفسير يعين يوسف وزيرا علي خزائن تموين الدولـة !! وأراد الله نصر نبيه يوسف عليه السلام فيأتي مع أفواج المحتاجين والجياع مـن المـناطق الفقيـرة عـبر الصحراء مما حول "أخوة يوسف" فيعرفهم ويمنحهم ، ويسـتطيع بحيلة ذكية استبقاء أخيه "بنيامين" منهم كما يطلب منهم بقية الأسرة أباه وأمه نبي الله يعقوب ووالدته" راحيل" ويستجيبوا ويجتمع شمل الأسرة من جديد علي أرض الخير مصر وبين شعب ودود وابن أصبح مسئولا ومن رجالات الدولة وذوى الأهمية

والحظـــوة فـــي الـــبيت الحاكم وبين الأمراء ورجـــال الدولة ولهذا فالسيرة العطرة لأنبياء الله تقدم للعالم دروسا إيمانية وسلوكيات نستفيد منها ونحذر من بعضها لسوئها.

ولقـــد كـــان يوسف مؤمنا موحدا الله ملة الآباء الكرام إبراهيم الخليل وإسحاق ويعقـــوب وكـــان يدعـــو المصريين إلي عبادة الواحد القهار ونبذ عباده ما ابتدعه كهنة المصـــريين مـــن آلهة وفي هذا قول العزيز الحكيم : "ذلكما مما علمني ربي إني تركت مـــلة قـــوم لا يؤمـــنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون(٣٧) واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإســـحاق ويعقـــوب مـــا كان لنا أن نشرك بالله من شئ ذلك من فضل الله علينا وعلي الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون(٣٨. يوسف).

ولقـــد تمسك بالله الواحد ربا كما كان يدعو الشعب المصري من حوله إلي هذا مستخدما لغة الحوار المقنع ومخاطبة عقول المستمعين لعلهم يستجيبون ونزل بهذا قوله تعـــالي : " يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار(٣٩) ما تعبدون مـــن دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ٤٠ سورة يوسف.

وينـــبه تعـــالي علي ما في هذه القصة من الأيات والحكم والدلالات والمواعظ ، حسد أخوة يوسف علي محبة أبيه له ولأخيه لأمه بنيامين أكثر منهم.

وعـــندما تشاوروا فيما بينهم في قتل يوسف أو بعاده إلي أرض لا يرجع منها قـــال قـــائل مـــنهم مجاهد هو " شمعون" وقال السدى : "يهوذا " وقال قتادة ومحمد بن إسحاق : هو أكبرهم وجاءت الإشارة في قوله تعالي :." قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقـــوه فـــي غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين[1] فلم يزالوا بأبيهم حتى بعـــثه معهـــم فألقوه في بئر ، ورجعوا إلي أبيهم عشاء وجاءوا علي قميصه بدم كذب ولكنه كان يفهم عداوتهم ليوسف وحسدهم إياه علي محبته له أكثر منهم.

وبيـــع يوســـف بن راحيل بن يعقوب وانتهي إلي بيت عزيز مصر "وقال الذي اشـــتراه مـــن مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا ، وكذلك مكنا ليوســـف فـــي الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث ، والله غالب علي أمره ولكن أكثر

---

(١) تاريخ الطبري : ج١ / ٢٥٥ ويراجع ج ٩١/١٢ تفسير سورة يوسف.

الناس لا يعلمون ، ولما بلغ أشده أتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين "يوسف ٢١ : ٢٢.[١]

وعـند أهل الكتاب أن روبيل أشار بوضع يوسف في الجب ليأخذه من حيث لا يشـعرون ، ويرده إلي أبيه ولكنهم غافلوه وباعوه لتلك القافلة ، فلما جاء "روبيل" أخر الـنهار ليخـرج يوسـف لم يجده ، فصاح وشق ثيابه وعمد أولئك إلي جدي فذبحوه ، ولطخـوا من دمه جبة يوسف وكان الذي اشتره هو عزيز مصر أي وزير الخزائن ، وقـال ابن لإسحاق : واسمه "قطير" بن روحيب" رجل من العماليق ، وقال واسم امرأة العزيـز "راعيـل" بـنت" رمابيل" وقال غيرهم كان اسمها "زليخا" والظاهر أنه لقبها ، وقيـل "فكا بنت بنوس" رواية الثعلبي عن بن هشام الرفاعي [٢]، وقد روادته عن نفسه وعصـمه الله من مكرها ومكر نساء المدينة ، وكان "يوسف" يعلن دائما أنه مؤمن بالله موحد له متبع ملة آبائه الكرام : "إبراهيم الخليل ، وإسحاق ويعقوب " ، "ما كان لنا أن نشـرك بـالله مـن شـئ ، ذلك من فضل الله علينا وعلي الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون" (الآية ٣٨ : سورة يوسف).

وكان يوسف داعية إلي التوحيد ذاما عبادة ما سوى الله عز وجل ، يصغر أمر الأوثـان ويضـعف أمرها ويحقرها وفي هذا قوله تعالي : "يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنـزل الله بها من سلطان ، إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون" (سورة يوسف ٣٩ : ٤٠).

واختـلفوا فـي السـن الـذي اعتبر فيه يوسف قد بلغ اشده فقال مالك وربيعة والشـعبي : هو الحلم ، وقال سعيد بن جبير ثماني عشرة سنة وقال الضحاك عشرون سـنة وقـال الحسن أربعون ستة ويشهد له قوله تعالي : " حتى بلغ أشده وبلغ أربعين سنة" (سورة الأحقاف: ١٥).

---

(١) قارن تاريخ الطبري ج١ ــ ٢٢٥.
(٢) تفسير الطبري : ج ١٢/ ٩٩.

ولقـد كان دائم الدعاء لربه بقوله : "رب قد أتيتني من الملك وعلمتني من تـأويل الأحـاديث فاطر السماوات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين" (١٠١سورة يوسف).

وكـان "ليعقـوب" إسرائيل من النبين اثنا عشر ولدا تنسب إليهم الأسباط وهم شعوب بني إسرائيل وقد كان بينهم الأنبياء وقد كان يوسف عليه السلام نبيا جليلا منهم والحديـث عـن فـراق يوسف عليه السلام عن أخوته وأبويه يعقوب أو إسرائيل عليه السلام والسيدة "راحيل" قد تحدد بالتقريب بالرجوع إلي تاريخ حادثة امرأة عزيز مصر عـندما راودتـه عن نفسها ، فقد كان آن ذاك شابا ابن سبعة عشر سنة فيما قاله غير واحـد ، كمـا دخل في حساب هذه المدة أنه أمضي في السجن بضعة سنين وهي سبع عـند عكرمة وغيره ، فلما أخرج منه كانت سنوات الخصب السبع ثم لما أمحل الناس فـي السبع البواقي جاء أخوته في السنة الأولي وحدهم وفي الثانية ومعهم أخوه بنيامين ، وفـي الثالـثة تعرف إليهم وأمرهم بإحضار أهلهم أجمعين فجاءوا كلهم قال تعالي : "فـلما دخـلوا عـي يوسف آوي إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ورفع أبويـه عـلي العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا" (يوسف : ٩٩).

وعـند أهل الكتاب أن يعقوب لما وصل إلي أرض جاشر- وهي أرض بلبيس الآن خـرج يوسف لتلقيه ، وكان "يعقوب" قد بعث ابنه "يهوذا" مبلغا بقدومه ، وعندهم أن المـلك أطـلق لهـم أرض جاشر يقيمون بها بنعامهم ومواشيهم ، بل وخرج الملك وجـنوده مع يوسف تعظيما لنبي الله يعقوب "إسرائيل" ، وكان جملة من قدم مع يعقوب مـن بـنيه وأولادهم فيما قاله أبو إسحاق السبعي عن أبي عبيدة عن ابن مسعود ثلاثة وسـتين إنسـانا ، وقال موسى بن عبيدة عن عبد الله بن شداد : "كانوا ثلاثة وثمانين إنسانا " وقالوا وخرجوا مع نبي الله موسى في مصر وهم أزيد من ستمائة ألف مقاتل ، ونص أهل الكتاب أنهم كانوا سبعين نفسا وسموهم.

والظاهـر أن نـبي الله يوسـف عـليه السلام سأل الله أن يتوفاه علي الإسلام ويحـتمل أن ذلـك كان سائغا في شرعهم ، أما في شريعة الإسلام فقد نهي عن الدعاء بـالموت إلا عند الفتن ، وكما روي عن ابن عباس أنه قال ما تمني نبي قط الموت قبل

يوســف ، وفــي الحديث الآخر قالت مــريم عــليها السلام "يا ليتني مت قبل هذا وكــنت نســيا منســيا" (مريم٢٣) وتمني الموت علي بن أبي طالب لما تفاقمت الأمور والفــتن والقتال وكثر القيل والقال وتمني البخاري أبو عبد الله صاحب الصحيح لما لقيه مــن أهوال مخالفته وقد روي البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أنس بن مالك قــال : قــال رسول الله ﷺ : "لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به إما محسنا فلعله يــزداد ، وإمــا مســيئا فلعله يستعتب ولكن ليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفــني إذا كانت الوفاة خيرا لي ، والمراد بالضر ها هنا ما ينزل بالعبد في بدنه من مــرض ونحــوه ، لا فــي دينه والظاهر أن نبي الله يوسف عليه السلام سأل ذلك عند احتضــاره وذكر ابن إسحاق عن أهل الكتاب أن يعقوب أقام بديار مصر عند "يوسف" ســبع عشــر سنة ، ثم توفي عليه السلام ، وكان قد أوصي إلي يوسف عليه السلام أن يدفــن عــند أبويه إبراهيم وإسحاق ، قال السدي : فصبره وسيره إلي بلاد الشام فدفنه بالمغارة عند أبيه.

إسحاق وجده الخليل عليهما السلام

وعــند أهــل الكــتاب : إن عمر يعقوب يوم دخل مصر مائة وثلاثون سنة ، وعــندهم أنــه أقــام بــأرض مصر سبع عشرة سنة ، فيكون مجموع ذلك مائة وسبع وأربعيــن ســنة وربما أخطأ وافي النسخ إذا قالوا : إن جميع عمره مائة وأربعين سنة فقط وقد اسقطوا بذلك الكسر وليس بعادتهم فيما أكثر من هذا.

ولمــا حضر يعقوب الموت أوصي بنيه بإسلام العبادة لله الواحد ، كما أوصاهم بــالإخلاص وهــو دين الإسلام الذي بعث الله به الأنبياء عليهم السلام ، قال تعالي في كــتابه العزيــز : "أم كنــتم شهداء إذا حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعــدي قــالوا نعــبد إلهاك وآله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق آلها واحدا ونحن له مسلمون" (البقرة ١٣٣).

ولقــد أوصي بنيه واحد واحد ، وبشر "يهوذا" بخروج نبي عظيم من نسله ، وهو عيس ابن مريم والله أعلم.

وذكــروا : أنه لما مات يعقوب بكي أهل مصر سبعين يوما وأمر "يوسف عليه الســلام" الأطــباء فطيــبوه ومكث فيه أربعين يوما ، ثم أستأذن يوسف ملك مصر في

الخــروج مــع أبيه ليدفنه عند أهله ، فإذا له وخــرج معه أكابر مصر فلما وصلوا "قرية حيرون " دفنوه في المغارة التي اشتراها من "عقرون بن صخر الحيثي".

وتوالــت الأيام حتى حضر "يوسف الوفاة ، وكان قد أوصي أن يدفن عند آبائه فــلما انتهي أجله حنطوه ووضعوه في تابوت ووضع في أرض مصر حتى نقله خارج مصر "نبي الله موسى " ودفنه عند آبائه.

وفيمــا حكاه ابن جرير ، وقال مبارك بن فضاله عن الحسن :"القي يوسف في الجــب وهــو ابن سبع عشر سنة ، وغاب عن أبيه ثمانين سنة ، وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشــرين ســنة ، ومات وهو ابن مائة سنة وعشرين ، وقال غيره : أوصي إلي أخيه " يهــوذا" بالاســتقامة عــلي عــبادة الواحد ومحاربة عبادة الأصنام والتمسك بمكارم الأخلاق.(١)

نبي الله أيوب عليه السلام

وفــي سلسلة التواصل والتبليغ من الرحمن سبحانه وتبصير عباده بنبذ الأوثان والسجود لها والاتجاه إلي عبادة الواحد القادر.

وعــاش "أيــوب" بأرض الروم علي دين الحنيفيه يدعوا إلي الله الواحد ويحذر من الأنصاب والأوثان وما توسوس به الشياطين وكان رجلا من الروم قال ابن إسحاق : "هــو أيوب بن موص بن رازح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل" وحكي ابن عســاكر أن أمــه هــي بنت "لوط" عليه السلام ، وقيل : كان أبوه "موص" ممن آمن بإبراهيم عليه السلام يوم القي به في النار فلم تحرقه،

والمشهور أنه من ذرية إبراهيم ، وجاء ذلك في قوله تعالي : "ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون " الأنعام٨٤.

والصــحيح أن الضــمير عــائد علي إبراهيم عليه السلام كما أكدته آية سورة النســاء في قوله تعالي مخاطبا فخر أنبيائه محمد ﷺ : "إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلي نــوح والنــبين مــن بعده وأوحينا إلي إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيس وأيوب" النساء الآية ١٦٣.

---

(١) تاريخ الطبري ج١ / ٢٥٦.

فأيوب عليه السلام من سلالة "العيص بـن إسـحاق وامرأته قيل : اسمها "ليا" بنت" يعقوب" وقيل "ليا بنت منسا بنت يعقوب". وهذا اشهر فلهذا ذكرناه.

وروي ابـن عسـاكر من طريق الكلبي أنه قال : أول نبي بعث "إدريس" ، ثم نـوح ، ثـم إبراهيم ، ثم إسماعيل ، ثم إسحاق ، ثم يعقوب ، ثم يوسف ، ثم لوط ، ثم هود ، ثم صالح ، ثم موسى وهارون ، ثم إلياس ، ثم اليسع ، ثم "عرفي بن سويلخ بن أفـرائيم ، بـن يوسـف بن يعقوب ثم يوسف بن يعقوب ، ثم يونس بن متى "من بني يعقوب"

وقـال الطـبري وفي بعض هذا الترتيب نظر : فإن "هودا" وصالحا" المشهور أنهما بعد "نوح" وقبل "إبراهيم" ، والله أعلم.

قـال عـلماء التفسـير والتاريخ ، كان "أيوب" رجلا كثير المال بأنواعه ، من الأنعـام والعـبيد والمواشـي ، والأرضـي المتسعة من أرض "حوران" ، وحكي ابن عساكر أن "حوران كلها كانت له".

وكـان له أولاد وأهلون ، فسلب منه ذلك جميعه وابتلي في جسده بأنواع البلاء ولـم يـبق منه عضو سليم سوي قلبه ولسانه ، يذكر الله عز وجل بهما ، وهو في ذلك كلـه صار محتسبا ذاكرا الله في ليله ونهاره وطال مرضه حتى عافه الجليس ، والقي بـه علي "مزيلة " لبني إسرائيل تختلف الدواب في جسده حتى فرج الله عنه وأعظم له الأجر.

وقـد اختـلفوا في مدة بلواه علي أقوال : "فزعم وهب أنه أبتلي ثلاث سنين لا تـزيد ولا تـنقص" وقـال أنس : ابتلي سبع سنين وأشهر وقال حميد : مكث في بلواه ثمانيـة عشـرة سـنة ، وقال السدي : تساقط لحمه حتى لم يبق إلا العظام والعصب ، قـالت امـرأته : "يـا أيوب لو دعوت ربك للفرج عنك فقال : قال عشت سبعين سنة صحيحا ، فهل قليل لله أ، أصبر له سبعين سنة ؟

وكانت تمسك بيده وقت أن يخرج في حاجته ، فلما كان ذات يوم أبطأت عليه ، فأوحي الله إلـي أيوب في مكانه أن "أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب "سورة ص ٤٢" فتلقـته تنظر ، فأقبل عليها وقد ذهب الله ما به من بلاء قال ابن عباس : ورد الله عليه ماله وولده.

وقال الضحاك عن ابن عباس : رد الله إلي "رحمة" امرأته شبابها ورادها حتى ولدت له ستة وعشرين ولدا ذكرا وعاش أيوب بعد ذلك سبعين سنة بأرض "الروم" علي دين الحنيفية فلما قبض غيروا بعده دين إبراهيم ، وقالوا ، حلف عبد الله ورسوله "أيوب" ليضربن امرأته مائة سوط عندما فأخبرته بيعها ضفائرها.

وقيل أن الشيطان عارضها في صورة طبيب يصف لها دواء "لأيوب" فأخبرته فعرف أنه الشيطان فحلف ليضربنها مائة سوط فلما عافاه الله عز وجل جاءته الفتوى قال تعالي : وخذ بيدك ضغثا[١]فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا ، نعم العبد إنه أواب" سورة ص ٤٤"

وقد ذكر ابن جرير وغيره مس علماء التاريخ : أن أيوب عليه السلام لما توفي كان عمره ثلاثا وتسعين سنة ، وقيل أنه عاش أكثر من ذلك[٢].

وروي ابن عساكر أنه أوصي إلي ولده "حومل" للقيام بعده بمهمة إرشاد الناس إلي صحيح العبادة والسلوك بهم إلي طريق الله المستقيم ثم قام بالأمر بعده الابن "بشر بن أيوب" الذي عرفه كثير من الناس أنه "ذو الكفل" والله أعلم وكان نبيا وبلغ من العمر خمسا وسبعين ، ثم قام "ذو الكفل"[٣] بأمر الدين والإرشاد والتوجه والتحذير من الضلال أو الشرك بالله الخالق سبحانه.

ودوام التوجه إليه لا إلي غيره ، وإفراده بالسجود والدعاء وطلب العون والتماس رحمته ، وقد جاء الذكر "اليسع وذو الكفل" في سورة الأنبياء في قوله تعالي : وإسماعيل وإدريس وذا الكفل[٤] كل من الصابرين ، أدخلناهم في رحمتنا ، إنهم من الصالحين " الأنبياء ٨٥ : ٨٦.

قال تعالي مخاطبا خاتم أنبيائه المصطفي محمد ﷺ : "واذكر عبدنا أيوب إذ نادي ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب(٤١) اركض برجلك هذا مغتسل باردا وشراب(٤٢) ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكري لأولي الألباب (٤٣) وخذ

---

(١) الضغث : ملء كف من الحشيش والعيدان عدها مائة لتكون الضربة وبذلك يبر بقسمه ولا يحنث وهذه رخصة أفتي بها الله له وهذا من الفرج لمن اتقي وأطاعه ولا سيما في حق امرأته الصابرة ولهذا عقب الله الرخصة وعللها بقوله : إنا وجدناه صابرا ، نعم العبد إنه أواب.

(٢) تاريخ الطبري ج١ /٢٨٨

(٣) روي ابن جرير عن مجاهد : أنه كان رجلا صالحا ، وكان قد تكفل لبني قومه أن يكفيهم أمرهم ، ويقضي بينهم بالعدل ففعل فأسموه "ذا الكفل".

(٤) هو : بشر بن أيوب

بيــدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدنــاه صــابرا نعــم العبد إنه أواب (٤٤)
وأذكــر عــبادنا إبــراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار(٤٥) إنا أخلصناهم
بخالصــة ذكري الدار(٤٦) وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار(٤٧) واذكر إسماعيل
واليســع وذا الكفــل وكــل مــن الأخيار(٤٨) هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب(٤٩)
سورة ص.

والظاهر من ذكره في القرآن الكريم بالثناء عليه مقرونا مع الأنبياء أنه نبي ، عليه من ربه الصلاة والسلام ، وهذا هو المشهور.

نبي الله (ذا الكفل) عليه السلام

ونــبي الله "ذا الكفــل" غيــر رجل آخر كان من بني إسرائيل اسمه "الكفل" لا يــتورع مــن ذنب عمله فهو الكفل من غير إضافة رجل آخر غير المذكور في القرآن الكــريم ، أما نبي الله "اليسع" فقد رأي أن يعلن الرغبة في اختيار رجل يجعله خلفا بعد مماته ، ومساعدا له يبصر الناس في حياته حتى ينظر كيف يتصرف في مسائل الحياة والعــبادة ، فجمــع الناس لهذا الاختبار وقال : من يتقبل مني بثلاث استخلفه : يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ولا يغضب فتقدم رجل فقال : أنا فرده وتكرر ذلك في أيام ثلاثة حيث قام الرجل وهو يقول : أنا ، فاستخلفه.

وانبري إبليس بمكائده فلم يعجبه ما تم علي الصورة التي ضمنت حسن "المعلم والمــربي والمرشد "للناس واستقامة خلقه صوما وعبادة وسماحة خلق ، فقال لشياطينه عــليكم بفلان ، فأعياهم ذلك فقال دعوني وإياه ، فأتاه في صورة شيخ كبير فقير ظلمه قومــه أخــذ يســرد عــليه حتى يضيع وقت عبادته ، ثم أتاه في مجلس علمه ليشغله بموضوع أن يأخذ بحقه من قومه ، ثم أتاه وقت نعاسه فدق الباب فاستيقظ الرجل وقام إلــي الباب فإذا هو مغلق كما أغلقه ، وإذا بإبليس "في صورة الرجل السائل معه داخل الــبيت فعرفه فقال : أعدو الله ؟ قال نعم ، أعييتني ففعلت ذلك لأغضبك ، وقالوا : لأن الــرجل قد تكفل أمام نبي الله "إلياس" بألا يغضب وقد تكفل بهذا الأمر فوفي لذلك سمي "ذا الكفل" روي ذلك ابن أبي حاتم عن ابن عباس وغيره.... والله تعالي أعلم.

ولم يستقم الناس علي صحيح العبادة في فترات غياب الأنبياء عن الدنيا..وأدي ذلــك إلي أن انفتح الباب أمام الشياطين والأبالسة يفتنون الناس ويضلونهم وكان العقاب

وغضـب الله عـليهم شديدا ، وكان ذلك قبل نزول التوراة بدليل قوله تعالي : "ولقد آتيـنا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولي "القصص الآية :٤٣" ، أهلكهم الله بسوء أعمالهم ومسخ منهم قردة في الشكل والفعل.

أصحاب الرس

كمـا رواه جريـر قـال : قال ابن عباس وأصحاب "الرس" هم أهل من قري ثمود[١]والأمم التي أهلكها الله قبل موسى وفي التوراة جاء ذكرها وبيان أسباب إهلاكها فـي قولـه تعـالي : "وعـاد وثموداً وأصحاب الرس ، وقرونا بين ذلك كثيرا ، وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا " (الفرقان :٣٨ - ٣٩).

كما جاء ذلك في قوله تعالي : "كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود ، وعـاد وفـرعون وإخـوان لوط ، وأصحاب الأيكة وقوم تبع ، كل كذب الرسل فحق وعيـد" (سـورة ق ١٢: ١٤) ، وهذا السياق والذي قبله يدل علي أنهم أهلكوا ودمروا قـال ابن جرير : إنهم أصحاب الأخدود ، وقال الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر في أول تاريخه ، عند ذكر بناء دمشق : أن أصحاب الرس قد بعث الله إليهم نبيا يقال له : حنظلة بن صفوان ، فكذبوه وقتلوه.

وكـان "عـاد بـن عوض بن إرم بن سام بن نوح " وولده من الرس ، فنزل الأحقـاف ، ثم أهلك الله أصحاب الرس وانتشروا في اليمن كلها ، ثم استطاع " جبرون بـن سعد بن عاد بن عوض ابن إرم بن سام بن نوح " أن ينزل " دمشق" ويبني مدينتها وقـد أسـماها ، إرم ذات العماد ، وليس أعمدة الحجارة في موضع أكثر منها "بدمشق" فـبعث الله "هـود بن عبد الله بن خالد بن "الحلود" بن عاد ، إلي أولاد "عاد" بالأحقاف فكذبوه ، فأهلكهما لله عز وجل[٢]

وروي ابـن حاتم عن أبي بكر بن عاصم عن عكرمة عن ابن عباس قال : "الرس" بئر بأذربيجان ، وقال الثوري عن عكرمة قال "الرس" بئر "رسوا" أي دفنوا فيها نبيهم.

قـال عكرمة : أصحاب "الرس" بفلج وهم أصحاب "يس" ، وقال قتادة : " فلج من قري اليمامـة " وقـال الطبري في تاريخه : أصحاب "يس" كما أخبر عكرمة قد أهلكهم الله

---

(١) تفسير ج ٢٥ / ٩٧ (الرس) في كلام العرب هو كل محفور كالقبر والبئر.
(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ج١ /١٥.
وهذا يقتضي أن أصحاب "الرس" كانوا قبل "عاد" بدهور متطاولة فالله أعلم.

جميعا فقد قال تعالي في قصتهم : "إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون" (يس : ٢٩)(١)

وذكر أبو بكر محمد بن الحسن النقاس : أن أصحاب الرس كانت لهم بئر يرويهم وتكفيهم ، وكان لهم ملك عادل حسن السيرة ، فلما مات وجدوا عليه وجدا عظيما ، فلما كان بعد أيام تصور لهم الشيطان في صورته وقال ، إني لم أمت ، ولكن تغيبت عنكم حتى أري صنيعكم ، ففرحوا أشد الفرح ، وأمر بضرب حجاب بينهم وبينه ، فافتتنوا به وعبدوه ، فبعث الله فيهم نبيا فأخبرهم أن هذا شيطان ونهاهم عن عبادته ، وأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له.

وقال السهيلي : واسم هذا النبي هو "حنظلة بن صفوان" وقد قتلوه والقوه في البئر ، فغار ماؤها بعد أن كانت تفيض وعشوا بعد ريهم ، ويبست أشجارهم ، وانقطعت ثمارهم ، وخربت ديارهم وتبدلوا بعد الأنس بالوحشة ، وبعد الاجتماع بالفرقة ، وهلكوا عن آخرهم ، وسكن في مساكنهم الجن والوحش ، فلا يسمع ببقاعهم إلا عزيف الجن وزئير الأسود وصوت الضباع(٢)

أصحاب القرية ونبي الله (ياسين) عليه السلام

أصحاب القرية أصحاب ياسين ، وروي بن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس وكعب الأخبار ووهب بن منبه ، واشتهر عن كثير من السلف والخلف أن هذه القرية هي أنطاكية وكان لها ملك اسمه "انطيخس" وكان يعبد الأصنام ، فبعث الله ثلاثة من الرسل وهم صادق ومصدوق وشلوم" ، فكذبهم وظاهر هذا أنهم رسل من الله عز وجل وزعم قتادة أنهم كانوا رسلا من عند المسيح عليه السلام ، قال ابن جرير ، عن وهب ابن سليمان ، عن شعيب الجبائي ، وكان اسم هؤلاء المرسلين الأولين : شمعون ، يوحنا ، واسم الثالث "بولس" والقرية "أنطاكية"، وهذا القول ضعيف جدا ، لأن أهل "أنطاكية" لما بعث إليهم المسيح بثلاث من الحواريين كانوا أول مدينة آمنت بالمسيح في ذلك الوقت كما كانت "أنطاكية" إحدى المدن التي تكونت فيها بطاركة النصارى وهي أنطاكية ، القدس ، إسكندرية ، رومية ، ثم القسطنطينية ولم يهلكوا وسلم أهلها

---

(١) تاريخ الطبري ج ٢٥ / ٩٧.
(٢) تفسير الطبري ج ١٩ /١١.

أمـا أهـل القـرية المذكورة في القرآن فقد أهـلكهم الله جاء ذلك في قوله تعالي : "واضـرب لهـم مـثلا أصـحاب القرية إذا جاءها المرسلون ، إذ أرسلنا عليهم اثنين فكذبوهمـا فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون ، قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الـرحمن من شئ إن أنتم إلا تكذبون ، وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتـبعوا المرسلين ، اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون.. إني آمنت بربكم فاسمعون قيـل ادخل الجنة ، قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ، ومـا أنزلـنا عـلي قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ، إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون" (يس : ١٣ : ٢٩).

والـراجح أنـه بعد أن أهلكهم الله ، عمّرت "أنطاكية" بعد ذلك ، فلما كان رمن المسـيح آمـنوا برسله إليهم ، فلا يمنع هذا..والله أعلم "وجاء من أقصي المدينة رجل يسـعى" فقـال ابـن عباس نصح قومه في حياته بقوله : "يا قوم أتبعوا المرسلين..وقد روي الـثوري عـن عاصم الأحوال ، عن ابن مجلز : كان أسم هذا الرجل "حبيب بن مـري" ثـم قيـل كـان نجـارا وقيـل حياكا ، وقيل كان يتعبد في غار هناك..والله أعلم.وعندما قال اسمعوا يا قومي إيماني برسل الله جهَرة فعند ذلك قتلوه ، قيل رجما ، وقيل عضا ، وقيل وثبوا إليه وثبة رجل واحد فقتلوه.

ومـا أنزل الله عليهم جنودا وما تطلب الانتقام منهم إلي إنزال جند من السماء عليهم "إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون "بعث الله جبريل بها حيث صاح بهم صيحة واحدة فإذا هم خامدون.وقد قال بذلك المفسرون.

نبي الله "يونس" عليه السلام

جـاهد نـبي الله "يونس"[١] ضد الكفر و التمرد والعناد قال أهل التفسير : بعث الله "يونس"عليه السلام أهل "نينوي"من أرض الموصل.فدعاهم إلي الله عز وجل.فكذبوه وتمـردوا وظـلوا عـلي كفرهم فلما طال ذلك عليه خرج من بين أظهرهم ، ووعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث.

قـال ابـن مسـعود ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة ، وغير واحد من السلف والخلف : فلما خرج من بين ظهرانيهم ، وتحققوا نزول العذاب بهم قذف الله في قلوبهم

---

(١) هو ذا النون صاحب الحوت "يونس بن متي" عليه السلام

التوبة ، وندموا علي ما كان منهم إلي نبيهم، وصرخوا وتضرعوا إليه سبحانه ، وبكي الرجال النساء والبنون والبنات والأمهات.فكشف الله العظيم بحوله وقوته ورأفته ورحمته ، عنهم العذاب.ولهذا قال تعالي : "فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها" (يونس : ٩٨) وقال تعالي : "وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون (سبأ : ٣٤)

وقوله تعالي : "إلاّ قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلي حين" (يونس : ٩٨)

وروي الترمزي وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زهير عمَّن سمع أبا العالية : حدثني أُبيّ بن كعب ، أنه سأل رسول الله ﷺ عن قوله : "وأرسلناه إلي مائة ألف أو يزيدون".

يؤكد هذا قوله تعالي : "وأرسلناه إلي مائة ألف أو يزيدون ، فآمنوا فمتعناهم إلي حين" (الصافات ١٤٧ : ١٤٨) قال المفسرون : وهذا المتاع إلي حين لا ينفي أن يكون معه غيره من رفع العذاب الأخروي..والله أعلم.

لقد لقي "يونس" من قومه ما لقي من تكذيب وتمرد وكفر وعناد... ووعدهم بحلول عذاب الله بهم ثلاث... ثم خرج عن قومه وعن الرسالة والتكليف ، وفر مغاضبا إلي سفينة يبتعد بها عن المسئولية ، فكان عقاب من الله بما نسيه من ضررة اللجوء إلي صاحب الأمر والنهي ، الواجب العبادة ، فإذا بالفلك المشحون الموقرة المجهزة تضطرب به وبركابها ، وكادوا يغرقون علي ما ذكره المفسرون.

وكانت العادة في مثل هذه المواقف أن يقترعوا ، ومن تقع عليه القرعة يلقونه في لجة البحر حتى يسلموا مما تتعرض له السفينة من أهول يحتمل أنها بسبب تواجده بينهم علي السفينة واقترعوا ثلاث مرات وفي كل مرة تصيب "يونس" القرعة وتقع عليه حتى القي بنفسه بين الأمواج ، وبعث الله حوتا فالتقمه ، وأمره الله تعالي أن لا يأكل له لحما ولا يهشم له عظما.

واختلفوا في مقدار لبثه في بطنه ، فقال : مجاهد عن الشعبي : التقمه ضحي ولفظه عشية ، وقال قتادة : مكث فيه ثلاثا ، وقال جعفر الصادق : سبعة أيام[١]

---

(١) تفسير الطبري ج١٧/٦٣ سورة الأنبياء.

واستغفر "يونس" ربه في جوف الحوت "فنادي في الظلمات" قال ابن مسعود وابن عباس : ظلمة الحوت وظلمة البحر ، وظلمة الليل"

قال تعالي : " وذا النون إذ ذهب مغضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادي في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، فاستجبنا له ونجيناه من الغم ، وكذلك ننجي المؤمنين. (الأنبياء : ٨٧- ٨٨).

بهذا نرى فضل التسبيح وطلب المغفرة من الله ، فإنما تلقي من المولي عز وجل القبول والصفح . قبلها من قوم "يونس" بعد كفرهم وعنادهم ، وأستجابها من نبيه "يونس" بعد أن تهاون في حمل مسئولية التبليغ عن ربه وفراره مغاضبا غير راضي ، وبعد أن استوعب الدرس والعقاب والاختبار وأهمية الأدب مع الخالق قال تعالي : "فلولا أنه كان من المسبحين ، للبث في بطنه إلي يوم يبعثون" الصفا فات ١٤٤:١٤٣.

فلولا أنه سبح الله في بطن الحوت . وقال ما قال من التهليل والتسبيح ، والاعتراف لله بالخضوع ، والتوبة والرجوع إليه للبث هناك إلي يوم القيامة ، ولبعث من جوف ذلك الحوت. فسلام علي يونس وقد كان نبيا مرسل قال تعالي : "وإن يونس لمن المرسلين" الصافات ١٣٩" له منزلة خاصة عند مولاه روي البخاري عن حفص بن عمر عن أبي العالية عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : "ما ينبغي علي العبد أن يقول إني خير من يونس بن متي[١] من باب التواضع منه صلوات الله وسلامة عليه المصطفي خاتم الأنبياء والمرسلين.

نبي الله (موسى) عليه السلام

ويطالعنا التاريخ بطغيان حاكم لشعبه ، وبين قهره وظلمه ، يصدر أمرا بذبح كل من يولد من غلمان بعد أن رأي في منامه نارا أقبلت عليه من نحو "بيت المقدس" وأحرقت دور مصر وجميع " القبط" ولم تضر بني إسرائيل "البخاري. كتاب التفسير والحديث رقم "٣٠٠"

وجاء تفسير الكهنة والحذقة والسحرة فقالوا : "هذا غلام يولد من هؤلاء : يكون سبب هلاك أهل مصر علي يديه ... "يا أيها الملك الجبار ، المغرور بكثرة

---

(١) البخاري كتاب الأنبياء قصة يونس عليه السلام حديث رقم ٢١٢.

جـنوده واتساع سلطانه ، عدوك جاء لمخالفتك بما جاء به من الحق من رب العباد ، أنت الذي سوف تتبناه وتربيه ، ثم يكون هلاكك علي يديه.

قـال تعالي : "وأوحينا إلي أم موسى أن أرضعيه ، فإذا خفت عليه فالقيه في اليوم ولا تخـافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ، فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ، إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ، وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك ، لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون "القصص : ٧ : ٩".وهكذا أمن "موسى من القتل وترعرع في قصر فرعون مصر لتبدأ معه رحلة هداية يجادل الباطل وينتصر عليه.

مجاهدات نبي الله "موسى"[(١)]

هـو نبي الله " موسى " بن عمران بن "قاهث" بن عازربن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

قـال تعـالي : "وأذكر في الكتاب موسى ، إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا ، وناديناه مـن جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ، ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا" مريم : ٥١– ٥٣.

"ولما بلغ أشده ، واستوى آتيناه حكما وعلما ، وكذلك نجزى المحسنين" القصص : ١٤ وعـندما بـلغ أشده ، وهو في سن الأربعين في قول الأكثر ين أتاه الله حكما وعلما ، وهـي النـبوة والرسالة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم بشري لأمه ، قال تعالي "إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين".

لقد تبناه "فرعون" ورباه في قصره ، وأرضعته بنو إسرائيل فارتفع بذلك شأنه فهـم أخواله – من الرضاعة : ومرت الأيام وإذا بإسرائيلي يستغيث "بموسى" في نزاع بينه وبن أحد أقباط مصر... فاقبل "موسى" فوخذ القبطي فمات. وابتعد "موسى" يترقب العقـاب خائفـا حتى أقبل عليه رجل يبلغه أن وجهاء مصر مسئولي الدولة قد وصلهم الخبر وأنهم اجتمعوا وقرروا القصاص منه ومحاكمته وقتله عقابا لما فعله ، وكان هذا سبب خروجه من مصر ، وذهابه إلي أرض "مدين" وإقامته هنالك ، قال قتادة والسدي

---

(١) قال السهيلي : واسم أم موسى "أيارخا" وقيل "أياذخت".
(٢) تفسير الطبري ج ٢ /٢٨.

: وكان ذلك نصف النهار ، وقال بن عباس : كـان ذلـك بيـن العشائين "٢" وتلفت "موسـى" لا يدري أين يتوجه ذلك لأنه لم يخرج من مصر قبلها فوفقه الله وقد أوصلته إحـدى الطـرق إلي ما قدره الله له حتى "ورد بئر في المدينة" مدين وهي المدينة التي أهـلك الله فيها أصحاب الأيكة . وهم قوم "شعيب" عليه السلام وكان هلاكهم قبل زمن موسى عليه السلام.

ووجـد "موسـى" في مدينة "مدين" بئرا يسقون فيها ، ولاحظ أن الأقوياء يستأثرون ، ووجد من دونهم امرأتين تذودان.

"قال ما خطبكما ، قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء ، وأبونا شيخا كبير"(١)

قـال المفسرون : كانوا إذا فرغوا من كفايتهم لهذا الماء وضعوا علي فم البئر صخرة عظيما فجاء "موسى" فرفع تلك الصخرة ، ثم استقي غنمهما ثم رد الحجر.

ثـم آوي إلـي ظـل شجرة... فقال "رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير"(٢)

وسـمعته المـرأتان فذهبتا إلي أبيهما ، فأخبرته بما كان من أمر موسى عليه السلام ، فأمـر إحداهما ، أن تذهب إليه فتدعوه "فجاءته إحداهما تمشي علي استحياء " قالت إن أبى يدعـوك ليجـزيك أجر ما سقيت لنا فاستجاب "موسى" لملاقاة أبيهما :" فلما جاءه وقص عليه ما كان من أمر خروجه من مصر فرارا من فرعونها ، فأجابه الشيخ : "لا تخف نجوت من القوم الظالمين " وبشره بأنه قد نجا وقد ابتعد عن دولتهم ، وعند ذلك قـالت إحدى البنتين لأبيهما : "يا أبت استأجره " لرعي الغنم واستجلاب الماء ، فعرض رغبة استئجاره علي أن يزوجه إحدى ابنتيه لمدة ثماني حج فقبل "موسى" وروي سعيد بن أيوب عن علي بن رباح قال سمعت عتبة بن الندر يقول : كنا عند رسول الله ﷺ فقـرأ : طسم ،حتى إذا بلغ قصة سيدنا موسى عليه السلام أجر نفسه ثماني سنين – أو عشر سنين علي عفة فرجه وطعام بطنه.

وروي ابن جرير عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : سألت جبريل أي الأجلين قضي موسى ؟ قال أتمهما وأكملهما"

---

(١) واختلفوا في هذا الشيخ من هو ؟ فقيل هو شعيب عليه السلام ، وهذا هو المشهور وممن نص عليه الحسن البصري ومالك بن أنس ، وصرح طائفة بأن "شعيبا " عليه السلام عاش عمرا طويلا بعد هلاك قومه ، حتى أدركه "موسى" عليه السلام وتزوج بابنته.

(٢) تفسير الطبري ج٢ /٣٥- ٣٧.

فــلما أتم موسى مدة استئجاره أراد فراق "شعيب" سأل امرأته أن تسأل أباها أن يعطيهمــا مــن غنمه ما يعيشون به ، فأعطاها ما ولدن غنمه ، وقالوا : إن موسى ســار بأهله عند صهره بدعوى أنه اشتاق إلي أهله ببلاد مصر وتحرك الركب في ليلة مظـلمة باردة ، وتاهوا ، في طريقهم ، واشتد الظلام والبرد فبينما هو كذلك إذا ابصر عن بعد نارا في جانب " جبل الطور" وهو الجبل الغربي منه.

قال تعالي : " فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين "سورة القصص: ٣٠ ".

وقــال غير واحد من المفسرين من السلف والخلف : لما قصد موسى إلي تلك النار التي رآها فانتهي إليها وكانت في خلف جبل غربي عن يمينه ، ووجد النار تأجج فــي شــجرة خضراء من العوسج ، الشوك ، وكل مالك النار في اضطرام ، وكل ما لخضــرة تــلك الشجرة في ادياد ، فوقف متعجبا وكأنه والله أعلم رآها دونهم لأن هذه النار هي نور في الحقيقة ، ولا يصلح رؤيتها لكل واحد.

وكــان موسى في واد اسمه "طوي" قال تعالي : فلما أتاها نودي يا موسى إني أنــا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس "طوي" وأنا اخترتك فاستمع ما لما يوحي ، إنــني أنــا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ، إن الساعة آتية أكاد أخفيها لــتجزي كــل نفــس بما تسعي ، فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردي سورة طه ١١- ١٦.

وفــي وادي " طــوي " كانت شجرة الشوك عن يمينه في ناحية الغرب يلفها نور مبهر وضع موسى يده علي وجهه من شدته ، وهناك سمع خطاب ربه قال الله تعالي : إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري "سورة طه:١٤.

ويبتدأ التكلف الإلهي للنبي "موسى" لتبدأ معه رحلة جهاد ودعوة إلي الخلق ، وأمر بها وتكليف للكافة ممن لم يؤمنوا في عصره وشغلتهم أموالهم وسلطانهم وما وهبهم الله من نعم وأنساهم طي العيش صاحب الفضل فيه المنعم الوهاب الرزاق.

أمــره سبحانه بإعلام الكافة بحقيقة الخالق ومواجهة الصعاب ، فلا يصده كافر ولا فاجر عن التبصير بنبذ عبادة الأوثان والأشخاص المنساقون مع الأهواء والشهوات المتكــبرون بالمــال والسلطان ، وكان الأمر هو أن يتوجه إلي طاغية عصره ومعبود

زمانـــه "فرعون مصر" ومواجهته وتبصيره بأنـــه المخـــلوق الضعيف في ملكوت الإله الحق الخالق القادر سبحانه.

وواصـــل "موسى" رحلته التبليغ لملاقاة فرعون " وإذ نادي ربك موسى أن إت القـــوم الظـــالمين قوم فرعون ، إلا يتقون ، قال رب إني أخاف أن يكذبون ، ويضيق صـــدري ولا ينطلق لساني فارسل إلي هارون[1] ، ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون ، قـــال كلا فاذهبا بآياتنا ، إنا معكم مستمعون ، فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العامين ، ان أرسل معنا بني إسرائيل "الشعراء" :

١٠ – ١٧.وتســـتأنف الآيـــات الكـــريمة الأحداث بقوله تعالي : "قال فرعون وما رب العالمين.قال رب السماوات والأرض وما بينهما.إن كنتم موقنين" الشعراء ٢٣ ، ٢٤ وبهـــذا أشـــار علي رب العالمين خالق السماوات وما بينهما من مخلوقات من سحاب وريـــاح ومطر ونبات وحيوان التي تشهد دائما أنها لم تحدث بنفسها بل لابد لها موجد وهو الله.

ومـــع هذا لم يؤمن فرعون.بل استمر علي طغيانه وعناده وكفرانه ، ولوح "لموسى" إذا لـــم يكـــف حديـــثه عن الإله متجاهلا أنه ولا غيره الإله ومصر وكلها تشهد ليستعمل ســـلطانه في عقابه وجاء ذلك في قوله تعالي : "قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين"

قال ألو جئتك بشئ مبين قال فأت به إن كنت من الصادقين.فألقي عصاه فإذا هي ثعبان مـــبين.ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين الشعراء (٢٩ :٣٣) وقد أنكر فرعون وجود إلـــه غيره وتساءل.كما جاء في سورة طه : "فمن ربكما يا موسى.قال ربنا الذي أعطي كـــل شـــئ خـــلقه ثم هدي.قال فما بال القرون الأولي.قال علمها عند ربي في كتاب لا يَضـــلُّ ربـــي ولا ينســـي.الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من الســـماء مـــاء فأخرجـــنا به أزواجا من نبات شتى.إن في ذلك لآيات لأولي النهي.منها خلقـــناكم وفيهـــا نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخري "طه" : ٤٩ – ٥٥ وفي الآيات قمة الإقـــناع العقـــلي ذكره "موسى" كما ذكر عظمة الرب وقدراته علي الخلق ، وعارض "فـــرعون" كعادتـــه العلامات الواضحة معاندا متكبرا علي الطاعة والاستسلام وإسلام

---

(١) هارون من لاوي بن يعقوب.

الوجـــه لمـــبدع الأكوان قائلا ، ومادام الإلـــه المســـتحق للعـــبادة هو الله فلماذا عبد الأولـــون من الأمم غيره من كواكب ونيران و...؟ وأجاب موسى إجابة تمنع كل نقاش وجـــدال فقـــال : قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسي (٥٢) كما في سورة طه فكان المجاهد في سبيل الله فقد ثبت في حديث المصطفي خاتم الأنبياء محمد صـــلي الله عليه وسلم أنه قال : افضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر[1] قال تعالي : "ونـــادي فـــرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحـــتي.أفـــلا تبصـــرون". (الزخـــرف : ٥١) ويصور القرآن الكريم هذا قال تعالي : "فاســـتخف قومـــه فأطـــاعوه.إنهـــم كـــانوا قوما فاسقين (٥٤) فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقـــناهم أجمعيـــن (٥٥) فجعلـــناهم ســـلفا ومـــثلا للأخـــرين "الزخـــرف : ٥٦" وقـــال تعـــالي : "فأراه الآية الكبرى.فكذب وعصي ، ثم يسعي ، فحشر فنادي فقال أنا ربكـــم الأعلي.فأخذه الله نكال الأخرة والأولي.إن في ذلك لعبرة لمن يخشي' النازعات الآية ٢٠ : ٢٦.

ثـــم تـــأتي الخاتمة مرحليا ، فالله تعالي لم يهلكهم إلا بعد إقامة الحجة عليهم ، وإرسال الرســـول إليهم ، وأخذ الحجة منهم ، بالترهيب تارة والترغيب أخري كما قال تعالي : "ولقـــد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذَّكرون.فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه إلا إنها طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون.

وقـــالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين. فأرسلنا عليهم الطوفان والجـــراد والقُمّـــل والضـــفادع والـــدم آيات مُفصَّلا فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين" الأعـــراف ١٣٠ : ١٣٣ ودائماً للحاشية الفاسدة دورها حول الحاكم وجاء ذلك في قوله تعـــالي : "وقـــال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهـــتك قـــال سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون "١٢٧" "قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين "١٢٨" سورة الأعراف

(١) أبو داود حديث رقم (٤٣٤٤) ملاحم والترمذي رقم (٢١٧٤) فتن.

"قـــالوا" أوذيـــنا مـــن قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعلمون "١٢٩" الأعراف.

وتمـــا "قبط" مصر في كفرهم وعنادهم : متابعة لمهلكهم "فرعون" ومخالفة لنـــبي الله وكـــ موسى بن عمران عليه السلام ، وقال المفسرون وغيرهم من أهل الكـــتاب : استأذن بنو إسرائيل "فرعون" في الخروج إلي عيد لهم ، فأذن لهم وهو كاره وكـــانت مكيـــدة بفرعون وجنوده ، ليتخلصوا منهم ويخرجوا عنهم ، كما استعاروا من أهـــل مصر حلياً ، فأعارهم شيئاً كثيراً ، وخرجوا ليلاً قاصدين بلاد الشام ، فلما أعلم فرعون بذهابهم أشتد غضبه عليهم وجمع جنوده ليلحقهم ويمحقهم.

قـــال تعالي : "وأوحينا إلي موسى أن أس بعبادي إنكم متبعون(٥٢) فارسل فرعون في المدائيـــن حاشـــرين(٥٣) إن هؤلاء لشرنمة قليلون(٥٤) وإنهم لنا لغائظون (٥٥) وإنا لجميع حاذرون(٥٦) فأخرجنهم من جنات وعيون(٥٧) وكنوز ومقام كريم (٥٨) كذلك وأورثناها بني إسرائيل (٥٩) فاتبعوهم مشرقين(٦٠) فلما تراءي الجمعان قال أصحاب موســـى إنـــا لمدركـــون (٦١) قال كلا إن ربي سيهدين(٦٢) فأوحينا إلي أن اضرب بعصـــاك الـــبحر فانفـــلق فكان كل فرق كالطود العظيم(٦٣) وأزلفنا ثم الآخرين(٦٤) وأنجيـــنا موســـى ومن معه أجمعين(٦٥) ثم أغرقنا الآخرين(٦٦) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (٦٧) وإن ربك لهو العزيز الرحيم(٦٨) الشعراء.

لقـــد لاحق فرعون وجنوده "موسى" وقومه فأدركهم عند شروق الشمس ، ولم يـــبق إلا مقاتلتهم ولا خلاص إلا بسلوك بحر متلاطم الأمواج ، وموسى يقول : "ها هنا أمـــرت وتعجـــب أخـــوه" هارون ويوشع بن نون ويندفع أحد الفرسان مسيرته محاولاً ســـلوك البحر فلا يتمكن ويقول : يا نبي الله أها هنا أمرت ؟ فيقول نعم ، وينزل الوحي إلـــي موسى : أن أضرب يا موسى البحر بعصاك ، يقال أنه قال للبحر انفلق بإذن الله ويقـــال : أنه كناه بأبي خالد والله أعلم ، ويقال انفلق اثني عشر طريقاً لكل سبط طريق يسيرون فيه ، فلما خرج آخرهم منه وكان ذلك عند قدوم أول جيش فرعون وجاء أمر الله : لموسى : أترك البحر رهواً أي سكاناً علي هيئته وقال عبد الله بن عباس ومجاهد

أن جبريل تبدي في صورة فارس وقد مــر بين يدي فحل "فرعون" فبادر الفرعو مســرعاً سلوك البحر ومن ورائه الجيش ، ثم جاء الوحي لموسى عندما اكتمل دخولهم جميعا إلي البحر – أن أضرب بعصاك الماء فضربه فارتطم عليهم فأغرقوا.

وروي الإمــام احمــد : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : لما قــال فرعون : آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ، قال جبريل : يا محمد فلو رأيتني وقد أخذت من حال البحر فأدسه في فيه ، مخافة أن تدركه الرحمة [١].

ويــأتي الاستفهام الإنكاري : "الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين(٩١) يونــس ويأتي الحكم في قوله تعالي : إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ، ولو جــاءتهم كــل آيــة حــتى يروا العذب الأليم" يونس ٩٦– ٩٧. وهو نص قرآني يدل باســتفهامه علي عدم قبول دعوته وإيمانه بإله موسى ، كما أخبر الله تعالي عن الكفار إذا عايــنوا الــنار يقولــون"يــا ليتــنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين "الأنعــام : ٢٧" ولكنه ندم يوم لا ينفع الندم قال بن عباس وغير واحد ، شك بعض بني إســرائيل في موت فرعون حتى قال بعضهم إنه لا يموت ، فأمر الله البحر فرفعه علي مرتفع ، قيل علي وجه الماء ، وعليه درعه التي يعرفونها من ملابسه ، ليتحققوا بذلك هلاكــه ويعــلموا قدرة الله عليه وفي هذا قال تعالي : "فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثير من الناس عن آياتنا لغافلون(٩٢) سورة يونس.

وصــام موسى ومن معه من بني إسرائيل يوم الانتصار علي فرعون شكراً لله وذكــر الإمام البخاري في صحيحه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قدم النبي ﷺ المدينة واليهود تصوم يوم عاشوراء ، فقال : ما هذا اليوم الذي تصومونه ؟ فقالوا : هذا يوم ظفر فيه موسى علي فرعون ، قال النبي ﷺ لأصحابه : "أنتم أحق بموسى منهم فصوموا "[٢].

وقــالوا : إن "مريم " أخت هارون وموسى في هذه المناسبة أخذت "دفاً" بيدها وخــرج النســاء فــي أثرها كلهن بدفوف وطبول ، وجعلت مريم ترتل لهن ، تقول :

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣١٧٤) قتر.
(٢) صحيح البخاري ج ٦/٣ باب صوم عاشوراء الحديث رقم(١١١)

"سـبحان الـرب الذي قهر الخيول وركبانها وألقوا القاءاً في البحر" كما سبح موسى وبنو إسرائيل من ورائه هذا التسبيح "تسبح الرب البهي الذي قهر الجنود.." وهو تسبيح طويـل فـي شـكر الله وقـد رواه أهل الكتاب . وابتعد "موسى" ومن معه عن مصر وسـاروا باتجاه بلاد الشام وإلي بيت المقدس فوجد فيها قوماً من الجبارين من الحيثيين والفـزارين والكنعانيين وكانوا عتاة كفرة متمردين فأمر موسى قومه وفرسانه بمقاتلتهم واجلائهم عن بيت المقدس فأبوا الجهاد :"قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فـاذهب أنـت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ، قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافـرق بينـنا وبيـن القـوم الفاسقين. قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس علي القوم الفاسقين(٢٦) المائدة.

وروي الغـوري "هـذا مـن وضع جهال بني إسرائيل" : أن رجلا من هؤلاء الجبارين يدعي "عوج بن عنق" خرج إلي بني إسرائيل ليهلكهم وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلثمائة وثلاثة وثلاثين ذراع هكذا ذكره "البغوي" وغيره وليس بصحيح.

وعاقبهم الله علي تقاعسهم في قتال الجبارين بالتيهان في الأرض يسيرون إلي غيـر مقصـد ليلاً ونهاراً ، ويقال لم بخرج أحد من هذا التيه ، بل ماتوا كلهم في مدة أربعيـن سـنة ولم يبق إلا ذراريهم وغير "يوشع وكالب" عليهما السلام وفي كتاب أهل الكـتاب : أن "يوشع" جهزه موسى بجيش لقتال طائفة من الكفار ، وان موسى وهارون وأخوهم "خور" جلسوا يتابعون سير المعركة إلي غروب الشمس ذلك اليوم حيث أنتهي بانتصار حزب "يوشع" عليه السلام.

وذكـروا أن "يثرون" كاهن منطقة "مدين" ، قدم علي "موسى" بعد أن بلغه خبر انتصـاره عـلي فرعون مصر ، واصطحب "ابنته صفورا" زوجة موسى وابناها منه" "جرشـون"و"عـاذر" فتـلقاه موسى أكرمه ، وذكروا أنه عندما رأي كثرة اجتماع بني إسـرائيل ليحكم فيما ينشأ بينهم من خصومات أشار علي موسى أن يتخير من الأتقياء الذين يغضون الرشا والخيانة فيجعلهم قضاة. ليقضوا بين الناس ، فإذا أشكل عليهم أمر رجعـوا إلـي موسـى... ففعل موسى عليه السلام وكانت الأحكام بين الناس طبقا لما أوحـاه الله إلي موسى يوم سمع الخطاب وسأل رفع الحجاب من مولاه الذي لا تدركه

الأبصـــار ، يوم أن لبي أمر ربه عند جبل الطور في قوله تعالي : وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة" الأعراف ١٤٢.

قـــال جماعـــة من السلف منهم ابن عباس ومجاهد : الثلاثون ليلة هي شهر ذي القعدة بكماله.

وأتمت أربعين ليلة بعشر من ذي الحجة[١].

وعـــلي هـــذا يكون تكليم الله موسى كان يوم عيد النحر . وفي مثله أكمل الله عز وجل لمحمد ﷺ دينه.

فـــلما استكمل "موسى" الميقات" الوقت الذي أمر بالمجيء فيه ، سأل ربه رفع الحجـــاب "ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكـــن أنظر إلي الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلي ربه للجبل جعله دكا وخـــر موســـى صـــعقاً ، فـــلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين" ١٤٣ الأعـــراف. وفي قوله تعالي :"وكتبنا له في الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلاً لكل شئ ، فخذه بقوة ، وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأوريكم دار الفاسقين" ١٤٥ الأعراف.

ففـــي الألـــواح بيان كل من الحلال والحرام نهياً وتفصيلاً وتبياناً لكل شئ "من الأمـــر والنهي" فخذها بقوة ، فتمسك بها واعمل بمقتضاها و أمر قومك بالعمل بها هذه كـــانت الإشـــارة إلي وصايا ألواح "موسى" العشر حيث جاء في ختام الآية وعد لخاتم الأنبياء المصطفي محمد ﷺ باطلاعه علي دار عذاب العاصين.

ودائمـــا واجـــب العباد التسليم الكامل للخالق حمداً وذكراً صياماً وقياماً وطلباً لـــلعفو والمغفرة عند الخطأ عملاً أو قولاً وسواء وعينا أو غاب الرشد منا في الأوقات.

قـــال الإمام احمد حدثنا يحيي بن إسحاق عم الهيثم عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي ﷺ أنـــه قـــال : إن موسى قال : أي رب...عبدك المؤمن مقتر عليه في الدنيا ! قال ففـــتح له باب من الجنة فنظر إليها قال : يا موسى ... هذا ما أعددت له . قال : ثم قال : أي رب.. عـــبدك الكافر موسع عليه في الدنيا : قال ففتح له باب إلي النار فقال : يا موســـى هذا ما أعددت له . فقال موسى أي رب... وعزتك وجلالك لو كانت له الدنيا

---

(١) تفسير الطبري ج٩ / ٣٢-٣٣.

منذ يوم خلقه إلي يوم القيامة وكان هذا مصيره لم ير خيراً قط "تفرد به احمد من هذا الوجه. وقد تواتر في فضل الدعاء وأفضليه ما يقال مناجاة للخالق.

قال ابن حبان حدثنا ابن سلمة ، حدثنا حرملة بن يحيي ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، أن دراجاً حدثه عن ابن الهيثم ، عم أبي سعيد ، عن النبي الخاتم ﷺ أنه قال : قال موسى : يا رب .. علمني شيئا أذكرك به وأدعوك به ، قال : قل يا موسى : لا إله إلا الله ، قال : إنما أريد شيئا تخصني به قال : يا موسى .... لو أن أهل السماوات السبع والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهم لا إله إلا الله "ويقاربه في المعني الحديث المروي في السنن عن النبي ﷺ أنه قال : أفضل الدعاء دعاء عرفه.... وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي . لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو علي كل شئ قدير".

وكان قوم موسى يصلون ويبتهلون الله في رحاب "قبة" أقاموها من الخشب فاخر وحرير وصفائح من الذهب وأبوب كثيرة ولقد نصبت هذه القبة أول يوم من عامهم ، وهو أول يوم من الربيع ، وقد وضعوا في "صندوق" تابوت" ما لديهم من شرائع وأحكام وقيل أن "قبة الزمان" هذه كانت موجودة قبل عبادة "قوم موسى" العجل وقبل مجيئهم "بيت المقدس" أثناء غياب"موسى" عنهم وهو يتلقي عن ربه الألواح والأحكام ، وأن "القبة" هذه كانت لهم كالكعبة يصلون فيها وإليها ، ويتقربون عندها بالدعاء والسجود ، وأن "موسى " كان يدخلها فينزل عمود الغمام علي بابها فيخرون عند ذلك سجداً لله عز وجل ، ثم يكلم الله نبيه موسى من ذلك الغمام الذي هو نور ، فيخاطبه ويناجيه ويأمره وينهاه ، وكان " موسى" بعد ذلك ينقل ما تلقها عن ربه إلي بني إسرائيل(١). وكانت" قبة الزمان" تلك مع بني إسرائيل في زمن تيههم في الأرض ، فكانت قبلتهم يصلون ويسجدون وكان "هارون" أخو "موسى" عليه السلام يقوم بعمل مقدم القرابين فلما مات "هارون" قام "موسى" ثم "يوشع بن نون" بالعمل ثم استمر أبناء "هارون" فيما كان يعمل أبوهم ولا يزال أمر القرابين وكيفية تقديمها وصفات هذه القرابين مستمر في بني إسرائيل إلي الآن.

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ٦٨ـ ٦٩.

ولمـــا اســتولي "يشع بن نون" عــلي بيــت المقــدس نصب هذه القبة علي صــخرة بيــت المقدس فكانوا يصلون إليهما ، فلما بادت بفعل الأيام صلي بنو إسرائيل إلي مكان محلتها وهي الصخرة.

واســتمرت "الصخرة" قبلة الأنبياء بعد ذلك حتى زمان خاتم الأنبياء محمد ﷺ قــبل الهجرة . وكان يجعل الكعبة بين يديه ، فلما هاجر المصطفي من مكة إلي المدينة أمــره مــولاه ســبحانه بالصلاة إلي بيت المقدس فصلي إليها ستة عشر ، وقيل سبعة عشــر- شهرا وفي شعبان سنة ثنتين في وقت صلاة العصر وقبل الظهر جاء أمر الله إليه بأن يحول قبلته من ناحية "بيت المقدس" إلي الكعبة قبلة جده "إبراهيم" عليه السلام. قــال تعــالي : "قد نري تقلب وجهك في السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام "(البقرة : ١٤٤).

إن رحمـــة ربــك بعــباده واسعة ، ولكن لا تكفروا بالنعم وتنسون شكر المنعم صلاة وطاعة وعبادة واستغفاراً ، واحذروا أن تسجدوا وتشركوا مع الموالي صنماً ولا عجلاً ولا كوكباً أو ناراً.....

والــتاريخ يذكــر كيف أن "هارون السامري" الإسرائيلي حدثته نفسه أو حدثته الشياطين وزينت له واستحوذت علي عقله وفهمه واستطاع أن يقنع قومه في أن يصنع لهــم إلهــاً يناجونه ويسألونه فالقوا إليه بحلي لهم وذهب فاستطاع أن يصنع منه "عجلاً جســداً " له خوار وصوت وقال : "هذا إلهكم وإله موسى "ووقف نائب "موسى" هارون الأخ بينهم وقد تركه "موسى" فترة رحلته لملاقاة ربه حسب ما أمره به من ميقات علي جــبل الطور لأخذ الألواح والأحكام وحاول "هارون بن عمران" أن يصدهم عن عبادة غيــر الله. بقولــه : "إن ربكــم الــرحمن فاتبعوني ، ولكن لم يستمعوا له ، فلما رجع "موســى" قــال له :" ما منعك وقد رأيتهم علي الضلال من قتالهم ؟ فقال هارون : إني خشــيت أن تقول فرقت بيني وبين بني إسرائيل بالقتل . ثم توجه موسى إلي السامري " بــالحديث : "قال فما خطبك ؟ "رد السامري : "بصرت بما لم يبصر به " رأيت جبريل عــلي فرسته الأنثى وهي دابة الحياة ، فقبضت قبضة من تراب حوافرها فطرحتها في فــم العجــل ودبره "فخار" وأصدر صوت العجل "وكذلك سولت لي نفسي" وقالوا : إن الســامري أخذ قبضة من التراب من أثر فرس جبريل حين رآه يوم أغرق الله فرعون

فلما ألقاها في العجل " خار" كما يخور العجل الحقيقي . ويقال أنه تحول عجلاً جسداً أي لحما ودماً حيا يخور. قال قتادة وغيره.

وقيل بل كانت الرياح إذا دخلت من دبره خرجت من فمه فيخور كما تخور البقرة فيرقصون حوله ويفرحون.

وذكروا ، أن هذا الحيوان لا يتكلم ولا يرد جواباً ولا يملك ضراً ولا نفعاً ، ولا يهدي إلي رشده اتخذوه وهم ظالمون لأنفسهم ، عالمون في أنفسهم بطلان ما هم عليه من جهل وضلال.

ولما سقط في أيديهم "أي ندموا علي ما صنعوا " ورأوا نهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين . هكذا فعل "السامري" كما سولت له الوساوس وشياطينه وصدقه ضعاف العقول ، وكان موقف موسى عندما رجع من مناجاة ربه مما لم يصدقه ومع ما تملكه من غضب شديد وتعجب أن علا صوته بدعاء معاقبة هذا الفاسد الكافر "السامري" .. ستحيا يا سامري منبوذا لا يخالطك أحد ، إلي موعد ينتظر فيه حساب عسير ، أما إلهك "العجل" فسيحرق ولسوف ننسفه ثم ننثره في اليم(١).

وينتقل بنا التاريخ إلي مثال آخر لفساد النفس والكفر والشرك ممن تغرهم الحياة الدنيا وزخرفها فينسون الله وتمثل هذه في :

"قارون بن صهيب بن قاهث"

رزق الله "قارون" مالاً وفيراً فتكبر به علي الناس حتى أبناء عمومته هارون بن عمران ونبي الله "موسى بن عمران" بن فاهث ، وتتطاول علي "موسى"وهارون" ورد علي "موسى" نبوته" إن قارون كان من قوم موسى فبغي عليهم ، آتاه الله من الكنوز ما إن مفاتحه(٢) لتنوء بالعصبة "

كان يتكبر بماله وكثرته علي عباد الله ، وإن الله لا يحب الفرحين " بما لهم الذين ينسون واجب الإحسان به علي الفقراء ويتعالون بزخرفة علي العباد.

ولقد نصحه "نبي الله موسى" بقوله : "ولا تبغ الفساد في الأرض"(٣)

(١) انظر ما ورد في ذلك في سورة الأعراف الآيات ١٤٨ : ١٤٩.
(٢) تراجع الآيات ٧٩ـ ٩٧ من سورة طه.
(٣) سورة القصص :٧٧.

وقد كان مفسداً منغمساً في المعاصي. عـن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كـان "قـارون" بن عم نبي الله "موسى" قال قتادة : وكان يسمي "المنور" لحسن صوته بالتوراة ، ولكن الأموال أفسدته وغرته زخارف دنيا عاشها " السامري" فأهلكه الله.

وروي الـبخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : إن قارون أعطي امرأة بغياً مـالاً عـلي أن تقول لموسى عليه السلام وهو في ملأ من الناس : إنك فعلت بي كذا وكـذا ، فيقـال إنها قالت له ذلك فأرعد وصلي ركعتين . ثم أقبل عليها فاستحلفها من ذلـك عـلي ذلـك . ومـا حملك عليه ، فذكرت أن "قارون" هو الذي حملها علي ذلك واسـتغفرت الله وتابت إليه ، فعندما ذلك خر موسى لله ساجداً ودعا الله علي قارون . فأوحي الله إليه : إني قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه ، فأمر موسى الأرض أن تبلعه وداره ، فكان ذلك.... والله أعلم(١)

قـال تعالي : "فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين" (القصص : ٧٩).

وكـانت نهايـة قصـة الفساد والمعاصي والتكبير ، بخروج "موسى وخروج "قـارون في جماعة من قومه" وفي ساحة تجمع فيها الناس ، وسأل "موسى" قارون" : مـا حملك علي هذا ؟ فقال : يا موسى .. أما لئن كنت فضلت علي النبوة ، فقد فضلت عليك بالمال ، ولئن شئت فلتدعون علي ولأدعون عليك . فدعا "قارون" فلم يستجب الله دعائـه والتمس "بقوله. "اللهم مر الأرض فلتطعني اليوم فأوحي الله إليه أني قد فعلت . فقـال موسى : يا أرض خذيهم فأخذتهم ثم أشار "موسى" بيده فقال : اذهبوا بني "لاوي" فاستوت بهم الأرض.

ويـرجع العـلماء أن الحـدث تم قبل خروج موسى من مصر ... والله أعلم . وتنـتهي إلـي أن شريعة "موسى" كانت عظيمة وأمنه كانت كثيرة ، ووجد فيها أنبياء وعـلماء وعباد وزهاء وملوك وامراء وسادات ، لكنهم كانوا فبادوا ، وتبدلوا كما بدلت شريعتهم ومسخوا قردة وخنازير ، ثم نسخت ملتهم ، وجرت عليهم خطوب وأمور.

---

(١) البخاري أنبياء (٥٤) ، ومسلم لباس (٤٩) والنسائي زينة (١٥١).

"وفاة نبي الله موسى عليه السلام"

روي السدي عن ابن عباس ابن مسعود قالوا : أن الله أوحي إلي "موسى" أني متوف "هارون" فائت به جبل كذا وكذا ، فانطلق موسى وهارون نحو ذلك الجبل ، فإذا هم بشجرة ، وإذا هم ببيت مبني ، وإذا هم بسرير عليه فرش ، وإذا فيه ريح طيبة . فلما نظر هارون ، قال : يا موسى .. إني أحب أن أنام علي هذا السرير قال له موسى : فنم عليه ، قال إني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب علي . قال له : لا ترهب أنا أكفيك فنم . قال : يا موسى بل نم معي . فلما ناما أخذ "هارون" الموت...فلما قبض رفع ذلك البيت. وذهبت تلك الشجرة ، ورفع السرير به إلي السماء. فلما رجع موسى إلي قومه وليس معه "هارون" ، قالوا "إن موسى قتل هارون" ، فلما أكثروا عليه قام فصلي ركعتين ، ثم دعا الله فنزل السرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض(١).

وذهب وهب بن منبه : أن موسى عليه السلام مر بملأ من الملائكة يحفرون قبراً ، فلم ير أحسن منه ولا أبهج ، فقال : يا ملائكة الله ... لمن تحفرون هذا القبر ؟ فقالو . لعبد من عباد الله كريم ، فإن كنت تحب أن تكون هذا العبد فادخل هذا القبر وتمدد فيه وتوجه إلي ربك وتنفس أسهل ففعل تنفس ففعل ذلك ، فمات عليه السلام فصلت الملائكة ودفنوه ثم رفع(٢). وذكر أهل الكتاب . وغيرهم أنه مات وعمره مائة وعشرون سنة .

ولقد استمر الوحي والتشريع والكلام من الله إليه من جميع أحواله حتى توفاه الله عز وجل ، وذكر المفسرون ما قاله الإمام احمد وما حدث به أمية بن خالد ويونس عن أبي هريرة مرفوعاً إلي خاتم الأنبياء محمد وسلم ﷺ قال : "كان ملك الموت يأتي الناس عياناً فأتي موسى عليه السلام فلطمه ففقأ عينه ، فأتي ربه فقال : يا رب .. عبدك موسى فقأ عيني ، ولولا كرامته عليك لعتبت عليه قال له : اذهب إلي عبدي وقل له فليضع يده علي جلد ثور – فله بكل شعرة وارت يده سنة . فأتاه فقال له ، فقال : ما بعد هذا ؟ قال الموت . فقال : فلأن فشمه شمه فقبض روحه "قال يونس : فرد عليه عينه ، وكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب ، عن مصعب بن المقدم عن حماد

---

(١) صحيح مسلم ج ٧ / ١٠٣.
(٢) تاريخ الطبري ج ١ / ٣٠٥.

بـــن سلمة فرفعه أيضاً وهذا هو نفس الـــذي نقل من كتب أهل الكتاب وكتابهم الذي يســـمونه الــتوراة ، وهـــو أيضـــاً المعـــلوم من سياق كتابهم عن "تابوت" الشهادة في "قبة الزمان"(١).

واجب الجهاد في شريعة نبي الله موسى وخاتم الأنبياء

كـــتب الله الجهـــاد في سبيله وأعلاه كلمته علي المؤمنين بما أنزل علي النبي الخاتم (محمد) ﷺ ، وما أمر به العلي القدير عز وجل – صبراً علي أذى ، وحرمانا ومجاعـــة ، وتعذيـــباً وهجرة من الديار إلي رحاب بعيدة إلي أن شاء الله للدعوة توفير أركـــان قوتهـــا وعزتها ومنعتها ، حتى جاء قرار النبي الخاتم وهو ﷺ ما ينطق عن الهوى أن هو إلا وحي يوحي...

وكـــان القـــرار أن يعـــد جيـــش المسلمين تحت قيادة مسلمة ليكون بداية إقدام وشـــجاعة أوســـع وأن يـــتحرك لـــتزداد به الخبرات وأساليب الحرب ومواجهات الفن العســـكري والقـــتال عـــلي أن يكون أول الغزو غزو أكبر إمبراطوريات ذلك العصر (قـــوة الـــروم) بالشام ، فوصل الجيش بقيادة النبي ﷺ فوصل إلي منطقة (تبوك). ثم رجع عامه ذلك سنة تسع الهجرية بأفراد جيشه – ومما لاشك فيه أن الجيش المسلم قد اكتســـب خبرة ومزيد جرأة ومعرفة . ثم حج المصطفي في سنة عشر ، ثم رجع ثيجهز جيشـــاً بقيادة (أسامة بن زيد) إلي الشام ، وتوفي ﷺ وأسامه مخيم بالجرف فتولي أمر المســـلمين مـــن بعـــده (أبي بكر الصديق) رضي الله عنه خليفة رسول الله ﷺ فجهز الجيـــوش يمينه ويسره إلي العراق أصحاب كسري ملك الفرس ، وإلي الشام أصحاب قيصـــر ملك الروم.وانتشر الإسلام في الأرجاء وعلت كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله وهكـــذا أمر الله (موسى) أن يجند من بني إسرائيل وأن يجعل عليهم نقباء وفي هذا قولـــه تعالي : "ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم أثنى عشر نقيبا ، وقال الله إنـــي معكـــم ، لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم أقرضتم الله قرضـــا حســـناً لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل " المائدة ١٢.

---

(١) تاريخ الطبري ج ١ / ٣٠٥.

وعلي نفس المنهج ... نظم "موسى" عـليه السلام السبط الأول من الجيش وكـان تحـت أسـم "روبيل" وكان عدد المقاتلين فيه ممن بلغ العشرين ويستطيع حمل السـلاح ويقاتل ستة وأربعين ألفاً وخمسمائة ثم عين عليهم "اليصور بن شديئور" نقيباً. ثم كون السبط الثاني : سبط "شمعون" وكانوا تسعة وخمسين ألفاً وثلاثمائة وكان نقيبهم "شلوميئيل بن هوريشداي" ثم أتم السبط الثالث ، "سبط يهوذا" وكانوا أربعة وسبعين ألفا وستمائة وعين "نحشـون بـن عميـنا ذاب " نقياب عليهم ثم أكمل السبط الرابع. "سبط ايساخر " وكانوا أربعة وخمسين ألفا" وأربعمائة وعين عليهم "نثائيل بن صوعر" نقيـبا". ثـم تـلاه السـبط الخامس : وكان تحت اسم يوسف عليه وكانوا أربعين ألفاً وخمسـمائة وعـليه عين "يوشع بن نون" نقيبا ثم تلاه السبط السادس : تحت اسم سبط "ميشا" وكانوا أحدا وثلاثين ألفً ومائتين ، وكان "جمليئيل بن فدهصور" نقيباً ويأتي بعد ذلك في الترتيب السبط السابع – سبط "بنيامين " وكانوا خمسة وثلاثين ألفاً وأربعمائة ، واخـتص بهـم "ابيـدن بن جدعون " نقيباً ثم السبط الثامن : "سبط حاد" وكانوا خمسة وأربعيـن ألفـا وخمسمائة ، وكان نقيبهم "الياساف بن رعوئيل" ثم يتقدم السبط التاسع "سـبط أشـير" وكانوا أحد وأربعين ألفاً وخمسمائة يقودهم "فجعيئيل بن عكرن".ثم يأتي السـبط العاشـر وهو" سبط دان " وكان أثنين وستين ألفاً وسبعمائة.وكان النقيب عليهم "أخيعـزر بـن عمشـداي" كما تم إعداد السبط الحادي عشر : "سبط نفتالي " ، وكانوا ثلاثـة وخمسين ألفاً وأربعمائة ، وكان النقيب عليهم : "الباب بن حيلون" وهذا ما ورد فـي كـتاب أهـل الكتاب والله أعلم أما سبط "بنو لاوي" وهم سبط موسى وهارون فلم يـنجدهم "موسـى" لأنهـم موكـلون بمحل "قبة الشهادة" وضربها ونصبها وحملها إذا ارتحـلوا ، وكـان عددهم أثنين وعشرين ألفاً.... وهم في أنفسهم قبائل يحرس بعضهم "قبة الزمان" ويحفظونها ويقومون بمصالحها وهم كلهم حولها.

وكـان مكانهم في وسط بني إسرائيل فكانوا في مكان القلب ، أما رأس الميمنة فكـانت "لبـني روبيـل" ، ورأس الميسـرة "لبني دان" أما "بنوا نفتالي" فكانوا يكونون الساق. أما الكهانة كما أوحي الله لموسى فكانت في "بني هارون" في ناداب" أكبرهم ثم أبيهو ، العازر ، يثمر.

وقيل : لم يبق أحد علي قيد الحياة ممن عارض أمر موسى عليه السلام ونكل عن دخول مدينة الجبارين "بيت المقدس" ممن قالوا لموسى عليه السلام : "يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ، وقال ربي إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين(٢٥) ، فقال إنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس علي القوم الفاسقين(٢٦) المائدة.(الخبر تاريخ الطبري ج١ / ٣٠٤).

والذي عليه الجمهور : أن "هارون" توفي في "التيه" قبل" موسى" عليه السلام بنحو من سنتين ، وبعده "موسى" في التيه أيضاً ، وأنه سأل ربه أن يقربه إلي بيت المقدس فأجب إلي ذلك ، وعلي ذلك فإن الذي خرج بهم من التيه ، وقصد بهم بيت المقدس ، هو "يوشع بن نون" .

وذكر أهل الكتاب وغيرهم من أهل التاريخ ، أنه قطع ببني إسرائيل نهر الأردن وانتهي إلي "أريحا" فحاصرها ستة أشهر ثم دخلوها وقتلوا اثني عشر ألفاً من الرجال والنساء ثم اتجه إلي فتح "بيت المقدس" الذي هو المقصود الأعظم ، وذكروا أنه انتهي محاصرته إلي يوم الجمعة بعد العصر ، فلما غربت الشمس أو كادت تغرب ، ويدخل عليهم السبت كان قد فتح بيت المقدس ، قال الإمام احمد حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا أبو بكر ، عن هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : "أن الشمس لم تحبس لبشر إلا "ليوشع" ليالي سار بيت المقدس ، انفرد به احمد وهو علي شرط البخاري "سند احمد ج ٢ / ٣٢٥" وفي ذلك دلالة علي أن الذي فتح بيت المقدس هو "يوشع بن النون" عليه السلام ، وأن الله حبس "الشمس" في فتح بيت المقدس "أريحا" كما أكد الإمام أبو الفدا إسماعيل بن كثير (٧٠١- ٧٧٤ ﻫ)[١] ولما دخل " يوشع بن نون" وتم له فتح "بيت المقدس" أمر أن يدخلوها سجداً أي سجداً أي ركعاً متواضعين شاكرين لله عز وجل علي ما من به عليهم من الفتح العظيم الذي كان الله وعدهم إياه وان يقولوا حال دخولهم : "حطة " أي حط عنا خطايانا التي سلفت من امتناعنا دخولها ومحاربة الجبارين ببيت المقدس كما أمر "موسي" عليه السلام من

---

(١) قصص الأنبياء ص ٢٨٧ مكتبة الإيمان المنصورة.

سبقونا. وقوله تعالي : وادخلوا الباب سجداً[١] قال مجاهد والسدي والضحاك : "الباب هـو بـاب حطة من بيت " إيلياء" بيت المقدس قاله ابن عباس وعطاء والحسن وقتادة والربيع : "أمروا أن يستغفروا"

قـال تعالي : "ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم (٥٨) فبدلوا كعادتهم وقـال تعالي : "فبدل الذين ظلموا غير الذي قيل لهم فأنزلنا علي الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون "البقرة : ٥٩"

قـال الـثوري عـن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ركعاً من باب صغير يزحفون علي أستاهم وهم يقولون : "حنطة في شعيرة ".

وقـال السـدي عن مرة بن ابن مسعود قال في تفسير قوله تعالي : "فبدل الذين ظلموا قـولا غيـر الـذي قيل لهم قالوا: "هطي سقانا أزمة مزيا" فهي في العربية تعني "حبة حـنطة" حمـراء مـثقوبة فيها شعره سوداء "وقد ذكر الله تعالي أنه عاقبهم علي هذه المخالفـة بإرسال الرجز الذي أنزله عليهم ، وهو الطاعون ، كما ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن أسامة بن زيد وخزيمة بن ثابت قالوا : قال رسول الله ﷺ : "الطـاعون رجز عذاب عذب به من كان قبلكم ،"وقال أبو العالية : هو الغضب ، وقال الشعبي : الرجز إما الطاعون وإما البرد ، وقال سعيد بن جبير : هو الطاعون[٢].

ولمـا اسـتقرت يـد بين إسرائيل علي "بيت المقدس" استمروا ، وبين أظهرهم نبي الله "يوشـع بـن نـون" يحكم بينهم بكتاب الله "التوراة " حتى قبضه الله إليه وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة فكانت مدة حياته بعد موسى سبعاً وعشرين سنة.

قصة إيمان الخضر وإلياس عليهما السلام

قـال البخاري رحمه الله : حدثنا محمد بن سعيد الأصبهاني ، حدثنا ابن مبارك عن معمر ، عن همام عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال إنما سمي الخضر لأنه جلس علي فروة الأرض التي لا نبات فيها فاخضرت.

---

(١) البقرة : ٥٨.

(٢) الموطأ ، مدينة ٢٣ ، البخاري أنبياء ٥٤ مسلم بسلام ٩٢- ٩٤- ٩٥.

وقــال غيــره : هو الهيثم إلياس شبه بالفــروة "بيضــاء فــأذا هي تهتز من خلفه خضــراء "تفــرد به البخاري ج ٤ /١٤٠ باب خلق آدم وذريته" قال الخطابي : ويقال إنما سمي الخضر خضرا لحسنة وإشراق وجهه.

وقــال قبيصــة عن الثوري عن المنصور عن مجاهد قال : إنما سمي الخضر لأنــه كان إذا صلي اخضر ما حوله ، وقد روي الجاحظ ابن عساكر بإسناء إلي السدي أن الخضر وإلياس كانا أخوين ، وكان أبوهما ملكاً ، فقال إلياس لأبيه إن أخي الخضر "لا رغـبة له في الملك ، فلو انك زوجنه لعله يجئ منه ولد يكون الملك ، فزوجه أبوه بامــرأة حســناء بكر فقال لها الخضر : إنه لا حاجة له في النساء ، فإن شئت أطلقت ســراحك ، وأن شــئت أقمت معي تعبدين الله عز وجل وتكتمين علي سري فقالت نعم وأقامت معه سنة ، أما الملك أبوه فلم يعجبه خبر عدم إنجابه ، فزوجه بأخرى ، ولكنها أفشــت الســر لأبيه فبعث لاستدعائه ومواجهته ، ولكن الخضر خاف المواجهة فهرب بنفسه بعيداً. وقد قامت علي الخضر روايات وحكايات تناولت حياته وكل من الأحاديث المــرفوعة فــي ذلــك ضعيفة جداً لا يقوم بمثلها حجة في الدين ، والحكايات لا يخلو أكثرها عن ضعف الإسناد.

وقد تصدي الشيخ أبو الفرج بن الخوزي رحمه الله في كتابه : "عجالة المنتظر فــي شرح حالة الخضر " في الأحاديث الواردة عن استمرار حياته إلي اليوم فبين أنها موضــوعة ، ومــن الآثــار عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم فبين ضعف أسانيدهما وبيان أحوال وجهالة رجالها وقد أجاد في ذلك.

وأمــا الذيــن ذهــبوا في أنه قد مات ، ومنهم البخاري وإبراهيم الحربي وأبو الحســن بن المنادي والشيخ أبو الفرج بن الجوزي ، وقد انتصر لذلك وألف عنه كتابا أسماه "عجالة المنتظر في شرح حالة الخضر" فيحتج لهم بأشياء كثيرة منها قوله تعالي : "وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد" الأنبياء ٣٤.

قــال ابــن عباس : ما بعث الله نبيا إلا أخذ عله الميثاق لئن بعث محمد حي ليؤمن به ولينصرنه ... ذكره البخاري.

فالخضر إن كان نبيا أو ولياً. فقد دخل في هذا الميثاق ، فلو كان حياً في زمن رســول الله ﷺ لكان أشرف أحواله أن يكون بين يديه يؤمن بما أنزل الله عليه ، وأن

كان ولياً فالصديق "أبو بكر" في زمن رسول الله ﷺ أفضل منه كان نبياً "فموسى" أفضل منه.

وقد روي الأمام أحمد في سنده : حدثنا شريح بن النعمان ، حدثنا هشيم : أنبأنا مجاد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله ، أن رسول الله ﷺ قال : "والذي نفسي بيه لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا إن يتبعني"

وهذا الذي يقطع به ويعلم من الدين علم الضرورة . وقد دلت عليه هذه الآية الكريمة : "وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمه ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصره قال أأقررتم وأخذتم علي ذلك أصري ، قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين (آل عمران : ٨١) فالأنبياء كلهم لو فرض أنهم أحياء في زمن رسول الله ﷺ ، لكانوا كلهم أتباعا له. وتحت أوامره وفي عموم شرعه . كما أنه ﷺ لم أجتمع بهم ليلة الإسراء والمعراج رفعه الله فوقهم كلهم . ولما هبطوا معه إلي بيت المقدس وحانت الصلاة أمره جبريل عن أمر الله سبحانه أن يؤمهم فصلي بهم في محل ولايتهم ودار إقامتهم . فدل ذلك علي أنه الإمام الأعظم ، والرسول الخاتم المبجل المقدم ﷺ عليهم أجمعين.

ولقد اختلف في الخضر ، في اسمه ، ونسبه ونبوته ، وحياته إلي الآن ، علي أقوال... قال الحافظ ابن عساكر : يقال أنه الخضر بن آدم عليه السلام لصلبه ، ثم روي من طريق الدار قطني عن ابن عباس ، قال الخضر بن آدم لصلبه ونسئ له في أجله حتى يكذب الدجال وقال أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني.

وهذا منقطع وغريب : سمعت شيختنا ومنهم أبو عبيد وغيره قالوا : إن أطول بني آدم عمراً الخضر وأسمه "خضرون بن قابيل بن آدم" ، قال وذكر ابن إسحاق : أن آدم عليه السلام لما حضرته الوفاة أخبر بنيه أن الطوفان سيقع بالناس ، وأوصاهم إذا كان ذلك أن يحملوا جسده في السفينة ، وأن يدفنوه معهم في مكان حدده لهم فلما كان الطوفان حملوه معهم ، فلما هبطوا إلي الأرض أمر "نوح" بنيه أن يذهبوا ببدنه فيدفنوه حيث أوصي ، فقالوا : إن الأرض ليس بها أنيس وعليها وحشة ، وهابوا المسير إلي ذلك الموضع فلم يزل جسده عِندهم ، فدعا "آدم لمن يقوم بدفنه بطول العمر- حتى كان

الخضر هو الذي تولي دفنه ،واستجاب الله لدعـاء "آدم" ، فهو "الخضر" يحيا إلي ما شاء الله أن يحيا.

وذكر ابن قتيبة في "المعارف" عن وهب بن منبه : أن اسم الخضر "بليا" ويقال "بـليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام(١).

وقال إسماعيل بن أبي أويس : اسم الخضر – فيما بلغنا والله أعلم (المعمر بن مالك بن عبد الله بن نصر بن الأزد) وقال غيره : هو خضرون بن عمايبل بن اليفز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل.

ويقـال : هـو : أرميابن حلقيا ... فالله أعلم وقيل أنه كان ابن فرعون صاحب موسى مـلك مصـر ، وهذا غريب جدا قال ابن الجوزي : رواه محمد أيوب عن ابن لهيعة. وهمـا ضعيفان وقيل : إنه مالك أخو "إلياس" ، وقيل إنه كان علي مقدمة ذي القرنين. وقيـل كان ابن العيص من آمن "بإبراهيم الخليل وهاجر معه ، وقيل كان نبياً في زمن "بشتاسـب بن بهراسب "قال ابن جرير : والصحيح أنه كان متقدما في زمن "أفريدون" ابن أثفيان حتى أدركه موسى عليه السلام(٢)

وروي الحـافظ ابـن عسـاكر عن سعيد بن المسيب أنه قال : " الخضر أمه روميـة وأبـوه فارسي" ، وقد ورد ما يدل علي أنه من بني إسرائيل في زمان فرعون وأن الذي رحل إليه هو موسى بن عمران نبي إسرائيل الذي أنزلت عليه التوراة.

وقـد ورد مـا يـدل علي أنه من بني إسرائيل في زمان فرعون أيضاً ، قال زرعـة فـي دلائل "النبوة" : حدثنا صفوان بن صالح الدمشقي ، حدثنا الوليد ، حدثنا سعيد بن بشير عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ : أنه ليلة أسري وجد رائحة طيبة ، فقال لجبريل : ما هذه الرائحة الطيبة ؟ قال : هذا ريح الخضر.

وقد روي في وصايا الخضر لموسى آثار منقطعة منها ما قاله البيهقي : حدثنا أبـو بكـر ابـن أبي الدنيا حدثني أبو عبد اله الملطي قال : لما اراد موسى أن يفارق الخضر قال له موسى : أوصني قال : كن نفاعاً ولا تكن ضراراً ، كن بشاشاً ولا تكن غضاباً ، ارجع عن اللجاجة ولا تمشي في غير حاجة.

---

(١) تاريخ الطبري ج ١ / ٢٥٦ قصة الخضر.
(٢) المعارف ج ١ / ٤٢ وقال : كان أبوه ملكاً عظيماً.

وقال وهب بن منبه : قال الخضر : يا موسى . إن الناس معذبون في الدنيا علي قدر همومهم بها وقال بشر بن الحارث الحافي : قال موسى للخضر : أوصني ، فدعا له قائلاً : يسر الله عليك طاعته ومن عجائب كرامات الخضر وما رواه ابن عساكر أن الوليد بن عبد الملك بن مروان – باني جامع دمشق – أحب أن يتعبد ليلة في المسجد ، فأمر حرسه أن يخلوه له ففعلوا ، فلما كان الليل جاء في باب الساعات فدخل الجامع ، فإذا برجل قائم يصلي فيما بينه وبين باب الخضراء ، فقال عبد الملك لحرسه : ألم آمركم أن تخلوه ؟ فقالوا يا أمير المؤمنين هذا الخضر يجئ كل ليلة يصلي ها هنا.

وقال الجوزي : إن الخضر لم يعش بعد مائة سنة ، وقد حكي الحافظ أبو القاسم السهيلي في كتابه "التعريف والأعلام" عن البخاري ، أن الخضر أدرك حياة النبي ﷺ ولكنه مات بعده... والله أعلم.

ونتابع مع نبي الله "إلياس النشبي"[١]

قضية الإيمان ومجاهدات التبليغ أمام كفر ومعاندات قوم لا تعقل الحقيقة.... قوله تعالي "إن إلهكم واحد رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق (الصافات آية ٥). وقد بعث الله "إلياس" وإرشاد وتقويم أفهام أهل المنطقة الغربية لمدينة " دمشق " السورية وقد كانوا يعبدون صنماً صنعوه من ذهب كانوا يسمونه "بعلاً" أضافوا للاسم كلمة "بك" فأصبحت "بعلبك" علماً علي منطقتهم ، وقيل كانت امرأة اسمها "بعل" قدسوها وانتسبوا لها . والله أعلم[٢].

وقد أشار القرآن الكريم لمنزلة "إلياس" بين المحسنين من عباد الله المخلصين المؤمنين ودوره ما أداه من لفت أنظار المنحرفين عباد الأصنام إلي عبادة الله جل شأنه وترك عبادة صنم عكف الناس علي عبادته .

وسموه بأنفسهم "بعلاً" وصنعوه بأيديهم من معدن من ذهب جلبوه ونصبوه أمامهم يناجونه ويسجدون وصدقت عقولهم بألوهية جماد لا حول له ولا قوة !!

---

(١) قال علماء النسب هو إلياس النشبي ، ويقال أنه : ابن ياسين ابن فنحاص بن العيزار ابن هارون "تاريخ الطبري ج ١ / ٢٥٥" وقيل هو إلياس بن العازر بن اليزار بن هارون بن عمران (انظر تهذيب ابن عساكر ج ١ /٩٨).

(٢) ابن قتيبة : المعارف /٥١

وفي شأن نبي الله "إلياس" قال تعـالي : "سـلام عـلي إبراهيم ١٠٩ كذلك نجـزي المحسنين ، أنه من عبادنا المؤمنين ١١١ وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ١١٢وباركنا عليه وعلي إسحاق ومن ذريتهم محسن وظالم لنفسه مبين ١١٣ ولقد مننا عـلي موسى وهارون ونجيناهم وقومهما من الكرب العظيم ١١٥ ونصرناهم فكانوا هم الغالـبين ١١٦ وآتيـناهما الكتاب والمستبين ١١٧ وهد بناهما الصراط المستقيم ١١٨ وتركـنا عـليهم فـي الآخرين ١١٩ سلام علي موسى وهارون ١٢٠ إنا كذلك نجزي المحسـنين ، إنهمـا من عبادنا المؤمنين وإن إلياس لمن المرسلين ، إذا قال لقومه إلا تتقون ، أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين ، الله ربكم ورب آبائكم الأولين ، فكذبوه فإنهم لمحضرون ، إلا عباد الله المخلصين ، وتركنا عليه في الآخرين ، سلام علي آل ياسين ، إنا كذلك نجزي المؤمنين (١٣٢ : الصافات).

كذبت الأقوام نبي الله "إلياس" فتوعدهم الله بقوله إنهم لمحضرون في النار معذبون فيها وقوـله تعالي : "وتركنا عليه في الآخرين "تشير علي مدح الله وثنائه علي "إلياس" علي مـا يقـدم فـي سبيل استقامة العبادة بين الناس ... وقوله تعالي : "وسلام منا علي آل ياسـين " إذا قرئت بالمد كان السلام علي أهل "إلياس" وإذا قرئت بغير مد فإن المعني يكون : للإلياس جزاء ما أعده الله للمحسنين عملهم وعبادتهم واستقامتهم.

ولقـد كذبـه أهـل بعلبك وخالفوه وأرادوا قتله ، ويقال أن "إلياس" هرب منهم واختفي عنهم . قال أبو يعقوب الأذرعي ، عن يزيد بن عبد الصمد قال : وسمعت من يذكـر عـن كعـب الأحبار أنه قال : إن إلياس اختفي أمام بطش ملك بعلبك في الغار تحـت الدم عشر سنين ، حتى أهلك الله ذلك الملك الطاغية وولي غيره ولم يكن أفضل منه ، فأتاه إلياس فعرض عليه السلام .. فلم يستجب ، واسلم من شعبه خلق عظيم غير عشرة آلاف منهم فأمر بهم هذا الملك فقتلوا عن آخرهم.

كالب بن يوفنا – حزقيل بن بوذي

وانتهت بإلياس الحياة وقد واجب الدعوة والتبليغ من ربه عز وجل ، والكفر قد أصـروا عـلى الكفـر فاسـتحقوا ما توعدهم به المولى من عذاب الحريق ليحتويهم أجمعين.

ونواصـل التقصي في الدعوة إلى الله بذكر جماعة من أنبياء الله لا يعلم وقت زمانهم بالتحديد إلا أنهم تواجدوا بعد داود وقبل "زكريا ويحيي" عليهم السلام.

قـال ابن جرير في تاريخه. تولى أمر بني إسرائيل بعد "يوشع بن نون" خليفة نـبي الله "موسـى بن عمران" في القيادة والانتشار في ربوع المعمورة القائد" كالب بن يوفـنا" أحـد أصحاب" موسى عليه السلام وهو زوج أخته مريم ، فلما توفاه الله تولى القيادة والدعوة في بني إسرائيل القائد "حزقيل بن بوذي" وفي حياة "حزقيل" ضرب الله لـه ولقومة مثلا معناه ، أنه لن يغني حذر امرئ مما قدره الله عليه وفي هذا عبرة لمن يعتبر ويوجه إلى الاعتماد والتوكل على الله بعد أخذ الأسباب والتحوط.

وتظهر لنا المعاني والمقاصد من قوله تعالى لخاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عـليه: "ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون" (البقرة : ٢٤٣).

قـال أسباط عن السدي عن ابن عباس عن ابن مسعود : "إنه كانت قرية يقال لهـا "داوردان" قـبل منطقة "واسط" وقع بها الطاعون فهرب عامة أهلها ونزلوا ناحية مـنها فلم يمت منهم كثير حتى رفع الله خطر هذا الطاعون فرجعوا فقال الذين بقوا في القـرية : أصـحابنا هؤلاء كانوا أحزم منا .. ثم أصابهم الطاعون في السنة التالية .. فهربوا وهم بضعة وثلاثون ألفاً حتى نزلوا "وادي أفيح".

ونسـوا ضـرورة الالتجاء إلى الله في الشدائد والاستغفار وطلب العفو ورفع الـبلاء ، وظنوا أنهم بحكمة عقولهم وتصرفهم ناجون من غضب الله ، فأمر بهم ملك يـنادي فيهم : أن موتوا ، فماتوا ويوما مر بهم النبي حزقيل متعجبا من قدرة الله عليهم ، فأوحي الله إليه أن ناد : يا أيتها العظام إن الله يأمرك أن تكتسي لحماً ودماً ، ثم قيل

له : ناد : فنادي: أيتها الأجساد إن الله يأمرك أن تقومي ... فقاموا ورجعوا إلى قومهم أحياء حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم.

وعـن سـعيد بن عبد العزيز "كانوا من أهل أذرعات" وعن ابن عباس قال : كانوا أربعين ألفاً ... والله أعلم.

والقصة بكاملها تعطي الحكمة على يد النبي "حزقيل" وليعلمها القاصي والداني مـن وجوب توكل الناس على الله وتفويضه في كل شئونهم وطلب رفع الأذى برحمته ودوام طـلب العون والحماية والنجاة منه . وأنه لا سبيل إلى نجاة مخلوق بالعقل مهما أوتي من ذكاء ، إنما سبيل النجاة الوحيد هو الله ملجأ المكروب في كل زمان ومكان . قـال محمـد يـا إسحاق . ولم يصل إلينا مدة لبث "حزقيل" في بني إسرائيل ثم إن الله قبضـه إليـه. فـلما قبض نسى بنو إسرائيل عهد الله إليهم بالاستقامة ، وعظمت فيهم الإحداث وعبدوا الأوثان.

بنو إسرائيل وعنادهم المستمر وكفرهم

ونوالي تواصل رسل الله في بني إسرائيل إرشاد إلى عبادة الواحد وترك ما يعبدون من أصـنام ، ولكـنهم دأبوا تكذيب الرسل ، وإن آمن منهم القليل ، تطاولوا على "إلياس" وتـابعوه ليقتـلوه حـتى أختفي عنهم في مغارة ، ثم عاد يدعوهم للإيمان ولكن ملكهم هاجمـه وقتل المؤمنين به وقد بلغوا عشرة آلاف قال تعالى : (إن إلياس لمن المرسلين (١٢٣) إذ قـال لقومه ألا تتقون (١٢٤) أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين (١٢٥) الله ربكـم ورب آبـائكم الأولين (١٢٦). فكذبوه فإنهم لمحضرون(١٢٧) إلا عباد الله المخلصـين (١٢٨) وتركـنا عـليه في الآخرين (١٢٩) سلام على آل ياسين (١٣٠) سورة الصافات.

أدي "إليـاس" رسـالة ربـه وابقي الله بعده ذكراً حسناً في العالمين فلا يذكر إلياس إلا بخير سلام على آل ياسين[1] قال أبو يعقوب الأذرعي عن هشام بن عمار قال : سمعت مـن يذكـر عن كعب الحبار أنه قال : إن إلياس اختفى من ملك قومه في الغار الذي تحت الدم عشر سنين ، حتى أهلك الله الملك وولي غيره.

---

(١) أي سلام على (الياس) فالعرب يلحقون النون في السماء كثيرة وتبدلهم وتبد لهم من غيرها كما قالوا إسماعيل واسماعين وإسرائيل واسرائين ، والياي ، والياسين ، وآل ياسين بالمد في إحدى القراءات.

فاتـــاه "إليـــاس" فعرض عليه الإسلام. وأسلم من قومه خلق عظيم غير عشر الف منهم فرئبهم فقتلوا عن أخرهم وذكر وهب بن منبه وغيره : أن إلياس قبض لما دعا ربه عز وجل أن يقبضه إليه لما كذبوه وآذوه فاستجاب مولاه. [١]

ولم تنقطع عنهم رسل ربك تهدي إلى الخير وتحذر من الشرور فجاءهم : اليسع ثم ذو الكفل عليهما السلام.

اليسع وذو الكفل عليهما السلام

ذو الكفل :

قـــال هو ابن عم (إلياس) عليهما السلام ويقال كان مستخفيا بجبل (قاسيون) من أرض بعلـــبك ، فـــلما رفـــع "إلياس" خلفه "اليسع" قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في حرف الياء من تاريخه فلما رفع "إلياس" خلفه "اليسع" في قومه وقال الحافظ بن عساكر : اليســـع" هـــو : الأســـباط بن عدى بن "شوتلم" بن "أفرائيم" بن يوسف بن يعقوب بن إســـحاق ابن إبراهيم الخليل . وذكر ربك أيضاً عبد المنعم بن إدريس بن سنان عن أبيه ، عن وهب بن منبه ، قال وقال غيره : وكان الأسباط (ببانياش).

قـــال تعـــالى : "واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار" سورة ص : ٤٨
وقـــال بن إسحاق : حدثنا بشر أبو حذيفة ، عن أبي سعيد عن قتادة ، عن الحسن قال : كـــان بعد "إلياس" "اليسع" عليهما السلام ، فمكث ما شاء الله أن يمكث يدعوهم إلى الله مستمسكا بمنهاج إلياس وشريعته حتى قبضه الله عز وجل إليه.

ثـــم خرج أمر بني إسرائيل وعظمت فيهم الخطايا وجاء فيهم ملك عنيد طاغية تقدم لهدايته نبي الله ذو الكفل " ويقال : أنه الملك الذي تكفل له النبي "ذو الكفل" إن هو تاب ورجع عن معاصيه أدخله الله الجنة وتاب عليه. لذلك سمي نبي الله بهذا الاسم "ذو الكفـــل". ولقـــد عظمـــت من بني إسرائيل الخطايا وكثرت فيهم الجبابرة وقتلوا الأنبياء وكـــثرت فيهـــم الأحـــداث ، فـــأبدلهم الله ملوكاً جبارين عوضا عن الأنبياء والرسل ، وأصـــبح المـــلوك يســـفكون دماءهم ويتسلطون عليهم ، ثم سلط الله عليهم عداوة من جاورهم من ملوك الدول بعد أن أتضح لهم خياناتهم المستمرة.

---

(١) تفسير الطبري ج٢ / ٣٦٥

فقـد كـان بنو إسرائيل يخونون من حولهم ولا أمان لعهودهم. كانوا يخونون دولـة لحسـاب دولة أخرى كانوا يحاربون إلى جانب من يرون أن مصالحهم تقتضي ذلك ، وكانوا يوقعون بين الدول الكبرى من حولهم بشتي الأساليب.

حـتى خططـت الـدول العظمى من حولهم إلى سبيهم وإنهاء وجودهم وإهانة جموعهـم. وكـانت فرسان بني إسرائيل ومحاربيها أثناء هجوم الدول عليهم يحملون "تـابوت الميـثاق" الذي كانوا يحتفظون به في "قبة الزمان" "حيث جل الله فيه السكينة والبقية مما ترك آل موسى وهارون ، فكانوا ينصرون ببركته.

وبـقى فيهـم حـتى صارت حروبهم أمام أهل : غزة وعسقلان حيث غلبوهم وقهـروهم عـلى أخذ التابوت وانتزعوه من أيديم. وهال الأمر على بني إسرائيل حتى مات بعضهم كمدا.

وبقـي "بنو إسرائيل" بعد ذلك كالأغنام بلا راع حتى بعث الله فيهم نبياً يقال له "شمويل"

نبي الله "أشمويل" ومجاهدات تلك الفترة

حـكى السـدي بإسناده عن ابن عباس وابن مسعود والثعلبي وغيرهم : أنه لما غلـبت العمالقة سكان "غزة وعسقلان" على بني إسرائيل وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وسبوا مـن أبـنائهم جمعاً كثيراً وسبق ذلك انقطاع النبوة من "سبط لآوى" "بني إسرائيل" ولم يـبق فيهم إلا امرأة حبلي. أخذت تدعو الله عز وجل أن يرزقها ولداً واستجاب الله جل شأنه فولدت غلاماً أسمته "أشمويل" ومعناه بالعبرانية "إسماعيل" أي سمع الله دعائي[1].

وكان بنو إسرائيل قد أنهكتم الحروب وقهرهم الأعداء ، وقد ظهر بينهم النبي "أشمويل" يدعوهـم إلى الصـلاح والاجـتماع على الحق وترك كل باطل ، وماهم فيه من عبث ومجـون واعتداءات ، ويوماً سألوه أن يختار لهم ملكاً قائداً يقاتلون من خلفه ما جاورهم مـن عامـر المـدن ... وذكروا أن غرضهم هو الانتقام ممن أخرجوهم من الديار ، وفرقوا بين الآباء والأبناء ، والأزواج والزوجات وبذلك يكون القتال عن المستضعفين مـن اسـرانا لدى من حولنا. ولما كان الأنبياء تناسلوا من "سبط لاوي" فقد ذكر النبي

(١) تاريخ الطبري ١ / ٣٢٩ - ٣٣٠

"أشــمويل" في سبط "يهوذا" فاختار منهم "بنيامين" ليكون ملكا قائداً لبني إسرائيل ولكن الشعب الإسرائيلي اعترض على اختياره بحجة أنه فقير فكيف يكون له الملك عليهم.

وأوحى الله إلى "أشــمويل" أنَّ من تساوى طوله مع هذا العصا يكون له الملك ويفــوز بالقيــادة ، وانتهت اختبارات القياس لكل من تقدم ليقع الاختيار على واحد هو طــالوت فيصــبح ملكاً على بني إسرائيل يقودهم للحرب. قال تعالى : "لم تر من الملأ من بني إسرائيل من بعد موشى إذا قالوا لبني لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال : هــل عســيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجــنا مــن ديارنــا وأبنائــنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين (٢٤٦) سورة البقرة.

وقــال لهم نبيهم أن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنيًّ يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه وام يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فــي العــلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم البقرة ٢٤٦ ، ٢٤٧ ثم يــتابع "أشمويل" النبي إقناع شعب إسرائيل قائلا وإن لهذا القائد المختار "طالوت" الذي باركــته الســماء معجزة يجريها الله على يدية تثبيتاً لنبوته وصدق وسلامة اختياره ... تتذكرون التابوت المقدس ؟ الذي كنتم تحتفظون به تحت قبة الزمان وتأخذون مما حواه مــن مســتقيم الأحكــام والــتعاليم ويجــلب لكم الانتصار على الأعداء وتتبركون به وتستبشــرون ، وضاع منكم عندما اغتصبه محاربو "غزة وعسقلان" أثناء حربكم معهم ... هذا التابوت ستأتي به الملائكة إليكم بأمر ربها وجاء ذلك في قوله تعالى :

(وقــال لهم نبيهم أن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة أن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) ٢٤٨ البقرة.

وقيل إن في هذا التابوت طست من ذهب كان يغسل فيه صدور الأنبياء ....

ويقــال أن محاربوا "غزة وعسقلان" العماليق عندما أستحوذا على التابوت في حربهم وضعوه تحت صنم لهم كانوا يعبدونه ، وفي الصباح كانوا يجدون التابوت فوق هذا الصنم ولما تكرر هذا أخرجوه من أرضهم وأبعدوه إلى إحدى قراهم ، ثم بعد ذلك

وضــعوه على عجلة وربطوها في بقرتين تجريان ... ويقال أن : الملائكة ساقتها حتى جاءوا به ملأ بني إسرائيل ---- والله أعلم.

وســارت جمــوع بني إسرائيل المحاربة بقيادة "طالوت" وأعلن القائد : سنمر بــنهر الأردن فــلا تسرفوا الشراب منه ويكفيكم منه غرفة ماء ... ولكنهم كعادة أبناء إسرائيل العناد والكفر ، أشربوا منه إلا قليلا منهم

قــال السدي "كان جيش ثمانين ألفا فشرب منه ستة وسبعون ألفا ، فبقي معه أربع آلاف وأمام كثرة أعداد الفلسطينيين المحاربين بقيادة "جالوت" أمام جموع المحاربين من بني إسرائيل ، أعلن "طالوت" قائدهم وتحريضاً لجنوده : أن من يقتل "جالوت" زوجته بابنتي وأشركته في ملكي.

فــتقدم صــبي شجاع يحسن رمي الأحجار بالقلاع "هو داود بن سليمان" عليه السلام ، وبــرز لجــالوت لقتاله ودار الجوار بينهما وقال : ارجع فأني أكره قتلك ، ورد داود : "ولكــني أحــب قتلك. ثم رمي "داود" الأحجار بمقلاعه رمية وفقه الله فيها ففلقت رأس "جالوت" وفر جيشه مهزوماً.

وتــرك "جالوت" الملك لداود[١] وسار تحت قيادته ومعه ثلاثة عشر من أولاده يقاتــلون حتى قتلوا ، قالوا وفي ذلك قوله تعالى : "وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء".

قــال ابــن جريــر : وزعم أهل التوراة أن مدة ملك "طالوت" إلى أن قتل مع أولاده أربعــون سنة ... فالله أعلم ومال الناس إلى "داود" حتى لم يكن لطالوت ذكر ، وخلعوا طالوت وولوا عليهم داود.

قــال ابن جرير : والذي عليه الجمهور. أنه إنما ولي ذلك بعد قتله "جالوت" وروي ابن عســاكر عــن سعيد عبد العزيز أن قتله "جالوت" كان عند قصر "أم حكيم " وأن النهر المذكور هو نهر الأردن والله أعلم.

ولقــد كــان داود دائــم تســبيح الله ذاكراً شاكراً قال الحسن البصري وقتادة والأعمش كان الله قد ألان له الحديد حتى يقتله بيده لا يحتاج إلى نار ولا مطرقة.

---

(١) ابن جرير الطبري في تاريخه ج١ / ٣٢٧

قـال قتادة : فكان أول من عمل الدروع من زرد : وكان يعمل كل يوم درعاً يبيعها. فكان كما جاء في حديث خاتم النبياء : أن أطيب ما أكل الرجل من كسبة ، وأن نبي الله داود كان يأكل من كسب يده ، وثبت ذلك في القرآن الكريم قال تعالى : "أصبر عـلى ما تقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيديٰ. إنه أواب. إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراف. والطير محشورة كل له أواب ، وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل الخطاب" سورة ص ١٧ : ٢٠.

وكـان عـابداً مصلياً مناجياً قال ابن عباس ومجاهد : كان يقوم الليل ويصوم الدهر(١) وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أحب الصلاة إلى الله صـلاة داود ، وأحـب الصيام إلى الله صيام داود ، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه ويـنم سدسـه ، وكان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر إذا لاقي (٢)وقال الاوزراعي : حدثني عبد الله بن عامر قال : أعطي داود من حسن الصوت ما لم يعطي أحد قط.

وقـال وهـب بن متبه : كان لا يسمعه أحد إلا حجل كهيئة الرقص. كان يقرأ الزبور بصوت لم يسمع الآذان مثله فيعكف الجن والإنس والطير والدواب على صوته وحدثنا محمد بن صالح العدوي بمثل هذا : قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرازق :

حدثـنا معمـر ، عن الزهري عن هروه عن عائشة قالت : سمع رسول الله صلى الله عـليه وسـلم صـوت أبي موسى الأشعري وهو يقرأ فقال : "لقد أوتي أبو موسى من مزامير آل داود" على شرط مسلم.

وذلـك يوحـي بمـا يصاحب جمال الصوت من خشوع وسكينة تتدبر معاني العبارات التعبدية بما تتضمنه من مناجاة والتماسات بقبول المولي عز وجل عبده وعفوه والصفح عن الزلات والهفوات ورجاء رحمته سبحانه ورضاه.(٣)

ولقـد وهـب الله "داود" ملكا عظيماً وحكماً كان يستلزم منه إقامة العدل بين الناس في قضـاياهم ومشـكلاتهم ثم نستخلص درساً مهماً من سيرة "داود" هذا الدرس موجه إلي كـل حـاكم بل إلى كل مسئول ولي امراً من أمور المسلمين ، أراد سبحانه أن نتفهمه

(١) تفسير الطبري ج٢ / ٨٦.
(٢) صحيح البخاري ج٢ /٤١ باب التهجير بالليل. ومسلم ج٣ / ١٦٥ باب افضل الصيام
(٣) صيح مسلم مسافرين ٢٣٥، ٢٣٦

وأن نقيـم ما فهمناه وأن نتمسك بمراعاة تنفيذه ألا وهو العدل وإخلاص العمل عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
"أن المقسطين عند الله على منابر من نور : الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا" رواه مسلم "١٨٢٧".
ومسئولية البشرية عامة كما روي عن ابن عمر رضي الله عنه عن خاتم الأنبياء قال :
"سـمعت رسـول الله صـلى الله عـليه وسلم : كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، والمـرأة راعيـة فـي بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسـئول عـن رعيته "وكلكم راع ومسئول عن رعيته" متفق عليه البخاري ومسلم "١٨٢٩"

مسـئولية تقيـم العدل شعوراً بمسئولية عدل الأنفاق والرعاية والمحافظة على الأمانة ، وتدبر المصالح وعدم التفريط في الواجبات والقيم.

وعـن عائشـة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقـول في بيتي هذا "اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشقّ عليهم ، فاشق عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارق به رواه مسلم : ١٨٢٨"

وهـذا الـدرس موجة إلى من ضل من الحكام عن عدل وانساق وراء اهواء الـنفس ونسى يوم الحساب وفيه تحذير إلي كل مسئول موظفين ومسئولين عن مصالح خـلق الله فمن يسر عليهم يسر الله عليه ومن سهل لهم حقوقهم سهل الله له طريقاً إلى رضوان الله وجنته.

قـال سبحانه في خطابه "يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله. إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب "سورة ص" ٢٦.

كان داود عادلا في سياسته لشعبه كما كان تواباً شاكراً نعم مولاه حامداً.

قال أبو بكر بن أبى الدنيا "حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن بسام عن أبي الجلد.
قال : قرأت في مسألة "داود" عليه السلام انه قال : يارب كيف لي أن أشكرك ، وأنا لا أصل إلى شكرك إلا بنعمتك ؟ قال : فأتاه الوحي : " أن يا داود ألست تعلم أن الذي بك

مـــن النعيم مني ؟ قال : بلى يارب قال : فإني أرضي بذلك ،. قال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ عن ابن شهاب قال : قال "داود : الحمد لله كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلالـــه. فـــاوحي الله إليه أنك أتعبت الحفظة يا داود.[١] وقد أشتهر عن نبي الله "دواد" العديد كم الحكم وأمور عبادته لربه وشكره مولاه من ذلك ما راوه عبد الله بن المبارك "في كتاب الزهد" قال أنبانا سفيان الثوري عن وهب بن منبه قال : إن في حكم آل دواد قوله : "حق علي العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات : ساعة يناجي فيها ربّه ، وساعة يحاســب فيهــا نفسه ، وساعة يقضي فيها إلي اخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عـــن نفسه ، وساعة يخلي بين نفسه وبين لذاتها فيها يحل ويجمل فإن هذه الساعة عون تـــلك الساعات وإجمال القلوب" "وحق علي العاقل أن يعرف زمانه ويحفظ لسانه ويقبل علي شأنه"

"وحـــق عـــلي العاقل أن لا يطعن إلا في ثلاث : زاد لمعاده ومرمة لمعاشة ، ولذة في غيـــر محرم. "وقد أورد الحافظ بن عساكر في ترجمة "دواد عليه السلام" أشياء مليحة منها قوله. "كن ليتيم كالأب الرحيم واعلم انك كما تزرع كذلك تحصد" وعن "دواد عليه الســـلام أنه قال" : "مل الخطيب الأحمق في نادي القوم كمثل المغتي عند رأس الميت" وقـــال أيضاً "ما أقبح الفقر بعد الغني وأقبح من ذلك الضلالة بعد الهدي" وقال أنظر ما تكـــره أن يذكـــر عنك في نادي القوم فلا تفعله إذا خلوت "وقال : لا تَعِدنَّ أخاك بما لا تنجزه له فإن ذلك عداوة بينك وبينه.

اليهود دائما وراء الفتن والمشكلات

ونعجـــب ممـــا أثاروه ويثيرونه حول خاتم الأنبياء محمد ﷺ عن تعدد زوجاته (ص) ونقول لهم ولا تعجب بعد أن أخبر محمد بن سعد عن محمد بن عمر الواقدي[١] أن من أثار التهم وساق الأباطيل هم اليهود بنو إسرائيل..

إنـــه النـــبي المعصـــوم مـــن ربه صلى الله عليه وسلم ، يدعو إلى العفاف لا الفجور والزواج لا ما نراه ونسمع عنه في مجتمعاتهم التي يسودها التسيب والتهتك .

---

(١) الترمذي (كتاب الدعوات)

(١) تاريخ الطبري ج ١ / ٣٤٣

والشــذوذ والانحــلال ونقول لهم : ارجعوا إلى تاريخ الأديان والأنبياء وأمور نسائهم وأزواجهم.

يــا يهود الكذب الدائم ارجعوا إلى "موسى" قدوتكم ارجعوا إلى سيرة الأنبياء ، مــن ذرية موسى وآل داود وسليمان أجدادكم لتفهموا أنه لا حرج من الزواج كما أحل الله في كل شريعة ! !

فســليمان بن داود كانت له ألف امرأة سبعمائة مهرية وثلاثمائة سرية. وكانت "لــداود" عليه السلام مائة امرأة منهن امرأة "أوريا" أم سليمان بن داود. وقد ذكر الكلبي نحو هذا مؤكداً الخبر.

ونعجب مما يثار حول خاتم الأنبياء المصطفى محمد صلوات الله عليه وسلامه عــليه مــن أقاويل وشبهات وأباطيل يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولــو كــره الكافرون وهو الذي أرسل رسوله بالهدي ودين الحق ، ليظهره علي الدين كله ولو كره المشركون" يريدون ليطفئوا نور النبوة والرسالة المحمدية ، والهدي الذي بدد شقاء الحياة ومتاهات عبادات الأصنام. ولم يكن زواج المصطفي إستمتاعاً ولا هدفاً يــلهث وراءه الوجــدان فــلقد قضي الرسول "ص" مع السيدة خديجة بنت خويلد أول أزواجــه عــليه السلام قبل أن يبعث رسولا وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وهي ثيب بنت أربعين سنة أرملة أبي هالة بن زراره(٢).

ولقــد كــانت رفيعــة الشأن بين العرب مسموعة الكلمة. مطاعة من الجميع وهبها الله رجاحــة العقــل وكثرة الأموال والقوافل المنتشرة بين الشمال الشامي والجنوب اليمني ولقد كان زواجاً موفقاً من الله إذ تحملت هذه الزوجة أعباء الدعوة إلي الإسلام وأعانته عــلي المضي في نشر الرسالة ، وكانت قدوة نساء العرب من حولها حين أعلنت أنها أول مــن آمن برسالة الهداية البشرية في أرجاء الأرض وكانت رضوان الله عليها أول المبشــرين للمصــطفي حين رجع من غار "حراء" وقد نزل عليه جبريل يأمره بإبلاغ الخــلق تــرك عبادة أصنامهم ووجوب انصرافهم إلي عبادة الواحد. رجع ﷺ يرجف ويعــلو صــوته : "زملوني ، زملوني" فهدأت من روعه وبشرته قائلة : "أبشر ، كلاما

---

(١) أنظر الإصابة في تمييز الصحابة

يخـــزيك الإلـــه أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين علي نوائب الحق....

وكـــان يكرر القول مديحاً في حقها : "والله ما أبدلني الله خيراً منها. لقد آمنت بـــي إذ كفـــر الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بما لها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء".

ولقـــد عاشـــت مع الرسول خمساً وعشرين سنة ، خمس عشرة سنة قبل بعثته رســـولاً ، وعشراً بعدها. ولم يتزوج الرسول امرأة عليها في حياتها. وهذا دليل ناصع عـــلي استقامة النفس النبوية علي الطهارة وعدم الزيغ عنها ، وانعدام غرائز الإنحراف أو الجـــري وراء لـــذات لإشباع حاجات يتمسك بها البشر ويندفعون ويلهثون وراءها بحجـــة حاجـــات لـــذات أو ضرورة استمتاع ولقد رزق منها ﷺ جميع أولاده ما عدا إبـــراهيم" وقبيل رحيلها رضي الله عنها بعشر سنوات ، وكان الرسول قد بلغ الخمسين مـــن العمر ، وكان يتلقي عن ربه أحكام التشريع للأمة الإسلامية النازل حكماً بعد حكم وحيـــاً ســـماوياً تشـــريعيا مـــنظماً لـــلعلاقات الإنسانية في الزواج والطلاق والعبادات والمعـــاملات. وجـــاءت أحكام زواج نبي الإسلام في كل حالاته بوحي من السماء...

كـــانت العـــرب تـــأد البـــنات خوفاً من فقر بعد موت عائل أو قتل زوج وتشردها أو انحراف تقيم به حياتها وقد كانت العرب تعف عن الزواج بالأرملة والثيب وتزهد فيهنّ حتى أصبحن حالة من حالات التخلف الاجتماعي الخامل المتروك.

وكـــان خـــاتم الأنبياء نعم القدوة بين العرب حين. تزوج من السيدة خديجة وكانت ثيبا أرمـــلة بنت أربعين سنة.ثم تزوج ﷺ بعد وفاة السيدة خديجة ذلك الصرح من العطاء والطمأنيـــنة والســـكينة ، وفـــي ظروف الهجرة إلي الحبشة والحياة والموت في سبيل إعـــلاء كلمة الله ونشر الدعوة ، والهجرة عن محيط الأذى القرشي تزوج ﷺ بالسيدة المؤمنة سودة بنت زمعة.

وكـــانت تكبره سناً وقد توفي عنها زوجها ، أثناء هجرة المجمو عه المؤمنة وزوجها ، أثناء الهجرة الثانية للمجموعة المؤمنة النازحة إلي أرض الحبشة فراراً من شدة الأذى القرشي.

وعادت السيدة "سودة" مضطرة وحيدة ، ولقد كان رسول الله ﷺ منقذاً لها مما كانت ستلاقيه من كفر تمسك به أهلها ، وأذي وبطش كانت قريش تعاقب به كل مؤمن بحمـــد ورســالته عائد. والتطلع إلي رحاب المصطفي كان أصوب الأفعال وكفالته لكل لاجئ تضمن الأمن والأمان فلجأت إلي رحابه عليه أفضل الصلاة والتسليم ، وتزوجت منه ، فحازت بذلك قمم الشهامة والنجدة والمروءة حماية ورعاية.

٣ – السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق.

ثــم قــدم ﷺ للمجتمع البدوي العربي مثالاً جديداً لأنبل العلاقات الإنسانية في مجال البــناء الإنســاني والأزدهار والنمو والتقدم والارتباط السامي بين العائلات والعشائر ، وتقويــة الــروابط فــي مجتمع جزيرة العرب وخارجها. وكانت الصورة الجديدة في المجــتمع الإســلامي هــي زواج كــبير السن من البكر صغيرة السن ، إذا حاز ذلك رضــاها. وكانت السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق مثالاً لإمكان تحقق وحدوث ذلك فــي الأمــة الإسلامية بلا حرج ما دام الزواج قد توفر فيه شروط الرضا والقبول ولقد كــانت الســيدة عائشــة مــثالاً وقــدوة وعوناً في الإسلام مع من استجد من زوجات المصــطفي فــي تفســير العديد من التكاليف الشرعية وخاصة ما تعلق منها بالأمور الحياتية الخاصة بالنساء من أحكام طهارة وحيض ونفاس وجنابة.. مما يتحرج الرجال عن تفسيرها أو شرح تفاصيلها.

وكــان الرســول حيّيا وما كان يستطيع أن يجيب بالتفصيل عن أسئلة تعرض عــليه بالصــراحة الكاملة ، بل كان يكني في بعض الأحيان ولربما لم تفهم المرأة عن طريق "الكناية" ما يقصده عليه السلام.

ومــن ذلــك ما تقدمت به امرأة من الأنصار سألت النبي ﷺ عن غُسلها من المحيــض ، فشرح لها وقال خذي فرصة ممسكة "أي قطعة من القطن بها أثر الطيب" فــتطهري بها. قالت : كيف أتطهر بها ، قالت:كيف يا رسول الله أتطهر بها ؟ فقال لها : سبحان الله تطهري بها.. قالت السيدة عائشة : فاجتذبتها من يدها ، فقالت ضعيها في مكان كذا وكذا وتتبعي لها أثر الدم ، وصرحت لها المكان الذي تضعه فيه.

وهكـــذا كان دور نساء النبي أمهات المسلمين تقوم بدورها الإيماني الإرشادي التعبدي في كل ما يصعب.

كما كان لهؤلاء الزوجات الفضليات الطاهرات رضوان الله عليهّن أكبر الفضل فـــي إبـــلاغ كل ما لمسته من سنة المصطفي أحواله وأطواره وما أثر عنه صلوات الله وسلامه عليه الفعلية والقولية ، وهنّ بوضعهن ، وقربهن كّون المدرسة النسائية الأولي فـــي الفقه الإسلامي كما كن المحدثات الأوائل بما اشتهر عنهنّ من سرعة حفظ وذكاء فهم وعلو تفسير.

كمـــا ســـاهمن بكونهن وظروفهنّ في إبطال عادات جاهلية تأصلت في مجتمع الجاهلية كانت تؤدي إلي اختلاط أنساب بالتبني والولاء.

٤ – السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

فـــي المواجهة الأولي بين فرسان الإسلام الأوائل وجيش قريش ممن لم يؤمنوا بعـــبادة الواحـــد وآثـــروا عبادة أصنام من أحجار نحتوها ونصبوها حول الكعبة وفي ديارهم وداروا حولها وسجدوا.

استشـــهد "خنيس بن حذافة" الأنصاري في غزوة بدر ، وكان بطلا شجاعا بين المســـلمين في مواجهة جحافل قريش. وهناك وعلي أرض المعركة سقط الفارس شهيداً وترك أرملته (حفصة بنت عمر).

كـــان هذا هو الحدث ، ولكن التصرف الشهم هو الذي نستفيده منه ونأخذه من فعـــل "الفـــاروق" حيث قدم نموذجا نعتبره تصرفاً واجبا حكيما اتخذ أسرع الطرق إلي الحل الأمثل لمن أراد صون عرض محارمه عن الفتنة والأقاويل.

فليعرض زواجها الشرعي علي الأكفاء من الرجال ممن ترضي عنه النساء خلقاً وديناً. فعرضـــها عـــلي ذي النورين "عثمان بن عفان" ، وحين تقابلا قال : إن شئت زوجتك حفصـــة ، قـــال عـــثمان : سأنظر في أمري ، فلبث ليال ، ثم قالب : قد بدا لي أن لا أتزوج

قـــال عمـــر : فقلت لأبي بكر ، إن شئت أنكحتك حفصة. فصمت ، فكنت عليه أوجد مني علي عثمان فلبث ليال ثم خطبها النبي فزوجتها إياه.

٥ – السيدة زينب بنت خزيمة.

أصــبحت أرملة شهيد الإسلام خلال أوائل المبارزات في غزوة "بدر"..."عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب" رضي الله عنه وأرضاه.

ولقــد شــاركت فــي غزوة بدر ، وقامت بما هو واجب علي النساء في مثل ظــروف الحرب والقتال في إسعاف الجرحي وتضميد الجراح. وكانت قد بلغت الستين مــن عمــرها ، وانتهت المعركة لتصبح وحيدة لزمت بيت قائد المسلمين خاتم الأنبياء بوضــعها زوجة فالزواج يرفع الحرج عن سبب تواجدها وبقيت بوضعها الشرعي هذا مدة عامين ، ثم توفاها الله إليه رضي الله عنهما وأرضاها.

فهــل فــي مثل هذا التصرف الشرعي هوي نفس أو شهواتٌ تستُخلص..أم هو شرف إيواء وطهارة تواجد ؟

٦ – السيدة زينب بنت جحش

أما السيدة زينب بنت جحش فقد كانت أبنه عمة الرسول..وهي بوضعها شريفة بكل ما للأشراف في المجتمع من منزلة وهي وقد شبّت في هذا المجتمع القبلي البدوي تعيــش حياة فيها الكلمة للسيد والطاعة فيه للقائد ، والرأي الصواب هو فيما يأمر به أو يــنهي ، وزواج المــرأة مــن رجل فيه ستر وأمان "وزيد بن حارثة" كانت له المنزلة الحبيــبة إلي نفس رسول الله ، وكان تقياً ورعا مما جعل الرسول يتبناه ويكرمه ويقربه فــي بيــته وقــد اعتمد عليه في حوائجه. وشاءت الشريعة أن تكون السيدة "زينب بنت جحش" سبباً وبداية قوية لإبطال "بدعة تبنّي" كانت عادة شائعة في المجتمع ، يتبــنى أحدهم ولدا ليس من صلبه ويجعله في حكم الولد الصلبي ، ويتخذه أبنا حقيقياً لــه حكــم الأبــناء مــن النســب في جميع الأحوال ، في الميراث والطلاق والزواج ومحرمات الزواج.

كما كان الواحد يتبني ولد غيره فيقول له : "أنت ابني ، أرثك وترثني".وشاءت القــدرة أن تنهي علي عادة جاهلية ، فقبل البعثة وتكليف رسول الله بالرسالة تبني عليه الســلام "زيــد بــن حارثــة" عــلي عادة العرب ، واشتهر زيد في المجتمع "بزيد بن محمــد".حــتى نزل في هذا قرآنا وتشريعاً يضع حداً لهذا النسب قال تعالي : "ادعوهم

لأبـــائهم هو اقسط عند الله" وتراجع المصطفي عن الاسترسال والتمسك بسابق العادة ، وأعــلن لـــلجميع خطـــأ التصـــرف وما كان مباحاً قائلا لزيد "أنت زيد بن حارثة بن شراحيل".

ولرغبة في نفس زيد وتطلع سهّل الرسول له الزواج من ابنة عمته "زينب بنت جحـــش الأسدية" فكان زواجاً قرت به العين "زيد" فهو قد كان بسيطاً وهي وقد حازت شرف الحسب والنسب.

ولـــنفس السبب الذي سعد به "زيد" كان هو نفس السبب لبدايات تعاسة زوجية بينهما أخذت تتسع وساءت العلاقات بين الزوجين ، فكانت تغلظ له القول ، وتري أنها أشـــرف منه ، لأنه كان عبداً مملوكا قبل أن يتبناه الرسول ، وهي ذات حسب ونسب ، ووقـــع الطـــلاق ، وانتهت علاقات الزوجية بينهما فأصبحت "زينب بنت جحش" مطلقة "زيـــد" فترة استمرت حتى نزول وحي السماء علي رسوله محمد ﷺ بين ألا أبوة بين ســـيد ومتبني..بين الرسول ومن حاز منه التكريم ما دام في غير أهله قال تعالي : "ما كـــان محمـــد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شئ عليما" (الأحزاب : ٤٠)

بينهما أخذت تتسع وساءت العلاقات بين الزوجين ، فكانت تغلظ له القول ، وتري أنها أشـــرف منه ، لأنه كان عبداً مملوكاً قبل أن يتبناه الرسول ، وهي ذات حسب ونسب ، ووقـــع الطـــلاق ، وانتهت علاقات الزوجية بينهما فأصبحت "زينب بنت جحش" مطلقة "زيـــد" فترة استمرت حتى نزول وحي السماء علي رسوله محمد ﷺ يبين ألا أبوة بين سيد ومتبني .. بين الرسول ومن حاز منه التكريم ما دام في غير أهله قال تعالي : "ما كـــان محمـــد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شئ عليماً" (الأحزاب : ٤٠) بذلك أنهي الإسلام عادة الجاهلية وعلاقة تبني شاعت ، وجاء الوحـــي بمـــا يبطل العادة من جذورها تماماً. ونزلت الآيات القرآنية بأنه لا حرج على طرفي علاقة التبني من إتاحة زواج مطلقة رجل شاع أنه ابن من سيد شاع أنه الأب.

لذلـــك تقدمـــت السيدة "زينب بنت جحش" للزواج من رسول الله ، وباركت السماء فتم زواج المصطفي بعد أن تردد في القبول خشية ما سوف يتقوله الناس وما يتهمون فقال

تعـالى : وتخشـى النـاس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضي زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا ، وكان أمر الله مفعولاً" (الأحزاب"٣٧").

وروى الـبخاري بسند صحيح قول السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها أنها كانت تفخـر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وتقول : زوجكن أهاليكنّ ، وزوجني الله من فوق سبع سماوات.

وبهـذا تكون قد استعرضنا لونا من ألوان الزواج ينضم لما سبق وما سوف نذكر ليعلن أن الـزواج النبوي المعدود على أصابع اليد وفي مثل ظروفه وأسباب حدوثه المرتبط بوقـائع وأحـداث حروب وترمل وتبني. إلى جانب أهداف تقوية الروابط الاجتماعية والتكافل والتعاون والاتحاد من خلال مصاهرة وربط بين البطون ومختلف القبائل وبما تقيمـه مـن روابـط دم ونسـب وعلاقات زواج تقرب المسافات وتشيع الألفة والتواد والـتراحم ، بجانب ما تحدثه المصاهرات من تماسك بين البطون والقبائل بهذا الرباط المقدس الوثيق في المجتمع.

٧ – السيدة أم سلمة "هند بنت أبي أمية المخزومية رضي الله عنها"

عاشت زوجة لـ "عبد الله بن عبد الأسد في كنف زوج فاضل من السابقين إلي الإسلام أمر بالهجرة إلى الحبشة نشراً للقرآن الكريم وسنة رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم مـنهج حياة مستقيمة بين مجتمع الوثنية الحبشي ، واستقر مع أسرته ، وقد رزق بمولد مبارك هي أبنته "سلمة" ثم عندما استقرت أوضاع المسلمين على أرض جزيرة العرب بيـن مكـة والمدينة عادت الأسر المسلمة بعد هجرتها مرة أخري إلى رحاب عشيرة الإسـلام وقـد قويت في مواجهة إيزاءات القبائل منم قريش ومن حولهم وسرعان ما انحـزط عـبد الله بن عبد الأسد في صفوف جند الإسلام يحارب الشرك وينتصر حتى كـانت المواجهـة أمـام الجيش القريشي بكل ما ضم من فرسان وما سلح به من عدة

وعتاد وفي المواجهات القتالية نال البطل منزله الشهادة وإكرامه الله بها وهو يدافع عن دين الله وإعلاء كلمة الحق "لا إله إلا الله".

وبــنهاية عــائل الأسرة المسلمة الشهيد تفضل الله عليها بأفضل عائل خلقاً وخلقاً وقائداً ضم تحت لوائه المؤمنين ، وهو مصدر نورها وهديها. وكانت السيدة "هند المخزومية" أم سـلمة مســنة وأم أيتام أربعة ، وأصبحت بعد انتقال عائلها إلي جوار ربه بلا كفيل ولا معيل ، فكان البيت النبوي بما عمر من بركات وحنان واستقامة تربية للأولاد خير الأمــاكن للرعاية – ولما كان المكوث والحالة هذه في رحابه دون رابطة شريفة حامية شُرِفَت بالرحاب النبوية تحت أشرف الروابط وأطهرها الزواج.

ولقــد كانت رضي الله عنها نعم المعين لرسول الله ، وهبها الله رجاجة في العقل ونفاذ بصــيرة وســرعة بديهــة ، ونسب شريف جعل لها الكلمة في مجتمع المدينة والمكي القرشي على حد سواء. ومن أمثلة بعد نظرتها وتوصلها إلى الحل الأمثل ما حدث عند صــلح "الحديـبية" بين الرسول والمشركين وقد ظن المحاربون المسلمون أنهم الأقوى وأن الصــلح ضــعف ، ولم يفطنوا أبعاد التصرف النبوي وأن ما حدث كان بأمر من الســماء لرسول الهدى وأن الصواب هو فيما أشار ويشير به عليهم أمرهم (ص) بحلق رءوسهم فتردد ودخل الرسول على زوجه "أم سلمة" فقال لها : هلك الناس. أمرتهم فلم يمتثــلوا فهونــت عــليه وأشــارت عليه أن فعل حتى تبدد التذمر واختفي عدم الرضا واندفعــوا وتســابقوا إلى حــلق رؤوسهم أقتداءاً برسولهم المصطفى وقوتهم ، وعادت علامــات حســن الطاعه والامتثال للأوامر. وكان ذكاءاً من أم المؤمنين " ام المسلة " رضــي الله عــنها في ساعة شدة ، وكان الموقف يحتاج إلى مشورة وسكينة وانتهي علي خير .

٨–السيدة أم حبيبة " رملة بنت أبي سفيان "

كان أبوها حاملاً للواء الشرك ، كما كان ألد أعداء الإسلام يتحين كل فرصة للنيل منه ، ويسعي لأي وسيلة تكون فيها نهاية الدعوة الإسلامية ودعاتها والمؤمنين بها .

وكـــان زوجها " عبيد الله بن جحش " قارئا لكتاب الله عارفاً بسنة المصطفي ، فرت" أم حبيــبة" مــن تعذيــب مشركي مكة للمسلمين إلي ما تعود المسلمون الهجرية إليه..إلي أرض الحبشـــة وهـــي ظل حاكم عادل هو "النجاشي" الذي أظهر احترامه لإسلام ديناً وفطـــن إلـــي أنـــه ودين المسيح قد خرج من مشكاة هداية واحدة ، واحتضن المسلمين الفارين بدينهم من وجه الظلم.

وعلي أرض الجهاد في الحبشة مات زوجها وكان طبيعياً ككل من سبقها من أرامل أن تـــرجع "أم حبيــبة" إلي موطنها وتحذر من قريش ، ومع ما علمه النجاشي من أخبار تواتـــرت عن حسن معاملة وسمو خلق في البيت النبوي وتقدم "النجاشي" لمواساتها في فقدهـــا لـــزوجها وقـــدم مبلغاً قدره "أربعة آلاف درهم" وبعث بها إلي نبي الإسلام مع حـــارس فـــي الطـــريق هو شر حبيل بن حسنة" ووصل ركبها إلي البيت النبوي حيث ضـــمها رحابة في المدينة ووصل خبر رجوعها ومكوثها عند رسول الله ﷺ إلي أبيها أبـــي ســـيان فأقر أن يتزوج ويارك كفاءة النبي صلوات الله وسلامه عليه له في القدر والمـــنزلة واســـتمر الحال إلي أن هداه الله إلي الإسلام فانضم تحت لوائه ، وكانت أم المؤمـــنين "أم حبيــبة" أفضـــل تواصل مصاهرة ورباط نسب ساهم في ارتباط البطون والقبائل برباط وثيق.رباط إيمان وإكبار وإجلال.

<u>٩ – السيدة جويرية بنت الحارث</u>

وكـــانت أيضـــاً مـــن سلســـلة الأرامل.فهي أرملة مسا فع بن صفوان "الذي قتل أمام المســـلمين ولمست بنفسها حياة الطهر الإسلامي ، وقمة المعاملات الإنسانية للأسري ، وعدل الحكم ، ونزاهة القائد وعفاف الجند واستقامتهم.

واحترام الأسير وصون كرامته ، وحثه علي التعليم والتعلم.

فوجـــدت فـــي مجتمع المسلمين ما كانت تفتقده في ظل هجمية قبلية لا ترحم وظلم لا ينـــتهي وقتل وغارات نهب سلب ونيران لا تبقي علي مال ولا عيال لا تفرق بين طفل ولا شـــيخ ولا امـــرأة.لقد لمست نبل المعاملات تحت مظلة الإسلام ، وسلامة الشيوخ والأطفـــال والأمهـــات عند وقوعهم أمام جيش الإسلام ، رأت ما لم تتعود أن تراه في صفوف محاربيها وقسوتهم وبين رجالها الكفرة شاربي الخمور عباد الأصنام.

لمــا اقتــنعت بقــائد المسلمين ﷺ ، وأمان اللجوء إليه أسرعت لتكون ضمن أمهات المؤمنين.

١٠ – السيدة صفية بنت حي بن أخطب رضي الله عنها

فهــي ســيدة بــني قريظة أسرت وقتل زوجها بعد غزوة "خيبر" فلما دخلت في طابور العــرض علي قائد المسلمين المصطفي ﷺ......فلما اقتربت قال لها : "لم يزل أبوك مــن أشد اليهود لي عداوة" فقالت يارسول الله : إن الله يقول في كتابه "ولا تزر وازرة وزر أخري.".

فقــال لهــا الرسول : أختاري بين الإسلام وبين قومك فقالت : يارسول الله ، قد هويت الإسلام وصدقتك قبل أن تدعوني إلي رحلك ، وما لي في اليهودية أرب ، وما لي فيها ولــد ولا أخــرج ، وخيرتــني بين الكفر والإسلام ، فالله ورسوله أحب إليَّ من العتق وارجع إلي قومي.

بهــذا فقــد أبانت عن قبولها الإسلام ، فلزمت بيت النبوة لتساهم في دور التوعية بين النســوة والأســري والإرشاد الديني بما تمليه الشريعة والأحكام وتفتح بعلمها أمام فهم الإسلام وسنة رسول الهدي وإمام المتقين.

١١ – السيدة ميمونة بنت الحارس الهلالية رضي الله عنها

ونــأتي إلــي خــتام الطاهرات أمهات المسلمين ، كان أسمها "برّة" فسماها عليه السلام ميمونة ، وهي آخر زوجاته صلوات الله عليه.

وقــد قــالت في وصفها للسيدة عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما : "كانت أتقانا لله وأوصلنا للرحم ، وهي أرملة **أبي رهم بن عبد العزي** ، وقد ساهمت بتواجدها بيــن صفوف المسلمين في تقوية روابط البر وحسن الصلة بين قومها ومجتمع الإسلام ومــؤزرات عشيرتها ونصرتهم للدعوة الإسلامية وانتشارها ونستطيع القول : لقد كانت المدة المستمرة من السنة الثانية للهجرة حتى الثامنة منها بما فرضتة علي المسلمين من تواجد أرامل تكاثروا بعد قتل وقتال وجهاد واستشهاد ساهم في حشد الأرامل.

لقــد جمع الجهاد سهماً منهن ، أرتضين رحاب القمة وقائد المسيرة ، وقد فضلن جوار المصــطفي ﷺ وآنسنّ هيبته وطهارته واستقامته وصدق وعده وقوله ، وطيب سمعته

ﷺ ، ولقــد غــلف المتربصــون حقــداً بالإسلام للنيل منه شريعة وشخص رسول ، ولتقــليل شموخ مقاصده.غفلوا من حقيقة واقع تواجد نساء ثيبات بلغن سن الشيخوخة ، وترملوا بعد زوج بقتل أو وفاة وأصبحوا بحكم كونهم قد ابتعدوا عن كفر أهل أو زوج أو عشــيرة – أشــد قــرباً من الإسلام وفهمها لنبل مقاصده كدين يسمو عدلاً ورحمة وســلوكيات عبادة ومعاملات حياة ولقد تواجدت نساء كانت لهنّ مشكلات ، ولم يدعهن أحــد للإســلام بل اخترن جميعهن طواعية رحاب رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عــليه.ليــس بكونهن سقط متاع أو غنيمة حرب بل تواجدوا تحت مظلة زواج حسبما شرع الله وارتضي ، وطهارة تواجد ، وطيب عشرة.

وليس يعاب علي رسول الله كونهن بلغن عشرة خلال الحروب مع المشركين ، وخلال السنوات من الثانية للهجرة إلي الثامنة حين تم النصر واستقر لأمر للمسلمين.

وكذبــت تهمهــم ، وما يحاولون الإيحاء به للنفوس معتمدين علي مقاييسهم البشــرية وطــبيعة وجداناته وما يجرون دائماً وراءه الزوجات أساس التهم كن بين ثيــبات أو أرامل ، وكانت كل العرب تزهد في الارتباط بهن بدليل قوله ﷺ لجابر بن عــبد الله حيــن جاءه وعلي وجهه أثر التطيب والنعمة : "هل تزوجت ؟ قال : نعم : بكــراً أم ثيــباً ؟ قال : بل ثيباً فقال له صلوات الله وسلامه عليه : فهلا بكراً تلاعبها وتلاعبك ، وتضاحكها وتضاحكك ؟

هذا هو الاتجاه ، وما حدث من زواج م ثيبات كان تشريعاً سماوياً خاصاً يشير إلــي الــترغيب في الارتباط بمن تكبر سناً ، الغنية راجحة العقل ، وقد جعل الله فيهن خيراً وبركة.

كذلــك الارتباط بمن ترملت ، ومن لا عائل ولا معين لها ، ومن تركت الكفر وآثرت الإيمــان ، فــلا غضاضة من التقدم إليها لاحتوائها وكفالتها ورعايتها وضمان سلامة عبادتها واستمرار سعادة حياتها ، وللزوج في هذا الاجرو ثواب الله.

وتشــير سنة المصطفي أنه ﷺ كان يحب السيدة عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها اكــثر من بقية نسائه رغم حرصه علي العدل بين الزوجات في القسمه والعشرة.وكان ﷺ يقول : "اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تؤاخذني فيما لا أملك.

وبــدأت مقدمات هذا الزواج بتخيير الزوجة واستشارتها فيه وأخذ موافقة الولي لهــا.وبــدأ حديث الرسول ﷺ بقوله : "إني ذاكراً لك أمراً فلا تعجلي حتى تستأمري أبويــك.فقــالت : وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه – أو في هذا استأمر أبوي ؟...فــإني أريــد الله ورســوله والــدار الآخرة" استشارة ورضا وقبول أساس الزواج الإسلامي.

ولــم يبق غير حقيقة الأرامل والثيبات ومن تخلي عنهن الأهل لإسلامها وكن بذلــك نماذج حالات تستوجب الحل وعدم التخلي عنهم أصبح واجباً بما حدث من سنة سيد الخلق.في مجتمع استوجب العاقل والحامي واعتبر من ليس من صلبه من نسل أو مــن غيــر الحرائــر خادمــاً لا يرتفع إلي مرتبة أسياده ، ومن كان ذا قلب رقيق في معاملاته مع هؤلاء نادر بين القبائل.

وإن رغــب المغرضــون الكــاذبون أو جاءتهم شجاعة نشر الحقيقة ، فليعلنوا الفــارق بين طهارة المقصد وهدف حل مشكلات شائكة في المجتمع ، وبين تصرفات أخــري مع النساء تحار في تفسيرها العقول....ضم أحدهم ألفاً من الزوجات والسبايا ، واحتضــن لآخــر مائــة مــنهن ، وثالث ورابع وقد جمع بين الأختين ، وزاد عليهما خادمات ووصيفات.

هــؤلاء وهؤلاء قد خرسوا عن الذكر والتعليق ، وعموا عن التشهير ، وأبعدوا النقد وطمسوه بين طيات صفحات.

وقــد دوام الــباحث الفاضل أن يكتشف ويصمت تحرجاً.وآن لنا أن نعلن : لا تهمــنا أقوالكــم ولا خــبث محاولاتكم للنيل من نبيل أفعال ومقاصد سيد الخلق وخاتم الأنبياء المصطفي.

كمــا وجــب علينــا أن نقول لكل كاتب ماكر خبيث : ظن أن بقلمه فيما يكتب تأثيــر يزعــزع إيمان المسلمين بالمصطفي عليه الصلاة والسلام.خاب ظنكم وكلامهم وكلامكم مردود عليكم وخبثكم مكشوف.

ونختم بالوصايا النبوية :

إن

مقاصـــد المـــنهج الإسلامي بأهدافه كما نزل بها وحي السماء "قرآناً كريماً" أمرا ونهيا عـــن المعاصـــي ، ترشـــدا للـــنفوس إذا عميت أو ضلت ، وسكينة للقلوب إذا تحيرت فأبعدتهـــا معاصيها عن هدي الله الخالق ورضاه سبحانه وتقويماً للسلوك الإنساني فيما جبلت عليه من إقبال علي المغريات بما ينسي جوهر الرسالة الإنسانية منذ أن كان في جـــنات نعيـــم الله ، ثـــم هبط علي الأرض لغواية وإغراءات عصيان لمولاه وخالقه : والحقيقـــة تقول : خُلِقتَ يا إنسان وأول واجبات وجودك هي إخلاص العبادة للواحد لا غيـــر ، مـــع مصـــاحبة حسن العشرة والمعاملات فيما يربطك بالناس ، وارتفاع هذه الســـوكيات لـــنا فيـــه إعمار وسعادة وطمأنينة وصون للحرمات في ركاب ما قُدر من حيـــاة. وقد نزل وحي السماء علي خاتم الأنبياء والمرسلين "محمد ﷺ بجوهر الأحكام والقوانيـــن الـــتي تحكم التصرفات معاملات وعبادات ووصايا..والرسول الخاتم ﷺ يسوقها للأمة الإسلامية ، ولمن أراد أن يهتدي مبينا مقاصد شريعة " الإسلام" ملخصة بـــليغة ، ولقـــد جـــاءت موجهـــة منه لأفراد في أمة وقصد بها المصطفي كامل الأمة الإسلامية في شرقها وغربها ، وفي كامل انتشارها وتواجدها.

ووصـــايا النـــبي الخـــاتم عـــليه الســـلام جاءت موجهة للإمام علي بن أبي طـــالب..قـــال : دعاني رسول الله ﷺ فخلوت معه في منزله فقال : يا علي....أنت مـــني بمـــنزلة هارون من موسى عليه السلام ، غير أنه لا نبي بعدي ، إني أوصيك اليوم بوصية ، إن حفظتها ، عشت حميداً ومت شهيداً ، وبعثك الله يوم القيامة فقيهاً عالماً ، الحرم قرينة الشيطان

١. يـــا علي...إذا غضب الله علي أحد رزقه مالاً حراماً فإذا أشتد غضبه عليه وكل به شـــيطاناً يـــبارك له فيـــه ويصحبه ويشغله بالدنيا عن الدين ، ويسهل له أمور دنياه ويقول له : إن الله غفور رحيم.

يا علي...من أكل الحلال صفا دينه ، ورق قلبه ، ولم يكن لدعوته حجاب

يــا علي...ما سافر أحد طالباً الحرام ماشياً إلا كان الشيطان قرينه ولا راكباً إلا كان رديفــه ولا جمع أحد مالاً حراماً إلا أكله الشيطان.ولا نسي أحد اسم الله عند الجماع إلا شاركه الشيطان في ولده...وذلك في قوله تعالي : وشاركهم في الأموال والأولاد:

يا علي...لا يقبل الله تعالي ، صلاة بلا صدقة من الحرام

يــا علي...من قرأ القرآن ولم يحل حلاله ولم يحرم حرامه كان من الذين نبذوا كتاب الله ورسوله.

٢. يا علي...عليك بالصلاة في أوقاتها ، فإنها رأس كل فضيلة وسنام كل عبادة.

يــا عــلي...عــليك بصلاة الجماعة ، فإنها عند الله كمشيك إلي الحج العمرة..وما يحــرص علي صلاة الجماعة ، إلا رجل مؤمن أحبه الله ، وما يزهد فيها الأ منافق قد أبغضه الله.

يا علي...احبُ العبادة إلي الله تعالي ، عبد ساجد يقول في سجوده : رب إني ظلمت نفسي ، فاغفر لي ذنبي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

يا علي...عليك بصلاة الضحى..وما بعث الله من نبي إلا وأمره بصلاة الضحى.

٣. الكريم والعاق والنمام

يا علي...رأيت مكتوباً علي الجنة : "أنتِ محرمة علي كل بخيل وعاق ونمام".

يــا علي...السَّخي قريب من الله ، قريب من رحمته ، بعيد عن عذابه. والبخيل بعيد من الله ، بعيد من رحمته..

يا علي...من خالف هواه ، كانت الجنة مأواه.ومن أطاع هواه، كانت جهنم مثواه.(١)

يا علي...صدقة السِّر تطفئ غضب الربَّ ، وتجلب البركة ، والرزق.

يــا علي...اصنع المعروف ولو مع السَّفلة ، قال علي : "وما السفلة يا رسول الله ؟ ..قــال : الذي إذا وعظُ لم يتعظ ، وإذا زجر لم يترجر ، ولا يبالي بما قال وما قيل له".التماس العباد مغفرة الله من كل خطأ والدعاء.

يا علي...عليك بالدعاء بين الآذانين والإقامة ، فإنه لا يرد

---

(١) أنظر الوصايا في منج البلاغة للإمام علي.

يـــا علي...من قال في يوم خمساً وعشرين مرة : "أستغفر الله العظيم لي ولوالدي ، ولجميــع المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات..كتبه الله من أوليائه.

يا علي ...من قال كل يوم عشر مرات " لا إله إلا الله يبقى ربنا ويفنى كل أحد"..لم يبق ملك فى السماوات إلا استغفر له .

الورع والتقوى أساس المعاملات .

يا على...لا دين لمن لا خشية له ، ولا إيمان لمن لا ورع له.

يا علي...من لم يكن ورعاً عن المعاصي ، فبطن الأرض خير له من ظهرها ، لأنه لا إيمان في قلبه.

يا علي...أصل الورع ترك الحرام وما حرم الله وترك المعاصي.

يـــا علي...من أنعم الله عليه فشكر ، وإذا ابتلاه فصبر ،وإذا أساء استغفر ، دخل الجنة من أي باب شاء.

يـــا علي...خير الناس عند الله تعالى ، أنفعهم للناس ، وشرهم عند الله من طال عمره وساء عمله ، وخيرهم من طال عمره وحسن عمله

يا علي..احفظ وصيتي كما حفظتها عن جبريل.

وليـــس لـــنا بعد إلا أن نكرر : رضين بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وســلم نبياً ورسولا..اللهم إني أصبحت وأمسيت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميــع خــلقك أنــك أنــت الله لا اله إلا أنت وحدك لا شريك لك.وأن محمدا عبدك ورســولك..ربــن لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته عــلى الذيــن من قبلنا "ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وأرحمنا أنت مولانا..

ربــنا لا تــزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

<u>نبي الله (داود)</u>

ولـــنعد إلى نـــبي الله (داود) ومـــا قال ابن جرير : زعم أهل الكتاب أنَّ عُمَر (داود) كـــان ســـبعا وسبعين سنة. وهذا غلط ومردود عليهم بنص ما ذكرته الأحاديث الـــواردة في خلق آدم ، أن الله لما استخرج ذريته من ظهره فرأى فيهم الأنبياءَ عليهم السلام ورأي فيهم رجلا يزهو فقال : أي رب..

من هذا ؟ قال : هذا أبنك داود. قال : أي رب.. كم عمره ؟

قـــال : ســـتون عاماً. قال : أي رب.. زد عمره. قال : لا ، إلا أن أزيده من عمرك ، وكـــان عمر آدم ألف عام فزاده أربعين عاماً ، فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت فقـــال : بقـــي من عمري أربعون سنة ونسي آدم ما كان وهبه لولده (داود) فأتمها الله لآدم آلـــف سنة ولداود مائة سنة. رواه أحمد عن ابن عباس ، والترمذي وصححه أبو هريـــرة ، وقـــال الحاكم : على شريط مسلم وتفاصيل طرق الحديث ألفاظه وارادة في قصة آدم.(١)

قـــال ابن جرير وزعم أهل الكتاب أن مدة ملك داود أربعين سنة وهذا قد يقبل نقله لأن ليس عندنا ما ينافيه ولا ما يقتضيه.

أمـــا وفـــاة نـــبي الله داود فذكره أحمد في مسنده بما حدثه قبيصة عن يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد بن عمرو ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كـــان داود عـــليه الســـلام فيـــه غيـــره شـــديدة على أهله فكان إذا خرج أغلق أبواب داره..فخـــرج ذات يـــوم وغـــلقت الدار فلما عاد إذا برجل قائم في وسط الدار فقال له "داود" : مـــن أنت ؟ فقال : أنا الذي لا هاب الملوك ولا أمنعُ من الحجاب. فقال داود : أنـــت والله إذن ملك الموت مرحباً بأمر الله ، ثم مكث حتى قبضت روحه ، فلما غُسل وكُفـــن وفـــرغ مـــن شأنه طلعت عليه الشمس فقال سليمان للطير : أظلي على داود. فأظلته الطير حتى أظلمت عليه الأرض.

وقـــال السّـــدي عـــن أبي مالك وعن سعيد بن جبير قال : مات داود عليه السلام يوم السبت فجأة.

---

(١) انظر تاريخ الطبري ج ١ / ٣٤٣.

وقال إسحاق بن بشر ، عن قتادة ، عن الحسن. قال : مات "داود" عليه السلام وهو ابن مائة ومات يوم الأربعاء فجأة.

وقـــال أبـــو الســـكن الهجري. مات إبراهيم الخليل فجأة وداود فجأة وابنه سليمان فجأة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وروى عـــن بعضـــهم أن مـــلك الموت جاءه نازل من محرابه قال له : دعني أنزل أو أصـــعد ، فقال يا بني الله :... قد نفذت السنون والشهور والآثار والأرزاق. قال : فخر ساجداً على مرقاة من تلك المراقي فقبضه وهو ساجد.

نبي الله سليمان بن داود

وعـــلى طـــريق جهاد أنبياء الله للكفر ومن يعبدون غير الله الواحد جاءت أيام نبي الله (سليمان)[1] بالأخبار والأحداث.

لقد خص الله نبيه "سليمان" بهبات : معرفة لغات الطيور والحيوان يخاطبها وتخاطبه ، وســـخر له جيشاً من الجن والشياطين السارحات والإنس كما أتاه الله ما شاء من العلوم والفهوم.

وإن كـــانت ممـــلكة "سليمان" في أقصى شمال الجزيرة عابدة ربها شاكرة ، فقد ترامت على أرض اليمن في أقصى الجنوب مملكة "سبأ" العظيمة ، وفي عهد ملك عظيم منهم كـــان يأبى أن يتزوج كما قالوا من أهل اليمن.. واتجه إلى "الجن" فتزوج بامرأة منهن اسمها "ريحانه بنت السكن" فولدت له بنتاً أسموها "تلقمة" ويقال لها "بلقيس"[1]

...ومـــات المـــلك الوالـــد فولي الشعب اليمني بعده رجلاً سيئاً عم على يديه كل أنواع الفساد.

وعـــلى العـــادة خطـــب الملك الجديد الأمير "بلقيس" فقبلت وفي قلبها تصميم ، فدخلت عليه وسقته خمراً ثم حزت رأسه ونصبته على بابها فأقبل الناس عليها وملكوها شئون الحكم.

---

(١) قال الحافظ ابن عساكر : هو سليمان بن داود بن إيشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن نخشون بن عمينا آداب بن أدم بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق با إبراهيم نبي الله (تهذيب ابن عساكر ج / ١٩٠.

(١) بلقيس بنت السيرح وهو الهدهاد وقيل شرلحيل بن ذي جدن بن السيرح بن الحارث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وفـــي يـــوم كان فيه "سليمان" يستعرض أفراد جيشه فاكشف غياب "هدهد" مميز اعتاده فسأل عنه فلما جاءه بعد فترة سأله وحكي له. فقال : جئت وقد شاهدت ملكة لها عرش عظيـم مزخـرف بأنواع اللآلئ والأحجار ، ولكنها على قوم كافرين عبدوا الشمس ، وأضـلهم الشـيطان بغواياته عن عبادة الواحد واجب العبادة والشكر. فأرسل "سليمان" هدهـده إلى المـلكة بخطـاب : "وإنـه بسم الله الرحمن الرحيم" الاَّ تعلو عليَّ واتوني "مسـلمين". خطاب بدأه باسم الله وصفاته ، ثم أمرهم بعده بعدم الغرور أو الأعتقاد أنهم الأعظـم قـوة ومالا ، كما أمرهم بإسراع الحضور إليه طائعين وإلا فسيلقون على يده ذلا ومهانة.

فجمعت رجال دولتها لاتخاذ القرار. "قالت أيها الملأ أفتوني في أمري !

"وردوا بقولهم : الأمر إليك فانظري ماذا تأمرين".

وأجمـع اليمـنيون عـلى إرسـال هدية استرضاء السليمان ، وما كان ليقبل بهدية من أصروا على الكفر.

وتوعدهـم "سليمان" ، واستشار جنوده جِنَّهم وأنسهم "قال أيها الملأ أيكُم يأتيني بعرشها قـبل أن يأتوني مسلمين ؟ قال عفريت من الجن : أنا أتيك به قبل ن تقوم من مقامك ، وإنـي عـليه لقوي أمين. وقال الذي عنده علم من الكتاب أنا أتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ، فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر...(٢).

وأمـر سـليمان بـتغير حلي العرش وتنكيره حتى إذا ما حضرت بلقيس وقومها كان العـرش اختـباراً لمـدى فهمم وفهمها... أيعرفون عرش ملكهم أم لا يهتدون وجاءت وجاءوا وأسلمت بلقيس لله الواحد تاركه عبادة الشمس وتزوجها سليمان.

وذكـر الثعلـبي وغيره أن سليمان لما تزوجها أقرها على مملكة اليمن وكان يـزورها فـي كل شهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام ثم يعود على البساط ، وأمر الجان فبنوا ثلاثة قصور باليمن : غمدان وسالحين وبينين.. فالله أعلم.

وقال بن جرير : كان جميع عمر سليمان بن داود عليهما السلام نيفاً وخمسين سنة.

---

(٢) تراجع سورة النمل وتفاصيلها... ٣٦ - ٣٨ - ٤١ .

وقـــال إسحاق بن بشر عن محمد بن إسحاق عن الزهري أن سليمان عليه السلام عاش اثنـــتين وخمسين سنة وكان ملكة أربعين سنة وفي سنة أربع من ملكه ابتدأ ببناء "بيت المقــدس" فيمـــا ذكـــر ثم تولى بعده ابنه "رحيعام" مدة سبع عشرة سنة فيما ذكره ابن الجرير. وقال : ثم تفرقت بعده مملكة بني إسرائيل[١]

النبي (أشعيا)

انـــتهي حكم بني إسرائيل إلى الملك "حزقيا" على أرض بيت المقدس وإلى جوار الملك كـــان "النـــبي" أشـــعيا" مستشاراً دينياً فيما يجد من أحداث خلال الفترة السابقة لظهور "زكـــريا ويحيى" وهما ممن بشر بقدوم نبي الله "عيسى" وخاتم الأنبياء المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم.

وتـــتالت أحـــداث كراهية الشعوب المجاورة للشعب الإسرائيلي لما أشتهر فيهم مـــن عدم ولاء وحط للدسائس والوقيعة بين الممالك الكبرى المجاورة لذلك خرج إليهم مـــلك بابل "سنحاريب" لإبادتهم في جيش عرمرم قوامه كما روى ابن إسحاق : ستمائة ألـــف راية يحملها المحاربون وفزع بنو إسرائيل وتوجه "أشعياء" يبكي إلى رب السماء والأرض القـــادر القاهـــر ساجداً مناجياً "اللهم أنت الذي تعطي الملك من تشاء وتنزعه ممـــن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء ، عالم الغيب والشهادة. فأنت الأول والآخر والظاهر والباطن ، وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين.

كمـــا أقـــبل المـــلك "حزقيا" فناجي وسبح ودعا وبكى "اللهم يارب يا رحمن يا رحيم.. اذكرني بعلمي وحسن فعلي فأنت بي أعلم.

واستجاب الله للدعاء ، ونزل أمر ربك في الجيش البابلي فأهلكه ، وأبقي الله على قائده "ســـنحاريب" وخمسة من قواده منهم "بختصر" وبعد وضع الأغلال في أيديهم وإهانتهم رأى الحـــاكم الإســـرائيلي أن يطـــلق ســـراحهم ليرجعوا بلادهم العراق ليكونوا عبرة ولينذروا قومهم ما قد حل بهم.

قـــال ابـــن إســـحاق : ومـــرت فترة مات فيها "حزقيا" الملك ، فعمت الفوضى وكثرت الشرور وقام "أشعيا" يعظهم فقتلوه.

---

(١) تاريخ الطبري ج ١ / ٣٥٧

النبي "أرميا بن حلقيا"

ثم من بعد الأحداث وكثرة شرور بني إسرائيل ، جاء نبي من نسل نبي الله يعقوب "يعظ بني إسرائيل .. هو النبي "أرميا بن حلقيا" من "سبط لاوي بن يعقوب".

قال وهب ابن منبه : أوحي الله إلي النبي : أرميا" حين ظهرت في بني إسرائيل المعاصي أن أقم بين ظهراني قومك فأخبرهم أن لهم قلوبا ولا يفقهون ، وعيونا ولا يبصرون ، وسلهم كيف وجدوا عز طاعتي ولآمرن السماء فلا تنبت الأرض إلا البهائم ، وإن زرعوا سلطت عليه الآفة ، فإن خلص منه شئ نزعت منه البركة ، فإن دعوني لم أجبهم ، وإن سألوا لم أعطهم ، وإن بكوا لم أرحمهم ، وإن تضرعوا صرفت وجهي عنهم.

(رواه ابن عساكر).

وأبلغهم "أرميا" أمر ربهم فاستخفوا به وأهانوه ، وتمادوا في فسادهم وإفسادهم ، وانقضوا على نبيهم فقيدوه وسجنوه. وجاءهم غضب الله ، وكان أمر ربك حيث ساق إليهم من لا يرحم من الملوك الآشوريين بختصر حيث أقبل عليهم بجيوشه وعتاده وسلاحه ونزل بساحتهم قتلاً ثم حاصر مدينتهم "القدس" حتى اضطروا لفتح أبوابها فتخللوا أزقتها وجالسوا خلال الديار يقتلون شيوخهم وعجائزهم ويطأوهم بالخيل حتى قتل من بني إسرائيل الثلث وهدم "بيت المقدس" وأوقف النساء في الأسواق حاسرات ، وقتل المقاتلة، وخرب الحصون ، ثم سأل "بختصر" عن "دانيال" الذي كتب له يستدعيه لوقف الفساد والأذى في المجتمع ، فوجده قد مات ووجد "ميشائيل" و عزرائيل" ، و "ميخائيل" أكرمهم ثم استقر "بختصر بجنوده في بيت المقدس" ووطئ الشام كلها وقتل من بني إسرائيل حتى أفناهم تقريبا ثم انصرف راجعا إلى "بابل" وقد ساق السبايا أمامه : سبعة آلاف غلام من بيت "داود" وأحد عشر ألفا من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه "بنيامين" وثمانية آلاف من سبط "إيشا" بن يعقوب ، وأربعة عشر ألفا من سبط "زبالون ونفتالي" أبني يعقوب ، وأربعة عشر الفا من سبط دان بن يعقوب وثمانية آلاف من سبط "يستأخر" بن يعقوب ، والفين من سبط "زيكون" بن يعقوب ، وأربعة آلاف من

سـبط "روبيل ولاوي" ، واثني عشر ألفاً من سائر بني إسرائيل. وانطلق بهم حتى قدم أرض بابل.

ولمـا اسـتمع "بختنصـر للنبي" "أرميا" تألم وأكرمه وأبقاه بأرض "إيليا" بيت المقدس بعد أن أخرجه من سجنه.

قـال "أرميـا" : "أرسلني الله إليهم فكذبوني. قال "بختنصر" : كذبوك وضربوك وسـجنوك ؟ قال نعم : قال بئس القوم قوم كذبوا نبيهم وكذبوا رسالة ربّهم. فهل لك أن تلحق فأكرمك وأن أحببت أن تقيم في بلادك فقد أمنتك.

وقد اختار النبي "أرميا" البقاء واجتمع عليه من بقي من ضعفاء بني إسرائيل ، وواصـلت جيـوش بـابل لقتال بني إسرائيل بالشام ، وقيل أن سبب توجه "بختنصر" وجيوشه إلى الشام هو تعدي بني إسرائيل على رسله إليهم. (١)

قال ابن الكلبي : ومن ذلك الزمان تفرقت بني إسرائيل في البلاد.

فنزلت طائفة منهم الحجاز ، وطائفة "يثرب" ، وطائفة "وادي القرى" ، وذهبت شر ذمة منهم إلي مصر.

فكـتب "بختنصـر" إلي ملكها يطلب منه تسليم من شرد إليه فأبي ، فتوجه إليه بجيشه وحقق انتصاراً علي ملك مصر.ثم واصل سيرته إلي بلاد المغرب قال ابن الكلبي : ثم انصـرف بسـبي كثير من أرض المغرب ومصر وأهل بيت المقدس وأرض فلسطين والأردن وتضمن السبي "نبي الله دانيال" بن حزقيل ، كما روي ابن أبي الدنيا عن قاسم بن عبد الله بن عنبسه بن سعيد.وكان عالماً.

أن أبـا موسى الأشعري حدثنا عن أبي الأشعث الأحمري.قال : قال رسول الله ﷺ : إن "دانيـال" دعـا ربه عز وجل أن تدفنه أمة محمد وتحقق ذلك في مسيرة الفتوحات الإسـلامية عندما تقدم رجل يدعي "حرقوص" إلي "أبي موسى الأشعري" يخبره بمكمن "دانيـال" الصـالح فلما وصل إليه وجده مقتولا وقد وضعه في تابوت فقام أبو موسى بدفنه وكتب بذلك إلي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.(١)

---

(١) القصة كاملة في تهذيب بن عساكر ج ٢ / ٣٨٥ ـ ٣٩٣.
(١) أنظر كتاب "إحكام القبور" لأبي بكر بن إبي الدنيا.

وعاش بنوا إسرائيل في سبي "بابل" زمانا امتد بهم حتى وفاة الملك بختنصر ومن بعده الملك "لهراسب" إلي أن ولي أمور الحكم ابنه "بشتاسِب" وكان متعاطفا مع اليهود حيث أمر المنادين فنادوا في بني إسرائيل "إن من شاء أن يرجع إلي الشام فليرجع".

لتـــبدأ مرحـــلة جديدة في مسيرة "بني داود" علي أرض الشام وإعادة ما خربته جيوش "بختنصر" في القدس.

وظلوا كذلك حتى سيَّر "الروم" عليهم جيوشهم وكان ذلك في زمان حكم ملوك الطوائف بالأندلس.

وقـــد روي الحافظ بن عساكر أن رجلاً أسموه "عزيرا"..كان قد مر علي "مكان القدس" وتعجـــب من شدة خرابها قائلاً في نفسه : كيف يحيّ الله الموتي ، وكيف يعود الخراب عمـــارا ؟ فأماتـــه الله مائـــة عـــام ليريه من قدرته سبحانه وتعالي ما عجز عقله عن اســـتيعابه ، ثم أحياه المولي عز وجل ليري حمارا كان يركبه وقد تناثرت عظامه إلي جانـــبه..وإذ بالعظـــام تلبي وتتجمع وتتلاحم ثم تأتيها طبقات لتكسوها لحماً ثم تدب فيه بعد ذلك الحياة فيتحرك ، ويري الطعام إلي جواره لم تفسده السنون المائة فيأكل ويري من معجزات ربه ويشاهد من حوله جماعات الناس الرائح والغادي منهم فيحكي لهم ما يثبت به الإيمان بالواحد وخوف النفس من قدرة الخالق ووجوب عبادته وحده والابتعاد عن المعاصي والتزام السلوك القويم في المعاملات.

ورأي مـــا رأي مـــن عظيـــم آيات ربِّه عز وجل ثم ركب "حماره" متوجهاً إلي ما كان يعرف من طريق إلي منزله ، فلما وصله ، فإذا هو بعجوز كان قد تركها قبل خروجه عـــن القـــرية وهي شابة بنت عشرين سنة ، ولما تحادثا وتعارفا انطلقت به إلي مجلس "بـــني إســـرائيل" وفيهـــم أبـــناؤه وأبناء أبنائه ، فأعلنتهم بخبر وصوله ، فلما سمعوا ودهشـــوا قـــام ابن له وقال إن كان أبي حقا كما تقولين فإن لأبي فيما بين كتفيه "شامة وعلامـــة" فإن وجدناها فهو حقاً أبي ، فلما كشفوا عن ذلك وجدوها ، وهنا قالت جموع "بـــني إسرائيل" : لقد أحرق الطاغية بختنصر نسخ "التوراة" ، وقد علمنا أن من يسمي "عزيـــراً" كـــان يقرؤها علي الناس من غير كتاب ، فإن تلاها اليوم علي مسامعنا هذا الـــرجل فهـــو "عزير" حقا فلما تلاها : تكاثر عليه بنو إسرائيل وطالبوه أن يكتب نسخة

مــن كــتابهم "الــتوراة" فجلس عزير في ظل شجرة وبنوا إسرائيل من حوله حتى تم نسخها.

وروي ابــن عساكر عن ابن عباس أنه سأل "عبد الله بن سلام" عن معني قوله تعالي : "وقالت اليهود عزير ابن الله" (التوبة : ٣٠)

فذكــر ابن سلام : بعد ما كتب "عزير" النسخة من التوراة قالت بنوا إسرائيل : "لــم يستطيع" موسى أن يأتينا بالتوراة إلا في كتاب ، وإن عزير قد جاءنا بها من غير كتاب ، واندفع يهتف بعضهم مفتخراً "عزير ابن الله"

وقــال عطــاء بن رباح والحسن البصري ورواية عثمان بن عطاء الخراساني علي أبيه "عزير" ليس نبياً ، وكان في فترة حكم "بختنصر" ، وجنة صنعاء ، وجنة سبأ ، وأصــحاب الأخدود ،أصحاب الكهف ، وأصحاب الفيل ، "أبرهة" وجيوشه ، ومدينة "انطاكية" وأمر تُبَّع.

وقال وهب منبه : كان فيما بين "سليمان" و "عيسي" عليهم السلام.فالله أعلم.

ويعــود بــنوا إسرائيل إلي سابق كفرهم وتعدياتهم علي الأرواح والأموال والحرمات ، حــتى بعــث الله إليهم ومن بينهم رسولا هداية كريمان (زكريا ثم يحيى) يدعوانهم إلي الاســتقامة ، والسير حسب ما أوجبه الله من شريعة واستقامة عبادتهم لله الواحد خالق الأكــوان ، والالــتزام بأوامره ونواهيه.وشاءت قدرة الله أن تقيم الحجة علي جماعات وأسباط بني إسرائيل ، وهم في قمة الفساد ، وعلي يد رجل منهم هو "زكريا ثم يحيى".

مــا يــبرهن لهــم بما يقنع العقول بواجبات تعديل مساراتهم السيئة والكفر إلي التســليم بالخــالق العظيــم ، وترك ما عداه سبحانه وتعالي ، والرجوع عن المعاصي والآثام.

ولكن هل أسلموا القياد لله حسبما أمر وني وآمنوا ؟ أم استمروا في معاصيهم ؟

زكريا ويحيى عليهما السلام.

والمعجــزة الــتي كــان يجب على "بني إسرائيل" أن تسلم بها وتؤمن لله بعد مشــاهدتها ، فيتراجعوا عن آثامهم..هي معجزة استحالة أن تلد امرأة عاقر ليس لها أن

تـلد ولم تلد من زوج هو "زكريا" وقد بلغ من العمر عتياً – ولكنها بفضل الله تلد وليداً هـو "يـحيى" وهـبه الله عقـلاً كاملاً وجسماً سالماً ليكون في شبابه داعياً إلى مولاه وضرورة عبادته وإحسان العباد لصالح الأعمال.(١)

ونجـد ذلـك في قوله تعالى : "وزكريا إذ نادي ربَّه ربِّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين ،فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه.إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً.وكانوا لنا خاشعين" (الأنبياء : ٨٩ – ٩٠) وقال الحافظ أبـو القاسـم بـن عساكر في تعريف النبي "زكريا" : هو : زكريا بن "برخيا" ويقال : "زكـريا بن دان" ، ويقال : "زكريا" بن لدن بن مسلم بن صدوق بن حشبان بن داود بن سـليمان بن مسلم بن صديقة بن برخيا بن بلعطة بن ناحور ابن شلوم بن "بهفاشاط" ابن "إيـنامن" بـن "رحـبعام" بن سليمان بن داود ، أبو "يحيى" النبي عليه السلام من بني إسرائيل.(٢)

وكـان "زكريا" كما أخبر الإمام أحمد "نجاراً" يعمل بيده ويأكل من كسبها ، كما كان "داود" عليه السلام يأكل من كسب يده.

قـال الإمـام أحمد : حدثنا يزيد ، يعني ابن هارون ، أنبأنا حماد بن سلمة عن ثـابت عن أبي رافع عن أبي هريرة أن رسول الله خاتم الأنبياء ﷺ قال : "كان زكريا نجاراً".هكذا رواه مسلم وابن ماجه(١) وفتح الله علي "يحيى" الوليد فأكرمه بالحكمة علمه الكـتاب فـي صـغره وفـي حال صباه قال تعالي : "كهيعص.ذكر رحمة ربك عبده زكـريا.إذ نادي ربه نداء خفياً ، قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكـن بدعائك رب شقياً ، وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي مـن لدنـك وليـاً.يرثني ويرث من آل يعقوب.واجعله.رب رضياً.يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً" (١ : ٦ مريم).

وقـالوا : كـان "زكريا" بدمشق حين قتله بنو إسرائيل وهو يعظهم ويدعوهم إلي عبادة الخالق الحق واتباع سبل الراشدين في الأعمال والمعاملات.

---

(١) انظر بدء الخلق ١٦ في البخاري ، وأحمد في المسند ج / ٣١٢ ، ٤٤٩.
(٢) تهذيب ابن عساكر ج ٥ / ٣٨١.
(١) صحيح مسلم ٢ /٢٢٧ كتاب الفضائل.

ولقــد ظهر من الآية الكريمة ما كان عليه الوضع في مجتمع بني إسرائيل كما نلتمس مــدى الأذى والــتعديات عــلى كــل من خالفهم ولم يشترك معهم في محيط مجونهم وصخبهم.. خاف "زكريا" الموالي" وهو يقصد بهم الجماعات اليهودية الضالة من حوله ، ولقد ناجي ربهً أن يهبه الولد ليكون له سنداً ومعيناً.. ولقد استجاب الله لدعائه.

ولقــد قامــا نبياً الله (زكريا ويحيي) من بعده بين طوائف بني إسرائيل نصحاً وترغيباً بكافة ما تمليه مسئوليات الدعوة إلى الله وتقويم السلوك.

واختــلفت الروايات : هل مات "زكريا" عليه السلام موتاً أم قتل قتلاً ؟ على روايتين : فــروى عــبد المنعم بن إدريس بن سنان ، عن أبية قال : هرب من قومه فدخل شجرة فجاءوا فوضعوا المنشار عليهما إلى أن وصل إلى أضلاعه حتى قضي.

وقــال الإمــام أحمد أنبأنا أبو خلف موسى بن خلف عن الحارث الأشعري قال : كان "يــحيى بن زكريا" يجمع بني إسرائيل في بيت المقدس يعظهم ويرشدهم إلى تقوى الله وحســن عبادته ، ومما يروي أنه كان يبدأ خطبة بحمد الله والثناء عليه ثم يقول : (إن الله عز وجل أمرني بخمس كلمات أن اعمل بهّن ، وأولهن أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئاً.

وآمــركم بالصلاة فإن الله ينصب وجهة قبل عبده ما لم يلتفت ، فإذا صليتم فلا تلتفــتوا. وآمــركم بالصيام ، وآمركم بالصدقة ، وآمركم بذكر الله عز وجل كثيرا فإنه حصــن حصين للعباد وأن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله عز وجل.

وقد ذكروا أن "يحيى" عليه السلام كان محباً للعزلة ، يأنس إلى البراري ويأكل من ورق الأشجار ويرد ماء الأنهار ، ويقول : من أنعم منك يا يحيى ؟ وقال ابن وهب عــن مــالك ، عن حميد بن قيس قال كان طعام "يحيى" بن زكريا العشب ، وإنه ليبكي من خشية الله.

وروى ابــن عســاكر : أن أبويــه خرجا في طلب "يحيى" فوجداه عند بحيرة الأردن فــلما اجــتمعا أبكاهمــا بكاء شديداً لما هو فيه من العبادة والخوف من الله عز وجــل. هكذا كانت سيرة النبي "يحيى بن زكريا" عطِرة مجاهدة داعية إلى الله مُتقّربة ،

وكان يجب أن يتخذوه قدوه يهتدون به ، ولكن أبناء إسرائيل قابلوه برفض وكفر وصل إلى حد أن قتلوه.

واختلفت الأقوال في مقتل هذا النبي "يحيى" عليه السلام ، هل كانت في المسجد الأقصى أم بغيرة على قولين : فالثوري عن الأعمش عن شملة بن عطية قال: قتل على الصخرة التي ببيت المقدس سبعون نبياً. منهم "يحيى بن زكريا" عليهما السلام.

وقال أبو عبيدة القاسم بن سلام : حدثنا عبد الله بن صالح عن سعيد بن المسيب قال : قدم "بختنصر" "دمشق" فإذا هو بدم "يحيى بن زكريا" يغلي. فسأل عنه فأخبروه ، فقتل على دمه سبعين ألفا فسكن. وقال ابن كثير(١):

وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب وهو يقتضي أنه قتل "بدمشق".. والله أعلم.

ويروي الحافظ بن عساكر من طريق الوليد بن مسلم عن زيد بن واقد أنه خلال استكمال بناء مسجد دمشق اكتشفوا جثة نبي الله "يحيى" والبشرة والشعر على حاله لم يتغير. وفي رواية : كأنما قتل الساعة.

فأخرجوه ثم وضعوه تحت العمود المعروف بعمود السكاسكة في مسجد دمشق.. فالله أعلم.

(نبي الله عيسى ابن مريم)

ثم نأتي إلي موقف كفر آخر "ليهود بني إسرائيل" مع النبي الله "عيسى ابن مريم ابنة عمران" عليهم السلام.

قال محمد بن إسحاق : وهو عمران بن : باشم "بن "أمون" بن ميشا بن إحريق بن "موثم" بن "عزازيا" بن "أمصيا" بن "ياوش" بن "ياوش" بن "أحريهو" ابن "يازم" بن "يهفاشاط" بن "إيشا" بن أيان بن"رحيعام" بن داود.

أما السيدة مريم فلا خلاف من أنها من سلالة "داود" عليه السلام ، وكان أبوها "عمران" صاحب صلاة كان يصليها بين "بني إسرائيل" في زمانه.

أما أمها فهي "حنة بنت فاقود" بن قبيل. وكانت من الصالحات العابدات.

---

(١) انظر قصص الأنبياء ص ٤٨١

وكان نبي الله "زكريا" كان زوج خالتها "أشياع".. فالله أعلم[١].

أن الله اصـــطفى "آدم" عــليه السلام ومن تبع من ذريته طريق الطاعة لله ، ثم خصـــص فقال "وآل إبراهيم" فدخل فيهم بنو إسماعيل ، ثم ذكر سبحانه فضل هذا البيت الطاهر وهم آل عمران والد مريم عليها السلام.

قـــال تعالى : إن الله أصـطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين. ذرية بعضـــها مـــن بعض والله سميع عليم. إذ قالت امرأة عمران ربي إني نذرت لك ما في بطـــني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم ، فلما وضعتها قالت ربِّ إني وضعتها أنـــثي والله أعــلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أُعيذها بك وذريـــتَّها مـــن الشـــيطان الرجيم ، فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفَّلها زكـــريا، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً ، قال يا مريم أنَّي لك هذا ، قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب "آل عمران : ٣٣ – ٣٧.

ولمريم في شريعة الله مكانتها بين نساء العالمين وجاء في الخبر قول أبو يعلي الموصـــلي : حدثـــنا داود بـــن أبي الفرات عن عكرمة عن ابن عباس قال : خط خاتم الأنـــبياء " محمـــد " ﷺ في الأرض أربع خطوط فقال : أتدرون ما هذا ؟ قالوا الله ورســـوله أعـــلم. فقال : أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون " رواه النسائي من طرق عن داود بن أبي هند[١]

نبي الله عيس بن مريم ابنة عمران

ســـبق أن تقدمـــت سيرة عيس ابن مريم عليه السلام في مقدمة لسيرة نبي الله"زكـــريا بن رخيا " وقد رزقه الله بولده "يحيي " النبي وكانت أمه عاقراً لا تلد ولن تـــلد وحدث ذلك استجابة من لدعاء عبده "زكريا" والحال كذلك فليس عجبا ما يحدث للبتول العذراء "مريم ابنة عمران" من نفخة مأمورة من صاحب الأمر سبحانه ، ممن يقـــول للشـــئ كن فيكون عز وجل دليلاً على كمال قدرته سبحانه على أنواع الخلق ،

(١) تفسير الطبري ج ٣ / ١٥٧

(١) السيوطي في الجامع الصغير حديث رقم (١٢١٧)

فإنـــه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وكذلك خـــلق" عيـــس" ابـــن مريم من أنثى بلا ذكر ، وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى فإنه سبحانه على ما يشاء قدير.

وذكر غير واحد من السلف أن جبريل نفخ في جيب درعها فحملت من فورها. كما روى السُّدى بإسناده عن بعض الصحابة.

وفـــي ذلـــك قـــوله تعـــالى : واذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً فـــاتخذت من دونهم حجاباً فارسلنا عليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ، قالت إني أعوذ بالـــرحمن منك إن كنت تقياً. قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً. قالت أنيّ يكـــون لـــي غـــلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً. قال كذلك قال ربك هو عليَّ هيّن ، ولـــنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا فحملته فانتبذت به فكانا قصيا سورة مريم من ١٦ : ٢٢

ولقد كان آية كما أراده مولاه من عذراء لم يقر بها بشر ولما أقبلت على قومها تحمـــل وليدهـــا "عيسى" تعجبوا "يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوا وما كانت أمك بغياً" سورة مريم ٢٨.

يـــا مـــريم ابنة عمران يا مثيلة "مريم" أخت هارون وموسى في الشرف والعبادة. كيف يخطئ مثلك ؟

لســـت يـــا مـــريم من بيت سوء... فأشارت إلى الوليد لينوب عنها في الدفاع والإفصـــاح ، فـــلا يجدون بعد ما يسعوا سوي حتمية التسليم بقدرة الله ، والرجوع عن المعاصـــي وإسلام الوجه للواحد. قال تعالى "فأشارت إليه" قالوا كيف نكلم من كان في المهـــد صـــبياً ، قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصـــاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً. وبرا بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً" ٢٩ : ٣٣ مريم

وليـــس بعد قول نبي الله"عيس ابن مريم" الوليد ساعه أن أعلن بلسانه أنه عبد الله وبكـــلمات حق أصدق ، ولا أدل على ما يقنع العقول بغرابة صدوره عن وليد أوتي فصـــاحة الأقـــناع في كلمات محددة تحمل كل معاني إسلام الوجه لله ، والكلمات كان

يوجهها لكل بني إسرائيل على أرض ذلك الزمان ، وفي مجتمعه يهود عصره ، يشرح لهــم رسالته وعبوديته لمولاه وما فُرض عليهم من صلاة ، وما يجب عليهم من حسن خلق وسلامة ماملات ، وترك للمعاصي ، كما كانت كلماته لهم تنبيهاً لكل يهودي عاق أو غير يهودي ولكل جبار في أهله أو في معاملة والديه وأمه على الخصوص عليه أن يعتذر ويصلح ويبدل قسو: الكلمة بطيب الحديث وحنان المعاملات والعطف على كبير استحق ردَّ الجميل.

فهــل أطــاعت أفــواج وأسباط الفئات اليهودية. لا : واستمروا على سابق عــاداتهم كفــراً وجــدالاً وتهماً وتقولات وأكاذيب... تفننوا في قذف العذراء بأبشع الصفات والتهم والشبهات.

وكذبــوا نبي الله "عيسى" ورموه بأقذع التهم وسيئ النسَّب بل قرروا القضاء علي النور والهدايــة في مهدها ، فأوغروا صدر الحاكم الرواني "هيرودس" للمنطقة ، وبالإيعاز له كذباً من خلال ما لفقوه من أنهم رأوا في المنام أنّ وليداً سوف يكون علي يديه القضاء عــلي الحكــم والملك الروماني ويصدّق "هيرودس" كذبهم فيأمر حراسه بالانتشار قتلاً لكل وليد حتى يأمن.

مما أضطر العائلة الهروب من أرض فلسطين في اتجاه صحراء "سيناء" باتجاه دلــتا نيل مصر ثم إلي صعيد مصر(١) حيث تستقر إلي أن يأتي خير موت هذا الحاكم الظــالم "هيــرودس" فــتعود العائلة إلي بيت المقدس ويوصل عيسى أبن مريم نبي الله الدعوة إلى الله وإلى الإصلاح والتقوى.

ولــم يعجــب هــذا الجماعات اليهودية وسدنة "الهيكل" مدرسة بني إسرائيل حيث كان المســيح يتواجد فيه ويعلّم ويجيب السائلين اليهود ، لم يعجبهم تبصيره للعقول وهدايته للــنفوس المريضة وما يتكسبونه ويفيض علي رهبانهم وطقوسهم. فقروا إرسال حرس هيكــلهم لمتابعة تحركات المسيح وتحين الفرص للقبض عليه ، وتم لهم ذلك فأسرعوا وسط سخرياتهم للتنكيل به ودفعه ليجر صليباً ينوء عن حمله الرجال خلال أزقات بيت المقدس ثم ساحته ، ولكن الله أجزاهم ونصر نبيه ورفعه إليه مكرماً مَرضياً.

---

(١) أنظر التفاصيل في البحث بعنوان "السيد المسيح بين نظرة الإسلام وما دونته الأناجيل"للدكتور محمد عبد السلام العدوى.

ولقــد تطــاول اليهود علي الله رغم إعلان عيسى أنه عبد الله ورسوله ، فأصروا علي سابق كفرهم واستمرار دوام ما هم فيه من تيه.

ورد عــليهم قوــله تعــالي : "يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا علي الله إلا الحــق.إنمــا المســيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلي مريم وروح منه ، فآمــنوا بــالله ورُسـلِه ، ولا تقولوا ثلاثة.انتهوا خيراً لكم .إنما الله إله واحد ، سبحانه أن يكــون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفي بالله وكيلاً.لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون.ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جمعياً.فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذيــن اســتنكفوا واســتكبروا فيعذبهم عذاباً أليماً ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً" (النساء : ١٧١ : - ١٧٣).

وجــاء قــول الله تعالي مشيراً إلي يهود ذلك الزمان وقد تركوا أثراً تحتار في جدالــه ومناقشــته وتبرير كفره العقول : "عزير ابن الله" "عيسى ابن الله" ويتمادون : فقــالوا : لا بــل المسيح عيسى هو الله نفسه ! وينجحون عبر ستمائة عام قبل الإسلام فتقــبل العقــول هذا رغم ما أعلنه مراراً نبي الله "عيسى ابن مريم" أنا عبد الله رسول هدايــة ! ، ولكنهم أرادوا إيعاد كل جيل عن عبادة الواحد إلي الشرك وتقديس غيره !! إلــي أن شــاء السميع العليم أن يكون "الإسلام" ختام الأديان تنبيهاً أخيراً لجميع العقول فــي أن تعــود لعبادة مولاها وطاعة خالقها ، ويتكرر "قرآنه الكريم" علي المسامع كل ســاعة مــن نار أو ليل بآياته البينات ، لفتاً مستمراً ، وتحذيراً يلغي بوجوده كل عذر كافر بعدم علمه أو جهله بالمعبود الواحد دون سواه.

ولقــد شهد "بيت لحم" ذات صباح مولد طفل كان مستقبلاً مشرقاً لبني إسرائيل لو أحسنوا الفهم وآمنوا بآيات الله أمامهم ولم يوغروا صدر الحاكم الروماني "هيرودس" لقــتل المواليد والأطفال ، ومع الأحداث تهاجر السيدة مريم ابنه عمران بوليدها"عيسى" عــليه الســلام خوفاً عليه من بطش الحاكم إلي مصر ، ثم تعود بعد وصول نبأ موت الحــاكم الســفاح.لتبدأ دعوة عيسى عليه السلام إلي الله منذ ساعات لقائه "بيوحنا" وهو

"يـحيى" عليه السلام ذلك الرجل المتبتل الأشعث الأغبر المرتدي ثوباً من الشعر العابد الأواب الذي اختار "ضفاف الأردن".

وعـلي بعد عشرة أميال من مدينة "أورشليم" فكان ذلك مكان عزلته عن الواقع السئ..من معاملات خلق وكفر عبادة.كانت تموج فيه "أورشليم".

وقـد عاش "يحيى" عليه السلام سنين يدعوا إلي الله وينصح بني إسرائيل وبين الكهـان والـتجار وجـنود رومـا ويقـول ويذيـع "توبـوا..لأنه قد اقترب ملكوت السماوات".ولكنه يقابل بتحركات أحقاد ، وسخافات تهكمات ، فيبددها بصيحة زاجرة – يا أولاد الأفاعي ويذهب "عيسى" عليه السلام إليه ليتعلم إلي أن يأتي الجنود في خوذهم ، يدهمون المكان ويعتقلون "يوحنا" ثم يذهبون به.

ويعـود المسيح إلي "الناصرة" ، يعود وداخل إهابه إنسان آخر ، لا تشغله حرفته التي يكسـب مـنها عيشه ، فليس بالخبز وجده يحيا الإنسان ، وإنما يشغله ضرورة الإبلاغ عن ربه وترشيد الخلق من حوله.

ولقـد قـال "يوحنا قبل أن يمضي :" يجئ هو أقوي مني "وكان هو "المسيح" ، وفوق مكان عال ، في "بيت لحم" ، وقف يبلغ الحافّين حوله أولي كلمات الحق د كمل الزمان..واقترب ملكوت الأرض فتوبوا وآمنوا بالبشري".(١)

وتـأتي الأيام بالبشري إليهم "عيسي ابن مريم" الذي يؤكد لهم وفي أحاديثه أنا إنسان : أنـا بشـر مثلكم "ويقول لن يمدحونه : وإلي تلامذته ألا ينعتوه بالمسيح..وحين يقولون أنـت سيدنا فيقول لهم : "لست سيداً لأحد ، إنما أنا عبد الله ورسوله " : (ليس من أحد صـالح سـوي واحد ، هو الله...وعيسى يتحدث بين الجموع اليهودية فيقول "طوبا لكم أيهـا المساكين ، لأن لكم ملكوت الله..طوبا لم أيها الجياع الآن ، لأنكم تشبعون ، طوبا لكم أيها الباكون الآن ، لأنكم ستضحكون...

---

(١) انظر كتاب الحياة طبعة ١٩٨٢.
١. كرمات السيد المسيح في إنجيل يوحنا الإصحاحات ٤ / ٥ ، ١٠ / ١٣
٢ إشارة عيس عليه السلام إلي خاتم الأنبياء محمد (ص) (المعزي) يأتي من بعده الاصحاح ١٥ يوحنا
٣ القبض علي عيسى ابن مريم في وادي (قدرون) حيث يساق حاملا صليبه إلي موضع (الجمجمة) لتنتهي فيه حياته علي الأرض ١٩ يوحنا

إن "عيســى" يستشــهد بكلمات سبقت "الأشعياء" النبي ويتحدث بها كنبراس له ومــنهاج.إنــه مع المساكين في مجتمع ظالم ، كي يبشرهم ، وهو مع منكسري القوب ممــن غلــبوا علي أمرهم وسط تطاحن ذلك المجتمع اليهودي ليفرحّهم بما أُعد لهم من ثواب ويرسم لهم طريق سكينة وطمأنينة القلوب بالاتجاه إلي الله.وبذلك فقد سلّح الناس بأقوى الأسلحة الإيمان والأمل في كلمة واحدة "طوباكم.."

ونبي الله "عيسى ابن مريم" كذلك يدعو مجتمعه إلي التحابب والتراحم ونشرها بين ذلك المجتمع المتطاجن المنحرف من خلال العطف علي المساكين.فهو يوصيهم : "وإذا صنعت ضيافة ، فادفع المساكين ، الجُدع ، العُرج ، العُمي..فيكون لك الطوُبي"..

أنه بذلك يصححالأساليب بين الأغنياء ويزجر غرورهم ، ويفتح أعينم علي آثامهم ومظالمهم ، ويدعو للعطف علي أولئك المستضعفين الذين يترنحون بؤسا وخوفاً..ولكن سدنة الهيكل وأصحاب المصالح لم يعجبهم انتفاض الجموع عن طقوسهم ومكانتهم واستفاداتهم.

وظل عيسى عليه السلام آية رحمات ربه سبحانه بين عباده في مجتمعه يبرئ الأكمة والأبرص ، ويخرج الموتى بإذن الله فهل آمنوا ؟

قال تعالى وهو أصدق القائلين : "إذ قال الله يا عيس ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً. وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل. وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخُ فيها فتكون طيراً بإذني ، وتبرئ الأكمة والأبرص بإذني ، وإذ تُخرج الموتى بإذني ، وإذ كففتُ بني إسرائيل عنك إذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون" (المائدة : ١١٠ – ١١١).

ولقد أقام "عيسى" النبي على اليهود الحج والبراهين على وجود الواحد وعظمة قدرتــه عــليهم لولا رحمته ولكنهم تجاهلوه واستمر أكثرهم على كفره وضلاله وعناده وطغيانه. غير طائفة صالحة أطاعت واستمعت وآمنت وكانوا له أنصاراً وأعواناً.

وقــد عقــد عــزم جمع الكفر اليهودي على قتل "عيسى". فألقى الله شبهه على أحدهم فقتلوه وصلبوه وهم يعتقدون أنه عيسى عليه السلام.

قال تعالى : "ومكروا ومكر الله ، والله خير الماكرين. إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلي يوم القيامة ، ثم إليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون" (آل عمران : ٥٤ – ٥٥)

وقال تعالي : "وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبهَ لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ، وما قتلوه يقيناً ، بل رفعه الله إليه ، وكان الله عزيزاً حكيماً وإن من أهل الكتاب إلاَّ ليؤمنن به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً" (النساء : ١٥٥ – ١٥٩).

ومضت الستمائة عام بين رفع نبي الله "عيسى ابن مريم" "ورسالة الهادي الأمين خاتم تعامي عن حق ربه ، كما تنفي حجج الكافرين بعدم فهم مقاصدها أو العلم بأهدافها تلك هي رسالة الخاتم هداية مستمرة لكل سامع وقارئ.

الأنبياء والمرسلين الحبيب المصطفي (محمد) ﷺ[1] ، ولتعم البشرية شرقاً وغرباً بشراه وتمتد إلي آخر الزمان بشرى لمن يهتدي بها ، وإنذاراً مستمراً لمن تعدل مسارات الكفر إلي رحاب عبادة الواحد سبحانه..رسالة "الإسلام" شريفة عادلة تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر.وستبقي فينا نصائح خاتم الأنبياء "محمد" المصطفي ﷺ عن وادي أورانا "ورحاب جبل عرفات منذ اليوم التاسع من السنة العاشرة من الهجرة إلي يثرب يتردد صداها في الآذان دستور هداية للمسلمين في شرق العالم وغربه ولمن أراد..أيها الناس اسمعوا مني فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا "..أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا".

"أيها الناس إنّ لكم علي نسائكم حقاً وإن لهن عليكم حقاً فاتقوا الله في النساء ، فلإنكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بلكمة الله وإن لكم عليهن أن لا يوطئن

---

(١) ولد ﷺ ٥٧٠ في مكة في الجنوب من جزيرة العرب ، وفي الخامسة والعشرين تزوج من السيدة خديجة ، ولما قارب الأربعين حمل رسالة الدعوة إلي الله ، وكان ذلك عام ٦١٢ ثم تبعتها الهجرة الكبرى إلي "المدينة" طيبة لتبدأ من هناك إرساء قواعد دولة الإسلام وانتشارها شرقا وغربا حتى السنة العاشرة من هذه الهجرة وتمام نزول الوحي وكمال أحكام شريعة الإسلام عبادة ومعاملات لتتوجها خطبة وداع رسول الله ترسم للمسلمين منهج حسن السلوك وكان ذلك عام ٦٣٢م.

فرشكم أحداً تكرهونه فإن فعلنَّ ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح ولهنَّ عليكم رزقهنَّ وكسوتهنَّ بالمعروف".

"أيهـا الـناس إن الله اقـترض عليكم خمس صلوات في اليوم والليلة وصوم رمضان وإخـراج الـزكاة وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً "الناس سواسية كأسنان المشط" لا فضل لعربي علي عجمي إلاَّ بالتقوى" "إياكم والظلم" فإن الظلم ظلمات يوم القيامة.

"أيها الناس لا يأتي بعدي نبي ولا رسول ولا دين جديد".

"تـركت فيكـم مـا إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي" فليبلغ الشاهد الغائب فرب أوعي من سامع "ألاَّ هل بلغت اللهم فاشهد"[٢]

ثلاث مرات

فهل ارعوي اليهود رغم توالي السنون ؟

المتتـبع لـتاريخ بني إسرائيل طوال ألفي عام ميلادية مضت ، وقد نسوا وصية ربّهم وقـد ورد ذكـرها فـي كتابهم التوراة."فالآن إن سمعتم لصوتي ، وإن حفظتم عهدي تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة[١].

وفـي الـنص أمـر بالطاعة لصوت الأوامر والنواهي ، والتبليغ بها لترفع بين الناس مملكة تهدي وترشد.

ثم يأتي التحذير من عدم الطاعة.

(وإن كنتم مع ذلك لا تسمعون لي أزيد علي تأديبكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم.[٢]

فهل أستقاموا طاعة وسلوكاً رغم التوالي نعم الله عليهم ؟ وقد قال تعالي " : يا بـني إسـرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم و أني فضلتكم علي العالمين" و اتقوا يومـاً لا تجـزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون" البقرة ٤٧ ، ٤٨

(٢) مختصر سيرة الرسول (ص) للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رئاسة إدارة البحوث العلمية الرياض ص ٤٥٢
(١) سفر الخروج ١٩ : ٦٥.
(٢) سفر اللاويين ٢٦ : ١٨.

وفـــي قولـــه ســـبحانه : "وإذ نجيـــناكم من آل فِرعون يسومونكم سوء العذاب يُذبّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم (٤٩) سورة البقرة.
وإذ فرقـــنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون (٥٠ البقرة) ولكنهم وقد من الله عليهم برحمات ومعجزات ، ليشهدوا بأنفسهم قدرة الواحد سبحانه وعظمته لا يســتحون ، وتمادوا في طلب المزيد ، ذهب موسى لمناجاة مولاه فأصروا مصاحبته قـــال تعـــالى : (وإذا قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتي نري الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون (٥٥) ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون (٥٦) البقرة.
وواصـــل موســـى مســـيرته للقاء ربه وأخذ الأوامر في الألواح..فرجع وقد كفروا بالله وعبدوا عجلاً (وإذ واعدنا موسي أربعين ليلة ثم أتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ، ثـــم عفونـــا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون ، وإذ آتينا موسي الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ سورة البقرة وفي مسيراتهم في حر شمس رحمهم الله وأظلهم ســـبحانه بغمام والرزاق أنزل عليهم المنّ والسلوى مائدة من السماء تحملها الملائكة ، ورغـــم ذلـــك فقد أخفت قلوبهم شكا وعصياناً.قال تعالي : "وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عـــليكم المـــن والســـلوى كـــلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٥٧) البقرة.وأثناء المسيرة تجاه الشام وبيت المقدس قلّ ماء السائرين ، فتوجه (نـــبي الله موســـى) إلـــي ربه يلتمس سقياهم فأجري الله علي يديه معجزة جليلة تعجز العقـــول والأفهـــام ، "اضرب يا موسى الجبل بعصاك قال تعالي : وإذا استسقي موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عيناً عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين (٦٠ البقرة).
انشـــق الجبل عن اثنتي عشرة عيناً شربت منها أسباط بني إسرائيل وتعدادهم بالآف ، فهل خروا سجداً شاكرين لا يكفرون من بعده ؟
ولنـــتابع عـــدم حيـــائهم حيث أضافوا لما يطلبون طلبات جديدة قال تعالي (وإذا قلتم يا موســـى لن نصبر علي طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقِلها وقـــثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدني بالذي هو خير" (٦١ : الـــبقرة) هكـــذا كـــانوا يكفـــرون بنعم الله وآياته ومعجزاته فاستحقوا غضب الله عليهم

وحكمه."وضُرِبَت عليهم الذلة والمسكنه وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيـات الله ويقتـلون النـبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (٦١ : البقرة) وهكذا كان حالهم ، وتُظهر الأحداث أنهم لا يزالون.

يهود العصـــــــر

وتتواصـــل أفعال بني إسرائيل يهود العالم الصهاينة من ماضي إلي حاضر.وقد فاجأوا العــالم مِن حولهم "بالتلمود" [(١)]وهو كتاب فريد في الكفر ، نادي فيه "الحاخامات" اليهود بعدائهم للأديان كلها وبخاصة المسيحية والإسلام.

كمــا نادوا وكشفوا عن سئ النوايا تجاه جميع الشعوب واحتقارهم ، وتضمن نصوص قوانينهم ما يبرز سلب أموال جميع الناس بشتي الوسائل والطرق ، واستباحة ممتلكاتهم ، واحتقار شخصياتهم ، واعتبارهم في المرتبة الأدنى ، ووصفهم بأبشع الأوصاف.

وعــند التقاضي فواجب القضاة عدم إنصاف غير اليهودي ، وتبرئة كل يهودي من كل تعدياته وأكاذيبه وسرقاته واعتبار جميع انحرافاته حقاً واجباً.

كمــا ضَـمَّن "الحاخامات" اليهود في تلمودهم صفحات غاية في الكفر في حق قدسـيات الذات الإلهية والملائكة وفي خلق آدم وحواء وتعرضوا وأساءوا عند حديثهم عــن أرواح اليهـود والنصــارى والمسيح واليهود ، وبما تشمئز منه النفس ويضحك استهزاءاً مما أملته عقولهم في كتاباتهم عن الجنة والنار وتاريخ الشياطين..

ولنـبدأ بتــناول نمــاذج من تطاولاتهم وإسفافات أقوالهم ، وعبارات تُضحك القــارئ وتعترف علي كاتبي هذا الكتاب "التلمود" من الحاخامات اليهود بما في نفوسهم مــن أحقاد دفينة وما خططوا له وتخيروا له بذئ العبارات وكافرها في حق المقدسات الإســلامية والمســيحية ، والــتطاول علي ذات الله والملائكة..يقول التلمود علي لسان "مــناحم : وانه لا شغل "الله" في الليل غير تعلّم التلمود مع الملائكة ومع ملك الشياطين (اسموديه) في مدرسة السماء

وقــد اعــترف بخطــئه في هدم "الهيكل" فصار يبكي ويمضي ثلاثة أرباع الليل يزأر كالأسد ويواصل "مناحم" "كفره وتجرأه علي الذات فيقول" إن النهار أثنا عشر ساعة في

---

(١) أنظر.التلمود (كتاب الإرهاب الصهيوني إلي كل مسلم ومسيحي) طبقا لطبعة التلمود القديم وما في النسخ الجديدة المطبوعة في أمستردام ١٦٤٤م سالزبرج ١٧٦٥م.

الثلاث الأولي يجلس الله ويطالع الشريعة ، وفي الثلاث الثانية منها يحكم ، وفي الثلاث الثالثة يطعم العالم ، وفي الثلاث الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت.

وتحت عنوان "خطيئة الله" يقول : ويندم الله علي تركه اليهود في حالة التعاسة حتي أنه يلطم ويبكي كل يوم فتسقط من عينيه دمعتان في البحر فيسمع دويهما من بدء العالم إلي نهايته ، وتضطرب المياه وترتجف الأرض في أغلب الأوقات فتحصل الزلازل.ولن نزيد في أبرز دلالات كفرهم وتجرآتهم ولكن الله في أعقابهم قادر يفعل بهم ما يشاء.

- وفي الملائكة وحسدهم لليهود : يقول التلمود : للملائكة وظائف منهم من يحفظ النباتات التي تنبت في الأرض وعددها واحد وعشرين ألفاً ومنهم الملك "جركيمو" وهو مخصص للبرد "وميخائيل للمياه"وجبرائيل" للنار وإنضاج الأثمار ، وتوجد عدة ملائكة أخري أسماؤهم معروفة (للحاخامات) بعضهم مخصص للخير وبعضهم مخصص للشر
- والملائكة تجهل اللغة الكلدانية التي يصلي بها اليهود حتي لا يحسدوا اليهود علي صلاتهم..

وفي تاريخ الشياطين يقولون : خلق الله الشياطين يوم الجمعة ولم يخلق لهم اجساداً ولا ملابس لأن يوم السبت كان قريباً ولم لديه الوقت الكافي لعمل كل ذلك..وبعض الشياطين من نسل آدم ، فإنه بعد أن لعنه الله أبي يجامع زوجته "حواء" فحضرت له اثنتان من نساء الشياطين فجامعهما فولدتا الشياطين.

ويضيف اليهودي (اليفاس ليلفي) أن التلمود أول كتاب سحري ديني وأن حاخاما كان يخلق رجلا كما يخلق عجلاً كل ليلة بمساعدة "حاخام" آخر ، زكانا يأكلانِ منه معاً وكان يحيل الشمام والقرع إلي غزلان ومعيز.

أما في خلق آدم وحواء فيقول "فاييوس" في خطبة ألقاها في مدينة "ليون" يوم عيد رأس السنة اليهودية ١٨٤٣م إن الدين اليهودي أفضل من جميع الأديان وتعاليمه معقولة بخلاف الدين المسيحي فإن قواعده مبنية علي الجنون "ويشرح التلموذ كيفية خلق آدم وحواء فيقول : أخذ الله تراباً من جميع بقاع الأرض

وكونـــه كتـــلة وخـــلّقها جسماً ذا وجهين ثم شطره نصفين فصار أحدهما آدم والثاني حواء...

وخـــلق الله ســـتمائة ألف روح يهودية وتتميز أرواحهم عن باقي الأرواح بأنها جـــزء مـــن الله ، وأرواح غيـــر اليهـــود هي أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات كما ذكر التلمود أن نطفة غير اليهودية كنطفة باقي الحيوانات.

وفـــي الجـــنة والنار يقولون في "التلمود" : ولا يدخل الجنة إلا اليهود أما النار فهـــي مأوي الكفار يعيشون في ظلام وعفونه وطين ويبكون.وسيظل المسلمون فـــي النار إلي الأبد لأنهم لا يغسلون سوي أيديهم وأرجلهم والمسيحيون لأنهم يختتـــنون.وجـــاء في التلمود أيضاً كما سطره لهم حاخاماتهم : أن الإسرائيلي معتـــبر عـــند الله أفضـــل من الملائكة وهو جزء من الله..وإذا لم يكن اليهود لانعدمت البركة من الأرض ولما خلقت الأمطار والشمس ، بل لما أمكن لباقي المخـــلوقات أن تعيـــش كذلك جاء في تلمودهم : أنه إذا ضرب "أمي" إسرائيلياً فـــالأمي يســـتحق الموت وقال المرّابي اليهودي "ميمانود" في التلمود : إذا رد اليهودي إلي الأميّ ما له المفقود فإنه يرتكب إثماً كبيراً.

ويقـــول : أمرنا الله بأخذ الربّا من الذمّي ، وألا نقرضه شيئا..أما الربّا فهو محرم بين الإسرائيليين.

وجـــاء فـــي التلمود قول الحاخام "ليفي بن جرسون" ومعه حاخامات أنّ أقوال "موسى" عـــن الـــربا وفوائده القانونية صدرت لليهود بصيغة الأمر.وفي حديث آخر لليهود قال عن الذمّي وموقف اليهود منه : حياته بين أيديكم فكيف بأمواله ؟

وكما جاء في التلمود علي لسان الحاخام "اليعازر" : إن الكفار هم "يسوع المسيح" ومن اتبعه ويسمون المسيح يهودياً مرتداً.

وعـــند هـــذا الحـــد نـــترك الحكم عليهم وعلى سفاهتهم وكتاب ديانتهم الجديدة "التلمود" ثم ننتقل بالحديث عن الخطر داهم على البشرية جمعاء.

الماسونية

خططـــوا له وجعـــلوه سرا وأخفوه ، والبحث في ذلك يتم ويكشف عن غايات النفسية اليهودية المتربصة شراً بالبشرية.

وبعـــد دراســـة عهدهم القديم وشروحه وتفاسيره ومخالطة الحاخاميم بفلسطين ودمشـــق مستفيضة انتهى إليها الدكتور / محمد علي الزغبي(١) واكتشف عن قرب ما يخطـــط له اليهـــود في عصرنا وعلى مدي القرون الخالية من أعمال تفرقة تثمر فرقا دينية ، ومذاهب سياسية.

ولقـــد ولدت الماسونية في بيت إسرائيل ، وشبت تحت رعايته ، وقد خلع عليها تجديـــداً وثوبا مزر كشا بكلمات "الحرية ، والإخاء ، والمساواة ، والإنسانية ، والتعاون وخدمـــة الفضـــيلة" ولكـــنهم أسدلوا على الأهداف البعيدة ، واليهودية المحتجبة بثوب الماســـونية الهادفـــة لاضـــطهاد جميـــع أمـــم العالم ، وتحتقرها وتزدريها ، وتسطير وتحـــركها.. إلى جـــانب إشاعات وأكاذيب تشيع أوهاما وأباطيل لنترك انطباعات تخيل لعميان المؤرخين ومأجوري السياسيين وأعشار الباحثين الكتاب.. تحت شعار أن العالم اضطهد اليهود قديماً وحديثاً !

ولقـــد جـــنت الماســـونية اليوم ثمار ما خططت له من فُرقه بين الشعوب ، ومطاحنات سياســـية عمـــت أنحاء الأرض ، وواجب الباحث والدارس أن يشير إليهم قبل استفحال الكارثة التي لا نرجو وقوعها.

ولقـــد أعـــلن الدكـــتور محمد علي الزغبي شعوره بالأسى من عدم سماع ما يلفت إنيه بقولـــه: "دعوت قومي ليلاً ونهاراً" قبل وقوع الكارثة ، ولكني "لم الق عصا الصراع.. وأتعزي بكلمة : لا رأى لمن لا يطاع" وأقبع بين أوتار الأسى ، وقيثاره القنوط"

وأنا أردد مع الدكتور الزغبي وأعيد لفت نظر قومي مصريين عرب وإخوان عروبة.. مُعزياً نفسي بكلمة "الحق يمرض ولا يموت".

ومـــا ســـنتناوله الآن عـــن الماسونية سوف يكشف عن الصورة الحقيقية التي أحتجـــبت وراءهـــا مـــع ما ضمنته معها من جمهور عظيم من مذاهب مختلفة ولكنهم

---

(١) انظر كتاب (الماسونية) منشئة ملك إسرائيل د. محمد علي الزغبي مطابع مؤسسة معتوق مطبعة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

يعمـــلون لغايـــة واحدة سرية للغاية لا يعلمها إلا القليليون ، لهم غاية واحدة وهي رفع راية إسرائيل في سماء أرض "كنعان" وما جاورها.

وقـــد ضــمنت الماسونية بذكاء ما تخطط له وتسعى ، وتحت شعارات الإخاء والإنســانية ، المســاواة والحرية ، شخصيات وتخيرتهم من أنحاء العالم علما ودينا ، وإيماناً خالصاً لم يفطنوا لهم وهم يعملون تحت الشعارات ما تخبئه لهم أو أنهم أصبحوا وســط مخطط يدفع بهم ويجزل لهم العطاء ليختفوا من ورائهم لتحقيق مكاسب انتشار وعمــق تغــلغل في شتى المجتمعات ليسهل العمل وتحين الفرص ليهب مدمراً مفسداً رافعــاً لواء الرذيلة في أثواب فن وأغنيات وسياحة وعروض أزياء وفاضح موديلات وسموم وتدخين وألوان مشروبات.. !!

ولقـــد تكـــتم أقطاب الهيكل الكوني اليهودي التسعة الجهولون ، أقطاب الهيكل المركـــزي أو هيكل القدس أو كوكب الشرق الأعظم أو أعضاء الحفل الكوني التسعة ، يعمـــلون حسب مناهجهم ، ولضمان الاستمرارية فقد جمعوا إليهم نخبة تتوارث التعاليم وتنفذ ما خط في صحائف الاجتماعات والتوصيات بتوريثها لأرشد الأبناء والأشخاص ، وكـــانت جلســـات القـــرارات وطرق ووسائل التنفيذ تتم في القدس ولندن والولايات المتحدة أو في تل أبيب..

وظـــلت طلســـما خفيا عن العالم حتى تنبه الأب "لويس شيخو" لأعمال لم تكن موجـــودة فـــي المجتمع بدأت تظهر بفعل عصبة يهودية تواجدت ومؤسسة لهم أنشئت يتكـــلم أفـــرادها بما يوغر صدور المسلمين والمسيحيين بل وبها يفرق بين المسيحيين أنفسهم فأعلن يقول عن تلك المؤسسة : "أن مؤسسها هو الشيطان[١] ".

حســب مـــا لمسه من أساليب تغلغلهم بين الناس ، وما يفعلوه وما يتم عن مكر ودهاء وشـــرور نابع مما وضعوه والتزموا تنفيذه وعرف فيما يعد باسم "قانون القوة الخفية" ، والذي فرضته عقول الاجتماعات وفرضت توريث سرِة لأرشد أفراد عصبتهم.

وكـــان "تاتـــان لاقي" أحد ورثه السر الأعظم هذا وقد احتفظ بالنسخة المشتملة على المخطط والقرارات الموروثة له من اليهودي "موآب لافي" مستشار "هيرودس".

---

(١) السر المصون "الأب لويس شيخو" ص ٩٣ ، ٢٢٩.

ولقـد قـام "تاتان" بدورة حتى قبيل وفاته عام ١٨١٠ م حيث قام بتسليم الموروث إلى ابنـته "اسـتير" وعـند وفاتهـا سلمت زوجها "مستر لوران" ثم من بعده أسلمها ولده "جوناس".

وجاءت نقطة التحول وكشف المستور عندما أحب "السيد جوناس" فتاة الأحلام المسيحية "جانيت".

وتـربص به نواب المحفل الماسوني اليهودي "للحصول على المستندات السِّرية ولكنهم لم يفلحوا في غير قتله.

وقـتل "جوناس" وساقت الأقدار زوجته "جانيت" للعثور على هذه المستندات وتصفحتها فـراعها ما قرأت وشاهدت في حواشيها وملاحقها.. ما فعلته "القوة الخفية الماسونية". مـن فـتك ومـا أخفته من حقود وكيد للمسيحيين وللمسيح ولمحمد النبي ومخططات الإفساد في أنحاء العالم.

وعكفـت السـيدة "جـانيت" عـلى تربية وليدها "صموئيل" حتى شب. فترجم الأسـرار ومـا أخفـته السنون من العبرية ونشره إلى لغات العالم.. وأظهرت الملفات والحواشي ما كان خافياً من تهجم سافر على المسيحية والإسلام وقذف في حق المسيح ومحمد ومخطط التفرقة بينهما للقضاء على دينهما.

وأدلـت "جـانيت" على ما أظهرته الوثائق بقولها. "لا يوجد شر في العالم كله إلا وهذه النسـخة بمـا فيها من خطط تعمل بها من وراء حجاب وتوفيت السيد جانيت فلم يفرط ولدها "صموئيل: ثم من بعده ولده "لوران الثاني".

وكشـف الـنقاب عن المستندات ونشرها لم يوقف الأعمال ومسيرتها حسب التخطيط والأسـاليب والأهـداف ، فالأجيال تنسي والناس غالباً لا تصدق وتتعامي عما وعمن ينبهها ويبصرها.

لذلـك أسمتهم الماسونية اليهودية "عمياناً" وبالفعل فكل الناس في جميع الأنحاء عميان عن كشف ما وراء الإغراق والإبهار من أسرار.

واعـتمدت الماسـونية في التنفيذ على روعة لفت الأنظار وتعدد وسائل الجذب ، وهي وأن كـانت لكـل الأعمـار إلا أنها تركز على الشباب عُدَّة الأمم ومصدر قوتها على الخصوص.

وهـم كذلـك يستنزفون جميع العائلات فقيرها وغنيها ، ويدفعون بأفرادها إلى تطلعات مدمرة تملي الانحراف والسقوط.(١)

أزيـاء عـلى مـدار السـنة وفصـولها تحت شعار الموضة العالمية ، والحديث لها خصوصـية الأثمـان وارتفاعهـا وأمـاكن وفنادق جهزت لتكون أو كار أمان للفساد والانحـلال ، تعبث بالعقول والأجساد ، وتبث اندفاعاً أو تقليدا على مشروبات وتدخين متـنوع يؤديـان إلى نهاية مقصودة واحدة هي ذهاب العقل والصحة وجرائم في سبيل الحصول عليها أو ارتياد المكان.

وباسـم الحـرية يـرتقي اليهـود المناصـب في الدول الكبرى ، وباسم الحرية وقف "دزرائيـلي" فـي مجـلس الـنواب البريطاني خطيباً مدعياً حرصه على تقدم الشعب وانطلاقـه الفكري ، وهو يخفي انتقاما من الإنجيل الذي يكشف النفسية اليهودية ويحذر من مؤامراتها.

وباسـم الحـرية أوحوا "لشعوب العميان" الإكثار من المدارس العلمانية ، وقذفوا في النفوس أن الدين علة تأخر الشعوب وأنه عدو العقل وتقدم العلوم.

وباسـم الحـرية نـالوا ويـنالون من معتقدات الأمم وتقاليدهم التي تخص على مكارم الأخـلاق ، ووسيلتهم إلى ذلك دفع الأبناء العميان عن الحقيقة والفهم إلى الثورة عليهما ورفضهما بدعاوى عدم مناسبتها للعصر.

ولقـد اعـتراف "تيـودور هرتزل" مؤسس الصهيونية(١) الحديثة التي فتن بها الباريسيين منذ عام ١٧٧٢ م ثم امتد بظله إلى ألوف المحافل في الشرق والغرب فقال: "إن هذه الكلمات : الحرية المساواة الإخاء من أنفع الأسلحة التي تمهد بها إسرائيل لهدم

---

(١) السر المصون (الأب لويس لويس شيخو) ص ٩٣ : ٢٢٩

(١) ظهر تعبير "الصهيونية" لأول مرة على يد الكاتب الألماني "ناثان برمبوم" عام ١٨٩٣ م ، وقد اشتقته من لفظه "صهيون" القديمة وكانت تطلق على قاعة "القدس" وقد استعملت للدلالة على القدس نفسها ، أو المعبد أو جبل صهيون المقدس ، ثم انتهي بأن لطلق على الأرض المقدسة كلها " د. صوفي ابو طالب" "المجتمع العربي ١٩٧٠ م". وتعالت أصوات الصهانية اليهود "بعد مؤتمرهم في مدينة "بال" الأول عام ١٨٩٧ باعتبار فلسطين وطنا قوميا لليهود ، ومنذ ذلك التاريخ ظهر تعبير "صهيون" هذا والصهاينة هؤلاء.

العــالم. ويردد من ورائنا العميان ويقصد الشعوب التي لا تكتشف الأهداف وما تخفيه الشعارات. "إننا نقصد بها الفوضى والهدم والشجار بين الجماعات" [٢]

ونكــتفي بالإشــارة إلي بعض ما أثبته التحقيق العلمي عن هؤلاء الهدامين ومنهم "بني سـينكل" وقد ألف كتابا هادما بعنوان "جنون المسيح" "وتشارلس رسل" مؤسس المذهب المتطرف "شهوديهوده" و "يوحنا ويكلف" مؤسس مذهب "المومورن".

ومــن دلائــل سطوة العقلية اليهودية أن الدين الواحد "المسيحية" قد انقسم فرقاً متضــاربة. بـلت ألفا وثمان فرقة "بروتستانتينية" و "قديسي الأيام الأخيرة" وغيرهما ، وكــلها عــلى هــدف واحد هو تحقيق التفرقة بين أفراد الدين الواحد واختلاق روايات كاذبــة وطقــوس وعبارات كافرة ، وإظهار "نبي الله عيسى ابن مريم" معبوداً وإلها لا رسولا عن ربِّه وهادياً إلي الواحد.

الواحــد وحسن عبادته والالتزام بوصاياه لتقويم سلوكيات الناس!.. ومن توابع ذلك ما نجده من أفعال "أسقف كنتربزي" ومن يمسكون بزمام البروتستانتينة.

ويدفعــون المــلوك ورؤســاء الجموريــات والولايات المتحدة الأمريكية وروسيا دفعا لمساندة أبناء صهيون ، ويتطاولون على أم المسي ابنة عمران من خلال ما أعلنوه عن "الحرية المادية"

ويتلاعبون من خلالها بأذهان (الكاثوليك) ، وهي تكشف عن عميق الحادهم ، وتكشف عــن تــنفيذهم الذكي لما وضعه (هرتزل) و (نيتشه) و (ماركسي) و (سارتر) وغيرهم من حكماء صهيون[١].

والأيــام تشــهد بعديــد جرمهم وأكاذيب ادعاءاتهم بتعمد اضطهادهم ، وإساءات الدول لشــعبهم. ونســوا تجسس يهود "شهوديهوده" وما أنزلوه بالألمان من خراب ،وقد ثبت عــليهم الشواهد والقرائن والبراهين خلال محاكمتهم وإدانتهم بالخيانة العظمى ، فنفذت فيهم الأحكام. فأين هو الظلم ؟ !!

ثم ما يدور على مدى خمسين عاماً من قتلهم للأسر العربية على أرض فلسطين وسفك الدمــاء للأطفــال العــرب والشيوخ والنساء ، وهدم لمنازلهم وتشريد وحرق للغلات

---

(٢) محاضرات "هرتزل" للأب "انطون يمين" ص ٧٨ الطبعة العربية

(١) تحقيقات مجلة "البيان المصرية" مجلد عام ١٩٥٥ م.

والمنـتجات والمزارع ، وضم للأراضي تحت شعارات أوهام ما تجسمه الأمنيات في الأساطير عن "مملكة سليمان" التي اندثرت وبادت منذ آلاف السنين.

وليس بهذه الطريقة تعود الأمجاد ، وليس بهذا المكر والدهاء ، وليس بعدم الوفاء وعدم رد الجميل .. تترلون يا يهود العالم ضيوفاً وتطردون مالكاً ؟! وتزعمون وتدّعون حقاً وتعـلمون صوتاً وتستخدمون أسلحة.. أليس القانون هو طريق أخذ الحقوق ؟ ليس لكم ولا لغيـركم بأي حال من الأحوال احتلال الأوطان ، تقويم التربية من جماعات شتتها الأيـام في كل الجهات وجاءت جائعة إلى أرض خير وفي ضيافته عرب فلسطين ، أن تأسـرها طيـب المعامـلة ، وحسـن الاستقبال ، وإطعام اللقمة ، لا ما نراه اليوم من تبجح.. علماً بأن مملكة جدهم العظيم "نبي الله سليمان" لم تكن تتجاوز مساحتها أربعين كيلوا متراً مربعاً !!(١)

البروتوكولات :

ولعـل مـن نـتائج تشـتت اليهـود في أقطار العالم ومسيراتهم طبق أهداف ومخططـات مرسومة وآمرة وعلى مر أزمان مضت قد تحققت لهم نجاحات مباشرة ، كمـا أكسـبتهم تماسـكاً وأوصلتهم إلى مراتب النفوذ وقوة السلطان والهيمنة اجتماعياً وسياسـياً وإعلامياً في كل الأقطار... بريطانيا وأمريكا وروسيا وغيرها ، كما ساعدهم عـلى تصـميم السـرية المتـناهية أن تحقق لهم نجاحات المقاصد من خلال انتشارا "جمعيـاتهم السـرية" حـتى تحقق لهم إعلان "دولتهم إسرائيل" وقد أرسلوا لها القواعد والأركان.

وكـانت وستستمر هذه الجمعيات تعمل في توجيه سياسيات جميع الدول حسب مصـالحها ورغباتها ما دامت..وهم في سعيهم لتخريب الذمم وإهدار الكرامات وإسقاط الحكومـات الصالحة وتضليل الفئات وإشاعة الفساد والإنحلال لضمان إضعاف الأفراد والشباب لضمان القضاء علي القوي وإحكام السيطرة والتوجيه.وكشفت الأيام والصدف وسـاقت لنا ينبوع رحمة لمن أراد الفهم وسرعة الإصلاح...ووضعت في أيدينا أصول الخطـط اليهوديـة وبـروتوكولاتهم بمـا فيها من وعود بالحريات كاذبة ، وخداعات

---

١) انظر معجم البلدان للبلاذري

وتضـــليل ، وقـــد اكتشـــفها العالم أجمع وفضح النوايا الصهيونية الإسرائيلية الماسونية اليهوديـــة تجـــاه البشـــرية الأســـتاذ الفاضـــل : (ســـرجي نيلســـون) أول ناشر لهذه الـــبروتوكولات بالـــلغة الروسية ، وقد تسلمها من صديق[٢] له قبل وفاته سنة ١٩٠١ وهي وثائق خطيرة تيسر لسيدة فرنسية أن تسرقها في نهاية اجتماع "للمؤتمر الماسوني اليهودي السري"

واليهود ببروتوكولاتهم هذه قد خانوا البشرية فقد أظهروا الابتسامات والرضا والبراءة ، وأبطـــنوا خيانات وطعن في الظهور.وعن هذا وذاك تقدم لنا "بروتوكولات صهيون" خير شاهد بارز علي تلك الصفات.

١. **"التعريف اليهودي للبشرة".**

فـــاليهود وهم يطلقون على أجناس العالم ما عداهم لفظ "الأمميين" أو "الجوييم" ويعنون بذلك : "أن العالم ما عداهم : بهائم وأنجاس وكفرة ووثنيون".

ويعكـــس ذلك أمامنا نظرة احتقارهم وكرههم واشمئزازهم من بني البشر علي اختلاف أجناسهم وألوانهم دون تفريق ولا تمييز.

وفـــي هذا التعريف إشارات لعظيم الخطر علي الجميع ما دمنا قد عرفنا حقيقة مقاصدهم ودفين كرههم ، وانتهاز فرص انتقامهم.

بروتوكول إفساد الشعوب اجتماعيا وسياسيا :

يقـــول الـــبروتوكول الصـــهيوني : إن خيـــر الوسائل في حكم العالم ما ينتزع بالعنف والإرهـــاب لا بالمنشآت الأكاديمية وما دام كل إنسان يسعي إلي القوة فيمكن أن يوجه ليكون دكتاتورا في سبيل جميع المصالح العامة.

إن الحرية السياسية ليست حقيقة بل (فكرة) والذكي من يسخرها ويتخذها طعما لجـــذب العـــالم ، ويســـعي بكـــل الوسائل للقضاء علي سلطان الدولة باسم التحررية ، وعـــندما تصـــل الأمـــور ويصـــبح الجمهور الأعمى بلا حاكم وتصيبه حالات التوتر والاندفـــاع العشوائي المخرب ولا يبقي له غير اختيار ما تقدمه له من زعامات ويكفي من الحرية للشعوب فترة وجيزة من إعطائهم (الحكم الذاتي) يعطيها الحاكم لشعبه حتى

---

(٢) هو (اليكس نيقولا نيفتس) كبير جماعة أعيان روسيا الشرقية القيصرية – والوثائق انتزعت خلسة من كتاب ضخم في محاضر خطب عثر عليها في مكاتب (مركز قيادته معية صهيون القائم الآن في فرنسا).

يخلصــوا له ، ولكــنهم وهم في نشوة هذه الحرية تنشأ دائما بين المتطلعين صراعات ومــنازعات وخلافات علي السلطة والنفوذ وتنشب المعارك في المجتمعات والحروب الأهلية وينهار سلطان (الدولة).

وســتقع في قبضتنا ، ويبقي لنا أموالنا تحركها وتتحكم ، وإلا فإنها ستغرق في اللجة لا محالــة.تــلك هي السياسة : وأيضاً هي التي لا تتفق في نظرهم مع الأخلاق في شئ ، والحاكم المقيد بالأخلاق في مخططهم ليس بسياسي بارع ، وهو بذلك غير راسخ علي عرشه [١]

ومن مواد بروتوكولاتهم النصوص :

١. مــن يريد إنفاذ خطة عمل تناسبه يجب أن يستحضر في ذهنه حقارة الجمهور وتقلبه وحاجــته إلــي الاســتقرار ، وعجزه عن أن يفهم "قوة المهور العمياء" التي لا تقدر ظروف عيشه وسعادته.

٢. إفراد الجمهور الذين امتازوا – ولو كانوا عباقرة – لا يستطيعون أن يقودوا كزعماء دون تحاسد أو دون يحطموا الأمة..ودون الاستبداد المطلق لا يمكن أن تقوم حضارة أي "الأوتوقراطية" ونظام الحاكم الفرد المستبد المطلق.

وإن شــعباً يترك لنفسه باسم الحريات لابد أن تحطمه الخلافات الحزبية التي تنشأ من التهالك علي القوة والأمجاد وتخلق الفتن واضطرابات..وهذه هي غايتنا..

٣. البرتوكول التالي : (فكرة سيادة الأرض)

يقولــون : حيــنما نمكــن لأنفســنا فــنكون سادة الأرض ولن نبيح قيام أي دين غير ديننا.ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان لا ثمار ملحدين[٢]، وما يجب مــن إخضــاع كل الأمم تحت أقدامنا..ثم سننشر في كل فرصة مقالات تظهر الفارق العظيم بين حكمنا وتعاليمنا (الموسوية) التي تعلو جمع الشرائع.

وستكون قرارات حكوماتنا نهائية ، ولن يكون لأحد الحق في المعارضة ، ولقد غرسنا بعمــق في نفوس جماعاتنا نزعة المعارضة لمجرد المعارضة ، وسنتخذ لتحقيق ذلك

---

(١) أنظر كتاب "الأمير" لمكيافلي" طبعة إفريمان بالإنجليزية وترجمة د.احمد أمين عن كتاب "مبادئ الفلسفة" للأستاذ "رابوبرت"

(٢) أنظر تفاصيل البروتوكولات الطبعة الأولي "الاتحاد الإسلامي" العالمي للمنظمات الطلابية ١٩٢١م لندن.

إجـــراءات لا رحمة فيها حتى تعترف "الأمم" أن سلطتنا لا يمكن أن يتجاهلونها ، وفي سـبيل ذلـك يجب أن يعتد بكثرة الضحايا الذين سنضحي بهم للوصول إلي النجاح في المستقبل.

٣. تدمير المشروعات في البروتوكول السادس عشر

ويعـلن يهـود القـدس وجبل صهيون عن قصدهم الدائم في تدمير مشروعات غيرهم الجمعيـة بقولهم "سنبيد العمل الجماعي في مرحلته الجماعية ، سنعيد إنشاء الجامعات حسـب خططـنا وتعييـن أسـاتذة قـد أعدوا الجامعات إعداداً حسب برامج عمل لن يستطيعوا الانحراف عنه بغير عقاب [١] القانون ورجال الدين :

أن احـترام القانون يحرر السعي وراء كسب القضايا بالنقط الاحتيالية الصغيرة الواردة فـي كل تشريع فاحترامه غير وارد في خطة إفساد الذمم وانحراف الأحكام في مختلف القضايا.كذلك سنسعي لكي لا يكون المحامون والقضاة متساوون مع الموظفين المنفذين ، وسـيدرس المحـامون مذكـرات عن عملائهم بعد أن تكون النيابة قد حققت معهم ، وبهـذا سيكون أساس دفاعهم علي ضوء هذا التحقيق ، وفرض الأجر بعيداً عن النتائج فالمحامون يستحقون أجرهم سواء أكان الدفاع ناجحاً أم لا.

كمـا أظهـر الـبروتوكول السابع عشر نظرتهم الخسيسة يقولون : "وقد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين من "الأميين" غير اليهود" وبذلك نجحنا في الإضـرار برسـالتهم الـتي كان يمكن أن تكون عقبة كئودا في طريقنا...والعمل جاء ليتضاءل نفوذ رجال الدين علي الناس.

واليوم تسود حرية العقيدة في كل مكان وتشكيك الناس في دينهم عن طريق النقد الحر وعـلم مقارنة الأديان وتحويل المؤمنين إلي ملحدين كخطوة أولى بعدها يملُون الاعتقاد بصـحة الديانة اليهودية وحدها.القاضية بأن اليهود شعب الله المختار ، ثم بعدها السيادة

---

(١) انظر التفاصيل بروتوكول ١٧ ص ١٢٤ الطبعة الأولي

عـــلي العالم واستبعاد من عداهم من البشر.وإلي هذا تنتهي ، وفي طبعة البروتوكولات المزيد لمن أراد[٢] والأيام دائماً تأتي بالجديد والغريب.

والله نسأل حسن الخواتم

د.محمد عبد السلام العدوى

(٢) انظر التفاصيل بروتوكول ١٧ من ص ١٢٦ الطبعة الأولي

المراجع والمصادر

١. الإصــابة فــي تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ٨٥٢ هـ ومعه الاستيعاب لابن عــبد البر ٤٦٣ هـ - طبعة جديدة - مكتبة المثنى بغداد الطبعة الأولى ١٣٢٨ هـ مطبعة السعادة بمصر.

٢. الإنجيل العهد القديم والعهد الجديد

طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ١٩٩٠

٣. التاريخ الكبير (تهذيب ابن عساكر) دمشق ١٣٢٩ هـ

أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر الشافعي.

٤. الماسونية منشئة ملك إسرائيل

د/ محمد علي الزغبي مطابع مؤسسة معتوق ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.

٥. الفصل في الملك والنحل ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ابن تيمية طبعة القاهرة ١٩٠٥م.

٦. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن القاهرة ١٩٦٤ لمحمد فؤاد عبد الباقي.

٧. بروتوكولات حكماء صهيون الطبعة الأولى (الاتحاد الإسلامي) العالمي للمنظمات الطلابية المنعقد بلندن عام ١٩٢١م.

٨. تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) لمحمد بن جرير الطبري طبعة دار الشروق ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦م.

٩. تحقيقات مجلة البيان المصرية مجلد عام ١٩٥٥م.

١٠. تفسير الطبري طبعة دار المعارف بمصر ١٣٨ هـ بتحقيق أحمد شاكر.

١١. تفسير القرآن الكريم ابن كثير الحافظ عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن كثير مطبعة المنار القاهرة ١٣٤٧ هـ

١٢. صحيح البخاري بولاق ١٣٠٠ هـ أبو عبد الله بن إسماعيل البخاري

١٣. صحيح مسلم أبو الحسيني مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري البينابوري أمام أهل الحديث بشرح الإمام محيي الدين أبو ذكريا يحيي بن شرف بن مرعي ابن النووي.

الخرافي الحواربي الشافعي المولود في المحرم سنة ١٤٦٣١ هـ تذكرة الحافظ للذهبي.

١٤. قصص الأنبياء للإمام أبي إسماعيل بن كثير ٧٠١ – ٧٧٤ هـ تحقيق مراجعة لجنة من العلماء مكتبة المنصورة.

١٥. كتاب الأمير لميكافلي إفريمان ترجمة د / أحمد أمين

١٦. كتاب الحياة (الإنجيل) العهد القديم والعهد الجديد طبعة ١٩٨٢م.

١٧. نهج البلاغة

للإمام علي بن أبي طالب

ضبط الدكتور صبحي المالح

طبعة دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢ بيروت

أنبياء الله من عهد آدم

الأخطاء المطبعية

الصفحات

٥	... مما كانا فيه ... عدو ولكم في الأرض
٧	عند الجبل الذي.
١٣	سنين عددا أن يعبدو الله
١٩	... في يوم عدم شربها
٢١	اسم والدة إبراهيم
٢٣	... كان أخا للضحاك
٢٨	... آيات للسائلين.
٣٠	حجارة من سجيل
٣٨	أ أرباب متفرقون.
٤٢	... يدعو إلى الله ... فإن له
٤٩	من أهوال
٥٠	مغاضبا
٥٥	ثم أدبر يسعى ... آيات مفصلات فاستكبروا ... الا إنما طائرهم عند الله ... انذر موسى
٨٠	ذا الأيد
٨١	فاشفق عليه
٨٢	ما رواه عبد الله
٩٣	زواج من ثيبات
١٠٢	بختنصر
١٠٦	نجاراً
١٠٩	استجابة من الله
١١١	وجدالا وثيما

